

(١٥٦٨)

الزرافة والفيل

مسائل فقهية وأوصاف

في كتب التراث

. وسألوا أحمد عن الزرافة تؤكل؟ قال: نعم. وهي دابة تشبه البعير، إلا أن عنقها أطول من عنقه، وجسمها ألطف من جسمه، وأعلى منه، ويداها أطول من رجليها.

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"و للنوبة كف و وفاء و حسن عهد، و بها الأبنوس الأبيض يتخذ منه الأسرة، و بها الكركدن و هو مثل العجل، و في جبهته قرن يقاتل به، و آخر صغير أسفل منه بين عينيه، يقلع به الحشيش و يطعن الأسد بالذي في جبهته فيقتله، و له ظلف كظلف البقر، و يهرب منه الأسد و **الفيل**، و بالنوبة **الزرافة** و ذكروا أنها بين النمر و الناقة، و أن النمر ينزو على الناقة فتلد **الزرافة**، و لا تغتذي إلا بما تستخرجه من البحر، فخلق الباري جل و عز لها عنقا طويلا لتبلغ الموضع الذي تستخرج منه الغذاء، و مثله في الحيوان فيما يشاكله و يقرب منه في النتاج، كما يلقح الفرس الحمار، و الذئب الضبع، و النمر اللبوة، فيخرج من بينهما الفهد، **فالزرافة** لها جثة جمل، و رأس إيل، و أظلاف بقر، و ذنب طير، و ليديها ركبتان و ليس لرجليها ركبة، و جلدها منمر، و هو منظر عجيب

البلدان(ابن الفقيه)، ص: ١٣٠

و تسمى بالفارسية أشتركا و بلنك أي إنها بين الجمل و الثور و النمر و **الزرافة** في اللغة الجمع، و سميت هذه الدابة لاجتماع هذه المشابة فيها، و ذكر بعض الحكماء أن **الزرافة** نتاجها من فحول شتى و هذا باطل، لأن الفرس لا يلقح الجمل و لا الجمل يلقح البقرة و بالحبشة دابة يقال لها الرعقى، تقبض على خرطوم الجمل فتصرعه و تشرب دمه و لا تأكل لحمه.

و النوبة يعقوبية، و للصقالبة صلبان- الحمد الله على الإسلام- و كذلك أهل علوا و تكريت و القبط و الشام كلها نصارى يعقوبي و ملكي، و نسطوري، و نيقلائي، و ركوسي، و مرقيوني، و صابئ، و مناني- الحمد لله على الإسلام.." (١)

"عبد الله بن عمر أن سعد بن أبي وقاص كان يأكل الضباع فلم ينكره عبد الله بن عمر وقال ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما زالت العرب تأكل الضبع ولا ترى بأكلها بأسا قالوا والضبع سبع لا يختلف في ذلك فلما أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلها علمنا أن نهيه عن أكل كل ذي ناب من السباع ليس من جنس ما أباحه وإنما هو نوع آخر والله أعلم وهو ما الأغلب فيه العداء على الناس هذا قول الشافعي ومن تابعه قال الشافعي ذو

---

(١) لبلدان لابن الفقيه الهمذاني، ١/١٠٧

الناب المحرم أكله هو الذي يعد وعلى الناس كالأسد والنمر والذيب قال ويؤكل الضبع والثعلب وهو قول الليث بن سعد وقال مالك وأصحابه لا يؤكل شيء من سباع الوحوش كلها ولا الهر الوحشي ولا الأهلي لأنه سبع قال ولا يؤكل الضبع ولا الثعلب والضرب ولا شيء من سباع الوحش ولا بأس بأكل سباع الطير زاد ابن عبد الحكم في حكايته قول مالك قال وكل ما يفترس ويأكل اللحم ولا يرعى الكلأ فهو سبع لا يؤكل وهذا ما يشبه السباع التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكلها وروي عن أشهب عن عبد العزيز أنه قال لا بأس بأكل **الفيل** إذا ذكي وقال ابن وهب قال لي مالك لم أسمع أحدا من أهل العلم قديماولا حديثا بأرضنا ينهى عن أكل كل ذي مخلب من الطير قال وسمعت مالكا يقول لا يؤكل كل ذي ناب من السباع قال ابن وهب وكان الليث بن سعد يقول يؤكل الهر والثعلب." <التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ١/١٥٤>

"والكلب والسنور البري والأهلي والوبر قالوا وابن عرس سبع من سباع الهوام وكذلك **الفيل** والدب والضبع واليربوع قال أبو يوسف فأما الوبر فلا أحفظ فيه شيئا عن أبي حنيفة وهو عندي مثل الأرنب لا بأس بأكله لأنه يعتلف البقول والنبات وقال أبو يوسف في السنجاب والفنك والسنور كل ذلك سبع مثل الثعلب وابن عرس قال أبو عمر أما الضب فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم إجازة أكله وفي ذلك ما يدل على أنه ليس بسبع يفترس والله أعلم ذكر عبد الرزاق قال أخبرني رجل من ولد سعيد بن المسيب قال أخبرني يحيى بن سعيد قال كنت عند سعيد بن المسيب فجاءه رجل من غطفا فسأله عن الورل فقال لا بأس به وان كان معكم منه شيء فطعمونا منه قال عبد الزاق والورل شبه الضب وأجاز الشعبي أكل الأسد **والفيل** وتلا قل لا اجد فيما أوحي إلي محرما الآية وقد كره أكل الكلب والتداوي به وهذا خلاف منه واضطراب وكره الحسن وغيره أكل الفيل **الفيل** لأنه ذو ناب وهم للأسد أشد كراهية وكره عطاء ومجاهد وعكرمة أكل الكلب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكلب قال طعمة جاهلية وقد أغنى الله عنها وذكر ابن عيينة عن سهيل بن أبي صالح عن يزيد بن عبد الله السعدي قال سألت ابن المسيب عن أكل الضبع فقال إن أكلها لا يصلح ومعمر عن هشام بن عروة عن أبيه أنه سئل عن أكل اليربوع فلم ير به بأسا قال معمر." <التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ١/١٥٦>

"وسألت عطاء الخراساني عن اليربوع فلم يربه بأسا قال وأخبرنا ابن طاوس عن أبيه أنه سئل عن أكل الوبر فلم يربه بأسا وقال ابن وهب أخبرنا عبد العزيز بن محمد المدني قال بلغني عن عامر الشعبي قال نهى

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحم القرد قال أبو عمر وكرهه ابن عمر وعطاء ومكحول والحسن ولم يجيزوا بيعه وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب سئل مجاهد عن أكل القرد فقال ليس من بهيمة الأنعام قال أبو عمر لاأعلم بين علماء المسلمين خلافا أن القرد لا يؤكل ولايجوز بيعه لأنه مما لا منفعة فيه وما علمنا أحدا أرخص في أكله والكلب والفيل وذو الناب كله عندي مثله والحجة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لافي قول غيره وما يحتاج القرد ومثله أن ينهى عنه لأنه ينهي عن نفسه بزجر الطباع والنفوس لنا عنه ولم يبلغنا عن العرب ولا عن غيرهم أكله وقد زعم ناس أنه لم يكن في العرب من يأكل الكلب الاقوم منهم نفر من فقعس وفي أحدهم قال الشاعر الاسدي ... يافقعسي لم أكلته لمه ... لو خافك الله عليه حرمه ... فما أكلت لحمه ولادمه." <التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر <١٥٧/١

"توفي وهو ابن اثنتين وستين سنة وأشهر وذكر إبراهيم بن المنذر عن سعد بن سعيد بن أبي سعيد عن أخيه عن أبيه عن أبي هريرة قال نبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين فأقام بمكة عشرا وبالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن ستين سنة قال أبو عمر وممن قال أن رسول الله بعث على رأس أربعين سنة قباث بن أشيم قال نبئ النبي صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين من عام الفيل قال أبو عمر لا خلاف أنه ولد صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفيل إذ ساقه الحبشة إلى مكة يغزون البيت وروى هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين صلى الله عليه وسلم ورواه جماعة عن هشام بن حسان وهو قول." <التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر <١٣/٣

"وروى شعبة وإسرائيل عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن جرير بن عبد الله أنه سمع معاوية يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين قاله أبو إسحاق وعامر بن سعد وعبد الله بن عتبة وسعيد ابن المسيب والشعبي وعليه أكثر الناس لأنه يجتمع على هذا القول كل من قال تنبئ على رأس أربعين فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وكل من قال بعث على رأس ثلاث وأربعين فأقام بمكة عشرا وهو الذي يسكن إليه القلب في وفاته والله أعلم ولا خلاف أنه ولد يوم الاثنين بمكة في ربيع الأول عام الفيل وأن يوم الاثنين أول يوم أوحى الله إليه فيه وأنه قدم المدينة في ربيع الأول قال ابن إسحاق وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وأنه توفي يوم الاثنين في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ص وروى كريب عن

ابن عباس قال أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالدينة عشرا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين وذكر يعقوب بن شيبة قال حدثنا عارم بن الفضل قال حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشرا." <التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ٢٦/٣>

"وأجمع العلماء على أن جز الصوف عن الشاة وهي حية حلال وفي هذا بيان ما ذكرنا وأما قوله عليه الصلاة والسلام لا تنتفعوا من الميتة بإهاب فإن معناه حتى يدبغ بدليل أحاديث الدباغ وقد أوضحنا هذا في باب زيد ابن أسلم والحمد لله ومن أجاز عظم الميتة كالعاج وشبهه في الأمشاط وغيرها زعم أن الميتة ما جرى فيه الدم وليس كذلك العظم واحتجوا بقوله في هذا الحديث إنما حرم أكلها وليس العظم مما يؤكل قالوا فكل ما لا يؤكل من الميتة جائز الانتفاع به لقوله إنما حرم أكلها وممن رخص في أمشاط العاج وما يصنع من أنياب الفيلة وعظام الميتة ابن سيرين وعروة بن الزبير وأبو حنيفة وأصحابه قالوا تغسل وينتفع بها وتباع وتشترى وبه قال الليث بن سعد إلا أنه قال تغلى بالماء والنار حتى يذهب ما فيها من الدسم وممن كره العاج وسائر عظام الميتة ولم يرخص في بيعها ولا الانتفاع بها عطاء وطاوس وعمر بن عبد العزيز ومالك ابن أنس والشافعي واختلف فيها عن الحسن البصري." <التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ٥٢/٩>

"حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا بكر بن حماد قال حدثنا مسدد قال حدثنا أبو الأحوص قال حدثنا الأشعث عن الأسود بن يزيد عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدر أمن البيت هو قال نعم قلت فلم لم يدخلوه في البيت قال إن قومك قصرت بهم النفقة قلت فما شأن بابه مرتفعا قال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولولا أن قومك حديث عهد بجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الجدر في البيت وألصق بابه بالأرض قال أبو عمر الجدر لغة في الجدار والجدر أيضا والجدير مكان بني حوله جدار قاله الخليل أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال كان بين الفجار وبنيان الكعبة خمسة عشرة سنة قال ابن شهاب وكان بين الفيل." <التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ٢٨/١٠>

"والفجار أربعون سنة قال ابن شهاب ثم إن الله بعث محمدا على رأس خمس عشرة من بنيان الكعبة فكان بين مبعثه وبين **الفيل** سبعون سنة قال إبراهيم بن المنذر قول ابن شهاب هذا وهم لا يشك فيه أحد من علمائنا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام **الفيل** لا يختلفون في ذلك ونبئ على رأس أربعين سنة من **الفيل** صلى الله عليه وسلم أخبرني عبد الله بن محمد قال حدثنا محمد بن بكر قال حدثنا أبو داود قال حدثنا محمد بن مسلمة قال أنبأنا ابن وهب قال أخبرني ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمان قال إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على رأس خمس عشرة سنة من بنيان الكعبة وكان بين غزوة (أصحاب) **الفيل** وبين الفجار أربعون سنة أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال أنبأنا عبد العزيز بن أبي ثابت قال حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان النوفلي عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم قال بني البيت على خمس وعشرين سنة من **الفيل** كذا قال وخالفه غيره فقال خمسا وثلاثين كذلك قال ابن إسحاق وذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن مجاهد قال." <التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ٢٩/١٠>

"لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله يوقفه على أبي موسى والذين رفعوه ثقات يجب قبول زيادتهم وفي قول أبي موسى فقد عصى الله ورسوله ما يدل على رفعه ورواه ابن المبارك قال أنبأنا أسامة بن زيد يعني الليثي قال حدثني سعيد بن أبي هند عن أبي مرة مولى عقيل فيما أعلم عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله (وذكره أحمد بن حنبل عن عبد الرزاق قال سمعت عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن رجل عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالكعاب فقد عصى الله ورسوله) وهذا الحديث يحرم اللعب بالنرد جملة واحدة لم يستثن وقتا من الأوقات ولا حالا من حال فسواء شغل النرد عن الصلاة أو لم يشغل أو ألهى عن ذلك ومثله أو لم يفعل شيئا من ذلك على ظاهر هذا الحديث والنرد قطع ملونة تكون من خشب البقس ومن عظم **الفيل** ومن غير ذلك وهو الذي يعرف بالطبل ويعرف بالكعاب ويعرف أيضا بالأرن ويعرف أيضا بالنردشير."
<التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ١٧٥/١٣>

"{كأنهن بيض مكنون} [الصافات: ٤٩] ، وهن أحسن من البيض، والمرأة الحسناء تشبه بالظبية وبقرة الوحش، وهي أحسن منهما. وقولهم: إن الدبغ يرفع العلة ممنوع فإننا قد بينا أن الجلد لم ينجس؛ لما ذكرناه، وإن سلمنا فإن الذبح لا يمنع منها ثم يبطل ما ذكروه بذبح المجوسي والوثني والمحرم، وبترك

التسمية، وما شق بنصفين.

[فصل لا يطهر شيء من النجاسات بالاستحالة]

(٨٢) فصل: ظاهر المذهب، أنه لا يطهر شيء من النجاسات بالاستحالة، إلا الخمرة، إذا انقلبت بنفسها خلا، وما عداه لا يطهر؛ كالنجاسات إذا احترقت وصارت رمادا، والخنزير إذا وقع في الملاحة وصار ملحا، والدخان المترقي من وقود النجاسة، والبخار المتصاعد من الماء النجس إذا اجتمعت منه نداوة على جسم صقيل ثم قطر، فهو نجس. ويتخرج أن تطهر النجاسات كلها بالاستحالة قياسا على الخمرة إذا انقلبت، وجلود الميتة إذا دبغت، والجلالة إذا حبست، والأول ظاهر المذهب. وقد نهى إمامنا - رحمه الله - عن الخبز في تنور شوي فيه خنزير.

[مسألة آنية عظام الميتة]

(٨٣) مسألة قال: (وكذلك آنية عظام الميتة) يعني: أنها نجسة، وجملة ذلك، أن عظام الميتة نجسة، سواء كانت ميتة ما يؤكل لحمه، أو ما لا يؤكل لحمه، **كالفيلة**، ولا يطهر بحال، وهذا مذهب مالك، والشافعي، وإسحاق، وكره عطاء، وطاوس، والحسن، وعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنهم - عظام **الفيلة**، ورخص في الانتفاع بها محمد بن سيرين، وغيره، وابن جريج؛ لما روى أبو داود بإسناده عن ثوبان، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «اشتر لفاطمة - رضي الله عنها - قلادة من عصب وسوارين من عاج» . ولنا قول الله تعالى: {حرمت عليكم الميتة} [المائدة: ٣] والعظم من جملتها، فيكون محرما، **والفيل** لا يؤكل." <المغني لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ١/٥٣>

"لحمه فهو نجس على كل حال، وأما الحديث، فقال الخطابي: قال الأصمعي: العاج الذبل، ويقال: هو عظم ظهر السلحفاة البحرية. وذهب مالك إلى أن **الفيل** إن ذكي فعظمه طاهر، وإلا فهو نجس؛ لأن **الفيل** مأكول عنده، وهو غير صحيح؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - «نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع» رواه مسلم **والفيل** أعظمها نابا

فأما عظام بقية الميتات، فذهب الثوري، وأبو حنيفة، إلى طهارتها؛ لأن الموت لا يحلها فلا تنجس به، كالشعر؛ ولأن علة التنجيس في اللحم والجلد اتصال الدماء والرطوبات به، ولا يوجد ذلك في العظام ولنا

قول الله تعالى {قال من يحيي العظام وهي رميم} [يس: ٧٨] {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم} [يس: ٧٩] وما يحيا فهو يموت؛ ولأن دليل الحياة الإحساس والألم، والألم في العظم أشد من الألم في اللحم والجلد، والضرس يألم، ويلحقه الضرس، ويحس ببرد الماء وحرارته، وما تحله الحياة يحله الموت؛ إذ كان الموت مفارقة الحياة، وما يحله الموت ينجس به كاللحم.
قال الحسن لبعض أصحابه، لما سقط ضرسه: أشعرت أن بعضي مات اليوم، وقولهم: إن سبب التنجيس اتصال الدماء والرطوبات، قد أجبنا عنه فيما مضى.

[فصل الآنية من القرن والظفر والحافر]
(٨٤) فصل: والقرن والظفر والحافر كالعظم، إن أخذ من مذكى فهو طاهر؛ وإن أخذ من حي فهو نجس؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ما يقطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، وكذلك ما يتساقط من قرون الوعول في حياتها، ويحتمل أن هذا طاهر؛ لأنه طاهر متصل، مع عدم الحياة فيه، فلم ينجس بفصله من الحيوان، ولا بموت الحيوان كالشعر، والخبر أريد به ما يقطع من البهيمة مما فيه حياة؛ لأنه بفصله يموت، وتفارقه الحياة، بخلاف هذا، فإنه لا يموت بفصله، فهو أشبه بالشعر، وما لا ينجس بالموت لا بأس بعظامه كالسمك؛ لأن موته كتذكية الحيوانات المأكولة.

[فصل لبن الميتة وإنفحتها]
(٨٥) فصل: ولبن الميتة وإنفحتها نجس في ظاهر المذهب. وهو قول مالك، والشافعي، وروي أنها طاهرة،." <المغني لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ٥٤/١>
"فإن بيعها أسهل؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - إنما نهى عن أكل لحومها. والصحيح عنه، أنه لا يجوز. وهذا ينبني على الحكم بنجاسة جلود الميتة، وأنها لا تطهر بالدباغ، وقد ذكرنا ذلك في بابه.
.

[فصل بيع لبن الآدميات]
فصل: فأما بيع لبن الآدميات، فقال أحمد: أكرهه. واختلف أصحابنا في جوازه. فظاهر كلام الخرقي جوازه؛

لقوله: " وكل ما فيه المنفعة ". وهذا قول ابن حامد، ومذهب الشافعي. وذهب جماعة من أصحابنا إلى تحريم بيعه، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك؛ لأنه مائع خارج من آدمية، فلم يجز بيعه، كالعرق، ولأنه من آدمي، فأشبه سائر أجزائه.

والأول أصح؛ لأنه لبن طاهر منتفع به، فجاز بيعه، كلبن الشاه، ولأنه يجوز أخذ العوض عنه في إجارة الظئر فأشبه المنافع، ويفارق العرق، فإنه لا نفع فيه، ولذلك لا يباع عرق الشاة، ويباع لبنها. وسائر أجزاء الآدمي يجوز بيعها، فإنه يجوز بيع العبد، والأمة، وإنما حرم بيع الحر؛ لأنه ليس بمملوك، وحرم بيع العضو المقطوع؛ لأنه لا نفع فيه.

[فصل في بيع رباع مكة وإجارة دورها]

(٣١٧٥) فصل: واختلفت الرواية في بيع رباع مكة وإجارة دورها، فروي أن ذلك غير جائز. وهو قول أبي حنيفة ومالك والثوري وأبي عبيد. وكره إسحاق؛ لما روى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «في مكة: لا تباع رباعها، ولا تكرى بيوتها» . رواه الأثرم بإسناده. وعن مجاهد، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال «: مكة حرام بيع رباعها، حرام إجارتها.» وهذا نص رواه سعيد بن منصور، في " سننه ". وروي أنها كانت تدعى السوائب، على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذكره مسدد في " مسنده "، ولأنها فتحت عنوة، ولم تقسم، فكانت موقوفة، فلم يجز بيعها، كسائر الأرض التي فتحها المسلمون عنوة، ولم يقسموها، والدليل على أنها فتحت عنوة، قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله حبس عن مكة **الفيل**، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وأنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار.» متفق عليه وروت أم هانئ قالت: «أجرت حموين لي، فأراد علي أخي قتلهما، فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلت: يا رسول الله إني أجرت حموين لي، فزعم ابن أمي علي أنه قاتلهما. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: قد أجرنا من أجرت، أو أمنا من أمنت يا أم هانئ.» متفق عليه، ولذلك «أمر النبي." <المغني لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ٤/١٩٦>

"ولنا، ما روى الأوزاعي، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يسهم للخيل، وكان لا يسهم للرجل فوق فرسين، وإن كان معه عشرة أفراس. وعن أزهر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي

عبيدة بن الجراح، أن يسهم للفرس سهمين، وللفرسين أربعة أسهم، ولصاحبهما سهم، فذلك خمسة أسهم، وما كان فوق الفرسين فهي جنائب. رواهما سعيد، في " سننه ". ولأن به إلى الثاني حاجة، فإن إدامة ركوب واحد تضعفه، وتمنع القتال عليه، فيسهم له كالأول، بخلاف الثالث، فإنه مستغنى عنه.

[مسألة غزا على بعير هل يسهم له]

(٧٤٩٦) قال: (ومن غزا على بعير، وهو لا يقدر على غيره، قسم له ولبعيره سهمان) نص أحمد على هذا، وظاهره أنه لا يسهم للبعير مع إمكان الغزو على فرس.

وعن أحمد، أنه يسهم للبعير سهم، ولم يشترط عجز صاحبه عن غيره. وحكي نحو هذا عن الحسن؛ لأن الله تعالى قال: {فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب} [الحشر: 6] . ولأنه حيوان تجوز المسابقة عليه بعوض، فيسهم له، كالفرس. يحققه أن تجويز المسابقة بعوض إنما أبيحت في ثلاثة أشياء دون غيرها؛ لأنها آلات الجهاد، فأبيح أخذ الرهن في المسابقة بها، تحريضا على رياضتها، وتعلم الإتقان فيها، ولا يزاد على سهم البرذون؛ لأنه دونه، ولا يسهم له إلا أن يشهد الوقعة عليه، ويكون مما يمكن القتال عليه، فأما هذه الإبل الثقيلة، التي لا تصلح إلا للحمل، فلا يستحق راكبها شيئا؛ لأنها لا تكر ولا تفر، فراكبها أدنى حال من الراجل.

واختار أبو الخطاب أنه لا يسهم له بحال. وهو قول أكثر الفقهاء. قال ابن المنذر: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم، أن من غزا على بعير، فله سهم راجل. كذلك قال الحسن، ومكحول، والثوري، والشافعي، وأصحاب الرأي.

وهذا هو الصحيح، إن شاء الله تعالى؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم ينقل عنه أنه أسهم لغير الخيل من البهائم، وقد كان معه يوم بدر سبعون بعيرا، ولم تخل غزاة من غزواته من الإبل، بل هي كانت غالب دوابهم، فلم ينقل عنه أنه أسهم لها، ولو أسهم لها لنقل، وكذلك من بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - من خلفائه وغيرهم، مع كثرة غزواتهم، لم ينقل عن أحد منهم فيما علمناه أنه أسهم لبعير، ولو أسهم لبعير لم يخف ذلك، ولأنه لا يتمكن صاحبه من الكر والفر، فلم يسهم له، كالبغل والحمار.

(٧٤٩٧) فصل: وما عدا الخيل والإبل، من البغال والحمير **والفيلة** وغيرها، لا يسهم لها، بغير خلاف، وإن عظم غناؤها." <المغني لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ٩/٢٥١>

"بأنيابه فهو من السباع. وبهذا قال أبو حنيفة وأصحابه. وقال الشافعي: ابن عرس مباح؛ لأنه ليس له ناب قوي، فأشبه الضب.

ولأصحابه في ابن آوى وجهان. ولنا، أنها من السباع، فتدخل في عموم النهي، ولأنها مستخبثة، غير مستطابة، فإن ابن آوى يشبه الكلب، ورائحته كريهة، فيدخل في عموم قوله تعالى {ويحرم عليهم الخبائث} [الأعراف: ١٥٧]

[فصل حكم أكل الثعلب]

(٧٧٨٨) فصل: واختلفت الرواية في الثعلب، فأكثر الروايات عن أحمد تحريمه. وهذا قول أبي هريرة، ومالك، وأبي حنيفة؛ لأنه سبع، فيدخل في عموم النهي. ونقل عن أحمد إباحته. اختاره الشريف أبو جعفر. ورخص فيه عطاء، وطاوس، وقتادة، والليث، وسفيان بن عيينة، والشافعي؛ لأنه يفدى في الإحرام والحرم. وقال أحمد وعطاء: كل ما يودى إذا أصابه المحرم، فإنه يؤكل.

واختلفت الرواية عن أحمد في سنور البر كاختلافها في الثعلب. والقول فيه كالقول في الثعلب. وللشافعي في سنور البر وجهان. فأما الأهلي، فمحرم في قول إمامنا، ومالك، وأبي حنيفة، والشافعي. وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى عن أكل الهر.

[فصل حكم أكل **الفيل**]

(٧٧٨٩) فصل: **والفيل** محرم. قال أحمد: ليس هو من أطعمة المسلمين. وقال الحسن: هو مسخ. وكرهه أبو حنيفة، والشافعي. ورخص في أكله الشعبي. ولنا، نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أكل كل ذي ناب من السباع. وهو من أعظمها نابا، ولأنه مستخبث، فيدخل في عموم الآية المحرمة.

[فصل الاختلاف في أكل الدب]

(٧٧٩٠) فصل: فأما الدب، فينظر فيه؛ فإن كان ذا ناب يفرس به، فهو محرم، وإلا فهو مباح. قال أحمد: إن لم يكن له ناب، فلا بأس به. وقال أصحاب أبي حنيفة: هو سبع؛ لأنه أشبه شيء بالسباع، فلا يؤكل.

ولنا، أن الأصل الإباحة، ولم يتحقق وجود المحرم، فيبقى على الأصل، وشبهه بالسباع إنما يعتبر في."
<المغني لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ٤٠٩/٩>

"إلا الخفاش. وإنما حرمت هذه؛ لأنها مستخبثة، لا تستطيبها العرب، ولا تأكلها. ويحرم الزنابير، واليعاسيب، والنحل، وأشباهها؛ لأنها مستخبثة، غير مستطابة.

(٧٧٩٤) فصل: وما عدا ما ذكرناه، فهو مباح؛ لعموم النصوص الدالة على الإباحة، من ذلك بهيمة الأنعام، وهي الإبل، والبقر، والغنم. قال الله تعالى: {أحلت لكم بهيمة الأنعام} [المائدة: ١] .

ومن الصيود الظباء، وحمر الوحش. وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا قتادة وأصحابه بأكل الحمار الذي صاده. وكذلك بقر الوحش كلها مباحة، على اختلاف أنواعها، من الإبل، والتيتل، والوعل، والمها، وغيرها من الصيود، كلها مباحة، وتفدى في الإحرام. ويباح النعام، وقد قضى الصحابة، - رضي الله عنهم -، في النعامة ببدنة. وهذا كله مجمع عليه، لا نعلم فيه خلافا، إلا ما يروى عن طلحة بن مصرف قال إن الحمار الوحشي إذا أنس واعتلف، فهو بمنزلة الأهلي. قال أحمد: وما ظننت أنه روي في هذا شيء، وليس الأمر عندي كما قال.

وأهل العلم على خلافه؛ لأن الظباء إذا تأنست لم تحرم، والأهلي إذا توحش لم يحل، ولا يتغير منها شيء عن أصله وما كان عليه. قال عطاء، في حمار الوحش: إذا تناسل في البيوت، لا تزول عنه أسماء الوحش. وسألوا أحمد عن الزرافة تؤكل؟ قال: نعم. وهي دابة تشبه البعير، إلا أن عنقها أطول من عنقه، وجسمها ألطف من جسمه، وأعلى منه، ويداها أطول من رجليها.

[فصل حكم أكل لحوم الخيل]

(٧٧٩٥) فصل: وتباح لحوم الخيل كلها عرابها وبراذينها. نص عليه أحمد. وبه قال ابن سيرين. وروي ذلك عن ابن الزبير، والحسن، وعطاء، والأسود بن يزيد. وبه قال حماد بن زيد، والليث، وابن المبارك، والشافعي، وأبو ثور. قال سعيد بن جبير: ما أكلت شيئا أطيب من معرفة برذون. وحرمها أبو حنيفة.

وكرهه مالك، والأوزاعي، وأبو عبيد؛ لقول الله تعالى {والخيل والبغال والحمير لتركبوها} [النحل: ٨] وعن خالد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «حرام عليكم الحمر الأهلية، وخيلها، وبغالها. ولأنه دون حافر، فأشبه الحمار.» ولنا، قول جابر: «نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم خيبر عن

لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل» . وقالت أسماء: «نحرنا فرسا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأكلناه، ونحن بالمدينة» . متفق عليهما.." <المغني لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ٩/٤١١>

"[كتاب السبق والرمي]

المسابقة جائزة بالسنة والإجماع. أما السنة، فروى ابن عمر، «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سابق بين الخيل المضمرة من الحفياء إلى ثنية الوداع، وبين التي لم تضمر من ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق.» متفق عليه. قال موسى بن عقبة: من الحفياء. إلى ثنية الوداع ستة أميال أو سبعة أميال.

وقال سفيان: من الثنية إلى مسجد بني زريق ميل أو نحوه. وأجمع المسلمون على جواز المسابقة في الجملة. والمسابقة على ضربين؛ مسابقة بغير عوض، ومسابقة بعوض. فأما المسابقة بغير عوض، فتجوز مطلقا من غير تقييد بشيء معين، كالمسابقة على الأقدام، والسفن، والطيور، والبغال، والحمير، **والفيلة**، والمزاريق، وتجوز المصارعة، ورفع الحجر، ليعرف الأشد، وغير هذا؛ لأن «النبي – صلى الله عليه وسلم – كان في سفر مع عائشة فسابقته على رجلها، فسبقته، قالت: فلما حملت اللحم، سابقته، فسبقني، فقال: هذه بتلك» رواه أبو داود.

وسابق سلمة بن الأكوع رجلا من الأنصار بين يدي النبي – صلى الله عليه وسلم – في يوم ذي قرد. «صارع النبي – صلى الله عليه وسلم – ركانة، فصرعه» . رواه الترمذي. ومر بقوم يربعون حجرا – يعني يرفعونه ليعرفوا الأشد منهم – فلم ينكر عليهم. وسائر المسابقة يقاس على هذا.

وأما المسابقة بعوض، فلا تجوز إلا بين الخيل، والإبل، والرمي؛ لما سنذكره إن شاء الله تعالى. واختصت هذه الثلاثة بتجويز العوض فيها؛ لأنها من آلات الحرب المأمور بتعلمها، وإحكامها، والتفوق فيها، وفي المسابقة بها مع العوض مبالغة في الاجتهاد في النهاية لها، والإحكام لها، وقد ورد الشرع بالأمر بها، والترغيب في فعلها، قال الله تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم} [الأنفال: ٦٠] . وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» . وروى سعيد في " سننه " عن خالد بن زيد، قال:." <المغني لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ٩/٤٦٦>

"الرمح والسيف وجهان، وفي الفيل والبغال والحمير وجهان لأن للمزاريق والرماح والسيوف نصلا، وللفيل خف، وللبغال والحمير حوافر، فتدخل في عموم الخبر.

ولنا، أن هذه الحيوانات المختلف فيها لا تصلح للكر والفر، ولا يقاتل عليها، ولا يسهم لها، والفيل لا يقاتل عليه أهل الإسلام، والرماح والسيوف لا يرمى بها، فلم تجز المسابقة عليها، كالبقر والتراس، والخبر ليس بعام فيما تجوز المسابقة به؛ لأنه نكرة في إثبات، وإنما هو عام في نفي ما لا تجوز المسابقة به بعوض؛ لكونه نكرة في سياق النفي، ثم لو كان عاما، لحمل على ما عهدت المسابقة عليه، وورد الشرع بالحث على تعلمه، وهو ما ذكرناه.

[مسألة أرادا أن يستبقا أخرج أحدهما ولم يخرج الآخر]

(٧٩٠٧) مسألة؛ قال وإذا أرادا أن يستبقا، أخرج أحدهما، ولم يخرج الآخر، فإن سبق من أخرج، أحرز سبقه، ولم يأخذ من المسبوق شيئا وإن سبق من لم يخرج، أحرز سبق صاحبه ,وجملته أن المسابقة إذا كانت بين اثنين أو حزبين، لم تخل إما أن يكون العوض منهما، أو من غيرهما، فإن كان من غيرهما نظرت، فإن كان من الإمام جاز، سواء كان من ماله، أو من بيت المال؛ لأن في ذلك مصلحة وحثا على تعلم الجهاد، ونفعا للمسلمين. وإن كان غير إمام، جاز له بذل العوض من ماله. وبهذا قال أبو حنيفة، والشافعي. وقال مالك: لا يجوز بذل العوض من غير الإمام؛ لأن هذا مما يحتاج إليه للجهاد، فاختص به الإمام لتولية الولايات وتأمير الأمراء.

ولنا، أنه بذل لماله فيما فيه مصلحة وقربة فجاز كما لو اشترى به خيلا وسلاحا. فأما إن كان منهما، اشترط كون الجعل من أحدهما دون الآخر، فيقول: إن سبقتني فلك عشرة، وإن سبقتك فلا شيء عليك. فهذا جائز. وحكي عن مالك، أنه لا يجوز؛ لأنه قمار. ولنا، أن أحدهما يختص بالسبق، فجاز، كما لو أخرجه الإمام.

ولا يصح ما ذكره؛ لأن القمار أن لا يخلو كل واحد منهما من أن يغنم أو يغرم، وها هنا لا خطر على أحدهما، فلا يكون قمارا فإذا سبق المخرج أحرز سبقه، ولا شيء له على صاحبه، وإن سبق الآخر أخذ سبق المخرج فملكه، وكان كسائر ماله؛ لأنه عوض في الجعالة، فيملك فيها، كالعوض المجعول في رد الضالة والآبق. وإن كان العوض في الذمة، فهو دين يقضى به عليه، ويجبر على تسليمه إن كان موسرا، وإن

أفلس، ضرب به مع الغرماء.

[فصل حكم المسابقة]

(٧٩٠٨) فصل: والمسابقة عقد جائز. ذكره ابن حامد. وهو قول أبي حنيفة، وأحد قولي الشافعي، وقال في الآخر: هو لازم." <المغني لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ٤٦٨/٩>

"ولنا، أنه لا يسمى بيتا، ولهذا يقال: ما دخلت البيت، إنما وقفت في الصحن. وإن حلف لا يركب، فركب سفينة، فقال أبو الخطاب: يحنث؛ لأنه ركوب، قال الله - تعالى: {اركبوا فيها بسم الله مجراها} [هود: ٤١] . وقال: {فإذا ركبوا في الفلك} [العنكبوت: ٦٥] . الضرب الثالث، أن يكون الاسم المحلوف عليه عاما، لكن أضاف إليه فعلا لم تجر العادة به، إلا في بعضه، أو اشتهر في البعض دون البعض، مثل أن يحلف أن لا يأكل رأسا، فإنه يحنث بأكل رأس كل حيوان من النعم والصيود والطيور والحيتان والجراد. ذكره القاضي.

وقال أبو الخطاب: لا يحنث إلا بأكل رأس جرت العادة ببيعه للأكل منفردا. وقال الشافعي: لا يحنث إلا بأكل رءوس بهيمة الأنعام دون غيرها، إلا أن يكون في بلد تكثر فيه الصيود، وتميز رءوسها، فيحنث بأكلها. وقال أبو حنيفة: لا يحنث بأكل رءوس الإبل؛ لأن العادة لم تجر ببيعها مفردة. وقال صاحباه: لا يحنث إلا بأكل رءوس الغنم؛ لأنها التي تباع في الأسواق دون غيرها، فيمينه تنصرف إليها.

ووجه الأول، أن هذه رءوس - حقيقة وعرفا - مأكولة، فحنث بأكلها، كما لو حلف لا يأكل لحما، فأكل من لحم النعام **والزرافة**، وما يندر وجوده وبيعه، ومن ذلك إذا حلف لا يأكل بيضا، حنث بأكل بيض كل حيوان، سواء كثر وجوده، كبيض الدجاج، أو قل وجوده كبيض النعام. وبهذا قال الشافعي.

وقال أصحاب الرأي: لا يحنث بأكل بيض النعام. وقال أبو ثور: لا يحنث إلا بأكل بيض الدجاج، وما يباع في السوق. ولنا، أن هذا كله بيض حقيقة وعرفا، وهو مأكول، فيحنث بأكله، كبيض الدجاج، ولأنه لو حلف لا يشرب ماء، فشرب ماء البحر، أو ماء نجسا، أو لا يأكل خبزا، فأكل الأرز أو الذرة، في مكان لا يعتاد أكله فيه، حنث.

فأما إن أكل بيض السمك أو الجراد، فقال القاضي: يحنث؛ لأنه بيض حيوان، أشبه بيض النعام. وقال أبو الخطاب: لا يحنث إلا بأكل بيض يزايل بائضه في الحياة. وهذا قول الشافعي، وأبي ثور، وأصحاب الرأي،

وأكثر العلماء. وهو الصحيح؛ لأن هذا لا يفهم من إطلاق اسم البيض، ولا يذكر إلا مضافا إلى بائضه، ولا يحنث بأكل شيء يسمى بيضا غير بيض الحيوان، ولا بأكل شيء يسمى رأسا غير رءوس الحيوان؛ لأن ذلك ليس برأس ولا بيض في الحقيقة، والله أعلم.

[مسألة حلف ألا يأكل سويقا فشربه أو لا يشربه فأكله]

(٨١٥٣) مسألة؛ قال: (وإن حلف ألا يأكل سويقا، فشربه، أو لا يشربه، فأكله، حنث، إلا أن تكون له نية) وجملته أن من حلف لا يأكل شيئا، فشربه، أو لا يشربه، فأكله، فقد نقل عن أحمد، ما يدل على روايتين؛." <المغني لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ٩/٦١١>

"قلتين وراية الشك شاذة غريبة فهي متروكة فوجودها كعدمها: وأما قولهم لا نعلم قدر القلتين فالمراد قلال هجر كما رواه ابن جريج وقلال هجر كانت معروفة عندهم مشهورة يدل عليه حديث أبي ذر في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم عن ليلة الاسراء فقال رفعت لي السدرة المنتهى فإذا ورقها مثل آذان الفيلة وإذا نبقها مثل قلال هجر فعلم بهذا أن القلال معلومة عندهم مشهورة وكيف يظن أنه صلى الله عليه وسلم يجدد لهم أو يمثل بما لا يعلمونه ولا يهتدون إليه: فإن قالوا روي أربعين قلة وروي أربعين غربا وهذا يخالف حديث القلتين: فالجواب أن هذا لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما نقل أربعين قلة عن عبد الله بن عمرو بن العاصر وأربعين غربا أي هريرة كما سبق: وحديث النبي صلى الله عليه وسلم مقدم على غيره فهذا ما نعتمده في الجواب: وأجاب أصحابنا أيضا بأنه ليس مخالفا بل يحمل على أن تلك الأربعين صغار تبلغ قلتين بقلال هجر فقط: فإن قالوا يحمل على الجاري: فالجواب أن الحديث عام يتناول الجارى والراكد فلا يصح تخصيصه بلا دليل ولأن توقيته بقلتين يمنع حمله على الجاري عندهم: فإن قالوا لا يصح التمسك به لأنه متروك بالإجماع في المتغير بنجاسة: فالجواب أنه عام خص في بعضه فبقي الباقي على عمومه كما هو المختار في الاوصول: فإن قالوا قد روى ابن علية هذا الحديث موقوفا على ابن عمر: فالجواب أنه صح موصولا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من طرق الثقات فلا يضر تفرد واحد لم يحفظ توقفه: وقد روى البيهقي وغيره بالإسناد الصحيح عن يحيى بن معين إمام هذا الشأن أنه سئل عن هذا الحديث فقال جيد الإسناد قيل له فإن ابن علية لم يرفعه قال يحيى وإن لم يحفظه ابن علية فالحديث جيد الإسناد فإن قالوا إنما لم يحمل خبثا لضعفه عنه وهذا يدل على نجاسته: فالجواب ما

قال أصحابنا وأهل الحديث وغيرهم إن هذا جهل بمعاني الكلام وبطرق الحديث أما جهل قائله بطرق الحديث ففي رواية صحيحة لا بي داود إذا بلغ الماء قلتين لم ينجس وقد سبق بيانها فإذا ثبتت هذه الرواية تعين حمل الأخرى عليها وأن معنى لم يحمل خبثا لم ينجس: وقد قال العلماء أحسن تفسير غريب الحديث أن يفسر بما جاء في رواية أخرى لذلك

الحديث

* وأما جهله بمعاني الكلام فبيانه من وجهين أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم جعل القلتين." <المجموع شرح المهذب النووي ١/١١٥>

"للشافعي كمذهب مالك أنه يطهر ظاهره لا باطنه وهذا دليل على أنه ليس للشافعي تصريح بذلك بل استنبطوه من منع البيع وليس ذلك بلازم بل لمنع البيع دليل آخر قد ذكره المصنف وغيره والله أعلم

* (فرع)

اعلم أن القول القديم ليس بلازم أن يكون كمذهب مالك بل هو قول مجتهد

قد يوافق مالكا وقد يخالفه قال القفال في شرح التليخص أكثر القديم قد يوافق مالكا وإنما ذكرت هذا الفرع لأني رأيت من يغلط في هذا بما لا أوثر نشره والله أعلم (فرع)

استعمال جلد الميتة قبل الدباغ جائز في اليابس دون الرطب صرح به الماوردي وغيره ونقله الروياني عن الأصحاب فقال قال أصحابنا يجوز استعماله قبل الدباغ في اليابسات وأما قول الشيخ أبي حامد والشيخ نصر المقدسي وصاحب البيان لا يجوز استعماله قبل الدباغ فمرادهم استعماله في الرطبات أو في اللبس لا في اليابس وسيأتي كلام الأصحاب إن شاء الله تعالى في عظم **الفيل** أنه يكره استعماله في اليابس ولا يحرم: وممن صرح في عظم **الفيل** بكراهة استعماله في اليابس وتحريمه في الرطب الشيخ نصر فدل أن مراده هنا استعماله في الرطب: وأما قول العبدري لا يجوز استعماله قبل الدباغ في اليابسات عندنا وعند أكثر العلماء فغلط منه: وصوابه أن يقول في الرطبات (فرع)

قال الماوردي يجوز هبته (١) قبل الدباغ ولا يجوز رهنه وقال أبو حنيفة يجوز بيعه ورهنه كالثوب النجس دليلنا أنه عين نجسة فلا يجوز بيعه ورهنه كالعذرة بخلاف الثوب النجس فإن عينه طاهر وكذا قال الروياني يجوز هبته على سبيل نقل اليد وكذا الوصية به لا التمليك والله أعلم قال المصنف رحمه الله

* (وهل يجوز بيعه فيه قولان قال في القديم لا يجوز لانه حرم التصرف في بالموت ثم رخص في الانتفاع

به فبقي ما سوى الانتفاع على التحريم وقال في الجديد يجوز لانه منع من بيعه لنجاسته وقد زالت النجاسة فوجب أن يجوز البيع كالخمر إذا تخللت)

---

(١) هذا فيه نظر وهو وجه ضعيف والاصح المنع والمسألة في الروضة مذكورة في باب الهنة اه من هامش الاذرعي." <المجموع شرح المهذب النووي ١/٢٢٨>

"عن سليمان المنبهي عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج قال صاحب هذا المذهب والعاج عظم الفيل واحتج أصحابنا بقول الله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) فأثبت لها إحياء فدل على موتها والميتة نجسة فإن قالوا المراد أصحاب العظام فحذف المضاف اختصارا قلنا هذا خلاف الأصل والظاهر فلا يلتفت إليه: واحتج الشافعي رحمه الله بما روى عمر وبن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كره أن يدهن في عظم فيل لأنه ميتة والسلف يطلقون الكراهة ويريدون بها التحريم ولأنه جزء متصل بالحيوان اتصال خلقة فأشبه الأعضاء: والجواب عن حديث أنس من وجهين أحدهما أنه ضعيف ضعفه الأئمة والثاني أن العاج هو الذبل بفتح الذال المعجمة وإسكان الباء الموحدة وهو عظم ظهر السلحفاة البحرية كذا قاله الأصمعي وابن قتيبة وغيرهما من أهل اللغة: وقال أبو علي البغدادي العرب تسمي كل عظم عاجا: والجواب عن حديث ثوبان بالوجهين السابقين فإن حميدا الشامي وسليمان المنبهي مجهولان والمنبهي بضم الميم وبعدها نون مفتوحة ثم باء موحدة مكسوة مشددة والله أعلم وبالله التوفيق * قال المصنف رحمه الله

* (فان دبغ جلد الميتة وعليه شعر قال في الام لا يطهر لان الدباغ لا يؤثر في تطهيره وروى الربيع بن سليمان الجيزى عنه أنه يطهر لانه شعر نابت على جلد طاهر فكان كالجلد في الطهارة كشعر الحيوان في حال الحياة)

* (الشرح) هذان القولان مشهوران أصحهما عند الجمهور نصه في الأم أنه لا يطهر وقد

---

(١) قوله والثاني هذا الجواب ضعيف اه." <المجموع شرح المهذب النووي ١/٢٣٨>

"الخلاف السابق في شعر الميتة والمذهب نجاسته من غير الآدمي وطهارته من الآدمي: (فرع مهم) قد اشتهر في ألسنة الفقهاء وكتبهم أن ما أبين من حي فهو ميت وهذه قاعدة مهمة ودليلها حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يجبون أسنمة الإبل ويقطعون أليات الغنم فقال ما يقطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وهذا لفظ الترمذي وقال هو حديث حسن قال والعمل عليه عند أهل العلم

* (فرع)

إذا قلنا بالمذهب إن الشعر ينجس بالموت فرأى شعرا لم يدر أنه طاهر أو نجس قال الماوردي إن علم أنه من حيوان يؤكل فهو طاهر عملا بالأصل وإن علم أنه من غير مأكول فهو نجس لأنه لا طريق إلى طهارته وإن شك فوجهان بناء على اختلاف الأصحاب في أن أصل الأشياء على الإباحة أو التحريم وذكر مثل هذا التفصيل صاحب البحر ثم قال احتمالا لنفسه في نجاسة المأكول لأنه لا يدري أخذ في حياته أم بعد موته وهذا الاحتمال خطأ لأنا تيقنا طهارته (١) ولم يعارضها أصل ولا ظاهر وأما قوله فيما إذا شك فوجهان فالمختار منهما لطهارة لا ننا تيقنا طاهرته في الحياة ولم يعاضها أصل

ولا ظاهر فإنه لا يمكن دعوى كون الظاهر نجاسته وأما احتمال كونه شعر كلب أو خنزير فضعيف لأنه في غاية الندور وأما قول صاحب المستظهري بعد حكاية الوجهين عن حكاية صاحب الحاوي هذا ليس بشئ بل لا يجوز الانتفاع به وجها واحدا فمردود بما ذكرناه من القل والدليل والله أعلم: قال المصنف رحمه الله (وأما العظم والسن والقرن والظلف والظفر ففيه طريقان من أصحابنا من قال هو كالشعر والصوف لأنه لا يحس ولا يألم ومنهم من قال ينجس قولا واحدا) (الشرح) هذان الطريقان مشهوران: المذهب منهما عند الأصحاب القطع بالنجاسة وقد تقدم دليل المسألة ومذاهب العلماء فيها في مسألة الشعر والقائل بأنه على الخلاف هو أبو إسحاق المروزي قال أصحابنا وقوله لأنه لا يحس ولا يألم غير مسلم فإن السن تضرس والعظم يحس قال أصحابنا حكم الظفر حكم العظم والظلف والقرن هذا في غير الآدمي: وأما أجزاء الآدمي فتقدم بيانها في مسألة الشعر وأما خف البعير الميت فنجس بلا خلاف (فرع)

العاج المتخذ من عظم **الفيل**

---

(١) اقول هذا فيه نظر ولا نسلم انا تيقنا طهارته إذ يجوز ان يكون من حيوان نجس في الحياة وعلى تقدير

ان يكون من حيوان طاهر فقد يقال الاصل عدم اباتته منه في حال الحياة نقوله لم يعارضهما اصل ولا ظاهر ممنوع وما ما قاله واختاره في مسألة الماوردي ضعيف جدا فهذا المذهب والصواب ما قاله صاحب المستظهري فيه وقوله واما احتمال شعر كلب أو خنزير فضعيف فعجب منه وليس القسمة منحصرة في ذلك فان كل حيوان لا يؤكل فشعره نجس بالاماتة الا الادمي وذا كانكذلك اتجه القول بالتنجيس اخذ بجانب الحيطة فيما تردد فيه وله نظائر في المذهب والبناء على قاعدة الاشياء قبل ورود الشرع ضعيف لانا نعلم قطعا ان الشرع ورد في هذا الحكم ولاكنا الآن جهلناه اه من هامش الاذرعي." <المجموع شرح المهذب النووي ١/٢٤٢>

"نجس عندنا كنجاسة غيره من العظام لا يجوز استعماله في شئ رطب فإن استعمل فيه نجسه: قال أصحابنا ويكره استعماله في الأشياء اليابسة لمباشرة النجاسة ولا يحرم لأنه لا يتنجس به ولو اتخذ مشطا من عظم

الفيل فاستعمله في رأسه أو لحيته فإن كانت رطوبة من أحد الجانبين تنجس شعره وإلا فلا: ولكنه يكره ولا يحرم (١) هذا هو المشهور للأصحاب ورأيت في نسخة من تعليق الشيخ أبي حامد أنه قال ينبغي أن يحرم وهذا غريب ضعيف قلت وينبغي أن يكون الحكم هكذا في استعمال ما يصنع ببعض بلاد حواران من أحشاء الغنم على هيئة الأقداح والقصاع ونحوها لا يجوز استعماله في رطب ويجوز في يابس مع الكراهة قال الروياني ولو جعل الدهن في عظم الفيل للاستصباح أو غيره من الاستعمال في غير البدن فالصحيح جوازه وهذا هو الخلاف في جواز الاستصباح بزيت نجس لأنه ينجس بوضعه في العظم هدا تفصيل مذهبنا في عظم الفيل: وإنما أفردته عن العظام كما أفرده الشافعي: ثم الأصحاب قالوا وإنما أفرده لكثرة استعمال الناس له ولاختلاف العلماء فيه فإن أبا حنيفة قال بطهارته بناء عل أصله في كل العظام وقال مالك في رواية إن ذكي فطاهر وإلا فنجس بناء على رواية له ان الفيل مأكول: وقال إبراهيم النخعي إنه نجس لكن يطهر بخرطه وقد قدمنا دليل نجاسة جميع العظام وهذا منها ومذهب النخعي ضعيف بين الضعف والله أعلم (فرع)

قال صاحب الشامل وغيره من أصحابنا في هذا الموضع سئل فقيه العرب عن الوضوء من الإناء المعوج فقال إن أصاب الماء تعويجه لم يجز وإلا فيجوز والاناء المعوج هو المضبب بقطعة من من عظم الفيل وهذا صحيح والصورة فيماء دون القلتين وفقيه العرب ليس شخصا بعينه وإنما العلماء يذكرون مسائل فيها

ألغاز وملح ينسبونها إلى فتيا فقيه العرب وصنف الإمام أبو الحسين بن فارس كتابا سماه فتيا فقيه العرب ذكر فيه هذه المسألة وأشد ألغازا منه، (فرع)

يجوز إيقاد عظام الميتة غير الآدمي تحت القدور وفي التنانير وغيرها صرح به صاحب الحاوي والجرجاني في كتابيه التحرير والبلغة والروياني وغيرهم قال المصنف رحمه الله (وأما اللبن في ضرع الشاة الميتة فهو نجس لانه ملاق للنجاسة فهو كاللبن في اناء نجس وأما البيض في جوف الدجاجة الميتة فان لم يتصلب قشره فهو كاللبن وان تصلب قشره لم ينجس كما لو

---

(١) شرح في مذهبنا وجه حكاه المنف وغيره ان **الفيل** يحل اكله فعلا هذا عظمه طاهر إذا زكى كغيره من المأكولات والله اعلم اه من هامش الاذرعي." <المجموع شرح المهذب النووي ١/٢٤٣>

"الطويل

* (وأما) حديث المسور بن مخرمة فرواه البيهقي بمعناه بإسناد جيد (وأما) حديث عائشة في قصة سودة فرواه البخاري ومسلم (وأما) حديث جابر الذى بعده في واد محسر فرواه مسلم والله أعلم (وأما) لغات الفصل وألفاظه فالمزدلفة - بكسر اللام - قال الأزهري سميت بذلك من التزلف والازدلاف وهو التقرب لأن الحجاج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها أي مضوا إليها وتقربوا منها

* وقيل سميت بذلك لمجئ الناس إليها في زلف من الليل أي ساعات وسميت المزدلفة جمعا - بفتح الجيم وإسكان الميم سميت بذلك لاجتماع الناس بها (واعلم) أن المزدلفة كلها من الحرم قال الأزرقي في تاريخ مكة والبندنيجي والماوردي صاحب الحاوي في كتابه الأحكام السلطانية وغيرهما من أصحابنا وغيرهم حد المزدلفة ما بين وادي محسر وما زمى عرفة وليس الحدان منها ويدخل في المزدلفة جميع تلك الشعاب القوابل والظواهر والجبال الداخلة في الحد المذكور

* (وأما) وادي محسر - فبضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر السين المهملة المشددة وبالراء - سمي بذلك لأن فيل أصحاب **الفيل** حسر." <المجموع شرح المهذب النووي ٨/١٢٨>

"ومضمومة - والفتح أفصح وأشهر قال الجوهري ويقال خنفس وخنفسة (وأما) العناكب فجمع عنكبوت وهي

هذه الناسجة المعرفة قال الجوهري الغالب عليها التأنيث (وأما) سام أبرص - فبتشديد الميم - قال أهل

اللغة هو كبار الوزغ قال النحويون واللغويون سام أبرص اسمان جعلا واحدا ويجوز فيه وجهان

(أحدهما)

البناء على الفتح كخمسة عشر

(والثاني)

إعراب الاول وإضافته إلى الثاني ويكون الثاني مفتوحا لأنه لا ينصرف (وأما) الجعلان فبكسر الجيم وإسكان العين – جمع جعل – بضم الجيم وفتح العين – وهى دويبة معروفة بدحرج القدر وأما الديدان – فبكسر الدال الاولى وهى جمع دود كعود وعيدان وواحدة دودة (وأما) حمارقان فدويبة معروفة كثيرة الأرجل وهي فعلان لا ينصرف معرفة ولا نكرة والله تعالى أعلم (أما) الأحكام فقال الشافعي يحرم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير للحديث قالوا والمراد بذي الناب ما تيقوى بناٻه ويعدو على الحيوان كما ذكره المصنف فمن ذلك الأسد والفهد والنمر والذئب والدب والقرد **والفيل** والببر – ببائين موحدتين – الأولى مفتوحة والثانية ساكنة وهو حيوان معروف يعادى الاسد ويقال له أيضا الفرائق – بضم الفاء وكسر النون – فكل هذه المذكورات حرام بلا خلاف عندنا إلا وجها." <المجموع شرح المهذب النووي ١٤/٩>

"شاذا في **الفيل** خاصة أنه حلال حكاه الرافعى عن الامام أبى عبد الله البوسنجى من أصحابنا وزعم أنه لا يعدو من **الفيلة** إلا العجل المغتلم كالإبل والصحيح المشهور تحريمه (وأما) ابن آوى وابن مفترص ففيهما وجهان (أصحهما) تحريمهما وبه قطع المراوزة

* وفى سنور البروجهان (الأصح) تحريمه وقال الخضري حلال (وأما) الحشرات فكلها مستخبثة وكلها محرمة سوى ما يدرج (منها) وما يطير فمنها ذوات السموم والإبر كالحية والعقرب والذنبور (ومنها) الوزغ وأنواعه كحرباء الظهيرة والعطا وهي ملساء تشبه سام أبرص وهي أخس منه واحدتها عطاء وعطانه فكل هذا حرام ويحرم النمل والذر والفار والذباب والخنفساء والقراد والجعلان وبنات وردان وحمارقان والديدان إلا دودا لجبن والخل والباقلا والفواكه ونحوها من المأكول الذي يتولد منه الدود ففي حل أكل هذا الدود ثلاثة أوجه سبقت في باب المياه (أحدها) يحل

(والثاني)

لا (وأصحه) يحل أكله مع ما تولد منه لا منفردا ويحرم

* اللحكا وهي بضم اللام وفتح الحاء المهملة وبالمد - وهي دويبة تغوص في الرمل إذا رأت إنسانا قال أصحابنا ويستثنى من الحشرات اليربوع والضب فإنهما حلالان كما سبق مع دخولهما في اسم الحشرات وكذا أم حنين." <المجموع شرح المهذب النووي ٩/١٥>

"فيما أحى محرما) الآية فقال الشافعي وغيره من العلماء معناها مما كنتم تأكلون وتستطيبون قال الشافعي وهذا أولى معاني الآية استدلالا بالسنة والله أعلم (وأما) حديث التلب فإن ثبت لم يكن فيه دليل لأن قوله لم أسمع لا يدل على عدم سماع غيره والله أعلم

* (فرع)

في مذاهبهم في أكل السباع التي تتقوى بالناب كالأسد والنمر والذئب وأشباهها

* قد ذكرنا أن مذهبنا أنها حرام وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود والجمهور (وقال) مالك تكره ولا تحرم (واحتج) بقوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به) واحتج أصحابنا بالأحاديث الصحيحة من رواية ابن عباس وغيره في النهي عن كل ذي ناب من السباع وفي رواية مسلم التي قدمناها (كل ذي ناب من السباع فأكله حرام) وأجابوا عن الآية الكريمة بأنه أمر أن يخبر بأنه لا يجد مـحرما في ذلك الوقت إلا هذا ثم ورد وحي آخر بتحريم السباع فأخبر به والآية مكية والأحاديث مدنية ولأن

الحديث مخصص للآية والله سبحانه أعلم

* (فرع)

في أنواع اختلف السلف فيها (منها) القرد وهو حرام عندنا وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد ومكحول والحسن وابن خبيب المالكي

* وقال مالك وجمهور أصحابه ليس بحرام (ومنها) **الفيل** وهو حرام عندنا وعند أبي حنيفة والكوفيين والحسن

* وأباحه الشعبي وابن شهاب ومالك في رواية حجة الأولين أنه ذو ناب (ومنها) الأرنب وهو حلال عندنا وعند العلماء كافة إلى ما حكي عن." <المجموع شرح المهذب النووي ٩/١٧>

"إمام الحرمين وإليه ميل الشافعي

(والثاني)

التحريم قال أصحابنا وإنما يراجع العرب في حيوان لم يرد فيه نص بتحليل ولا تحريم ولا أمر بقتله ولا نهي عن قتله فان وجد شئ من هذه الأصول اعتمدناه ولم نراجعهم قطعا فمن ذلك الحشرات وغيرها مما سبق والله تعالى أعلم

* (فرع)

إذا وجدنا حيوانا لا معرفة لحكمه من كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ولا استطابة ولا استخباث ولا غير ذلك من الأصول المعتمدة وثبت تحريمه في شرع من قبلنا فهل يستصحب تحريمه فيه قولان (الأصح) لا يستصحب وهو مقتضى كلام جمهور الأصحاب وهو مقتضى المختار عند أصحابنا في أصول الفقه فإن استصحبناه فشرطه أن يثبت تحريمه في شرعهم بالكتاب أو السنة أو يشهد به عدلان أسلما منهم بعرفان المبدل من غيره قال الماوردي فعلى هذا لو اختلفوا اعتبر حكمه في أقرب الشرائع إلى الإسلام وهي النصرانية وإن اختلفوا عاد الوجهان عن تعارض الأشباه (أصحهما) الحل والله سبحانه أعلم * قال المصنف رحمه الله

* (ولا يحل ما يولد بين مأكول وغير مأكول كالسمع المتولد بين الذئب والضبع والحمار المتولد بين حمار الوحش وحمار الاهل لانه مخلوق مما يؤكل ومما لا يؤكل فغلب فيه الحظر كالبغل)

* (الشرح) السمع - بكسر السين وإسكان الميم - قال الشافعي والأصحاب يحرم السمع والبغل

وسائر ما يولد من مأكول وغير مأكول سواء كان المأكول الذكر أو الأنثى لما ذكره المصنف **والزرافة** - بفتح الزاي وضمها - حرام بلا خلاف وعدها بعضهم من المتولد بين مأكول وغير." <المجموع شرح المهذب النووي ٩/٢٧>

"ريشها ولبن ما لا يؤكل إذا قلنا بالمذهب إنه نجس وسائر الأعيان النجسة ولا يجوز بيعها بلا خلاف عندنا وسواء الكلب المعلم وغيره وسواء الخمر المحترمة وغيرها

* ودليل المسألة ما ذكره المنصنف والله أعلم

* (فرع)

الفيلج - بالفاء والجيم - هو القز قال القاضي حسين في فتاويه وآخرون يجوز بيعه في باطن الدود الميت لأن بقاءه من مصالحه كالنجاسة التي في جوف الحيوان قالوا وسواء باعه وزنا أو جزافا وسواء كان الدود حيا أو ميتا فبيعه جائز بلا خلاف والله أعلم

* (فرع)

قال أصحابنا في بيع فأرة المسك أو بيض ما لا يؤكل لحمه ودودة القز وجهان بناء على طهارتها ونجاستها (أصحهما) الطهارة وجواز البيع (وأما) دود القز فيجوز بيعه في حياته بلا خلاف

لأنه حيوان ينتفع به كسائر الحيوان وقد ذكر المصنف المسألة في آخر هذا الباب وسبق إيضاحها في باب إزالة النجاسة هذا مذهبنا

* وقال أبو حنيفة لا يجوز بيع بزر القز ولا دوده دليلنا أنه طاهر منتفع به فجاز بيعه كسائر الطاهر المنتفع به

* (فرع)

في حكم لبن ما لا يؤكل لحمه ذكرنا في باب إزالة النجاسة ثلاثة أوجه (أصحها) وأشهرها أنه نجس

(والثاني)

طاهر يحل شربه قال أصحابنا (إن قلنا) إنه نجس لا يجوز بيعه قال المتولي وآخرون (وإن قلنا) طاهر يحل شربه جاز بيعه (وإن قلنا) طاهر لا يحل شربه فإن كان فيه منفعة مقصودة جاز بيعه وإلا فلا

* (فرع)

ذكرنا أن بيع الخمر باطل سواء باعها مسلم أو ذمي أو تبايعها ذميان أو وكل المسلم ذميا في شرائها له فكله باطل بلا خلاف عندنا وقال أبو حنيفة يجوز أن يوكل المسلم ذميا في بيعها وشرائها وهذا فاسد منابذ للأحاديث الصحيحة في النهي عن بيع الخمر

* (فرع)

بيع الخمر وسائر أنواع التصرف فيها حرام على أهل الذمة كما هو حرام على المسلم هذا مذهبنا وقال أبو حنيفة لا يحرم ذلك عليهم قال المتولي المسألة مبينة على أصل معروف في الأصول وهو أن الكافر عندنا مخاطب بفروع الشرع وعندهم ليس بمخاطب وقد سبقت هذه المسألة في باب إزالة النجاسة

*." <المجموع شرح المهذب النووي ٩/٢٢٧>

"عن ذلك) رواه مسلم

* واحتج أصحابنا بأنه طاهر منتفع به ووجد فيه جميع شروط البيع بالخيار فجاز بيعه كالحمار والبغل والجواب عن الحديث من وجهين

(أحدهما)

جواب أبي العباس بن العاص وأبي سليمان الخطابي والقفال وغيرهم أن المراد الهرة الوحشية فلا يصح بيعها لعدم الانتفاع بها إلا على الوجه الضعيف القائل بجواز أكلها (والثاني) أن المراد نهي تنزيه والمراد النهي على العادة بتسامح الناس فيه ويتعاوزونه في العادة فهذان الجوابان هما المعتمدان (وأما) ما ذكره الخطابى وابن عبد الله أن الحديث ضعيف فغلط منهما لأن الحديث في صحيح مسلم بإسناد صحيح وقول ابن عبد الله إنه لم يروه غير أبي الزبير عن حماد بن سلمة فغلط أيضا فقد رواه مسلم في صحيحه من رواية معقل ابن عبيد الله عن أبى الزبير فهذان ثقتان روايا‌ه عن أبى الزبير هو ثقة والله أعلم
*

(فرع)
قال ابن المنذر أجمع العلماء عل تحريم بيع الميتة والخمر والخنزير وشرائها قال واختلفوا في الانتفاع بسعر الخمر فمنعه ابن سيرين والحكم وحماد والشافعي واحمد واسحق ورخص فيه الحسن البصري والأوزاعي ومالك وأبو حنيفة وأبو يوسف
* (فرع)
مذهبنا المشهور أن عظم الفيل نجس سواء أخذ منه بعد ذكاته أو بعد موته ولنا وجه شاذ أن عظام الميتة طاهرة وسبق بيانه في باب الآنية وسبق في باب الأطعمة وجه شاذ أن الفيل يؤكل لحمه فعلى هذا إذا ذكي كان عظمه طاهرا والمذهب نجاسته مطلقا ولا يجوز بيعه ولا يحل ثمنه وبهذا قال طاووس وعطاء بن أبي رباح وعمر بن عبد العزيز ومالك وأحمد وقال ابن المنذر ورخص فيه عروة بن الزبير وابن سريج قال ابن المنذر مذهب من حرم هو الأصح
* (فرع)
بيع سرجين البهائم المأكولة وغيرها وذرق الحمام باطل وثمنه حرام هذا مذهبنا وقال أبو حنيفة يجوز بيع السرجين لاتفاق أهل الأمصار في جميع الأعصار على بيعه من غير إنكار ولأنه يجوز الانتفاع به فجاز بيعه كسائر الأشياء) واحتج أصحابنا بحديث." <المجموع شرح المهذب النووي ٩/٢٣٠>
"لا يجوز لأنه اقتناء لغير حاجة فأشبه غيره من الكلاب ومعنى الحديث إلا كلبا يصطاد به وممن حكى الوجهين صاحب البيان أيضا
* (فرع)

أما اقتناء ولد الفهد فالمشهور جوازه كالقرد **والفيل** وغيرهما وحكى صاحب البحر فيه طريقين (المذهب) القطع بجوازه

(والثاني)

فيه وجهان حكاهما القاضي أبو علي البندنيجي والله أعلم

* (فرع)

قال أصحابنا الكلب العقور والكلب يقتلان للحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (خمس يقتلن في الحل والحرم منها الكلب العقور) قال أصحابنا وإن لم يكن الكلب عقورا ولا كلبا لم يجر قتله سواء كان فيه منفعة أم لا وسواء كان أسود أم لا وهذا كله لا خلاف فيه بين أصحابنا وممن صرح به القاضي حسين وإمام الحرمين قال إمام الحرمين الأمر بقتل الكلب الأسود وغيره كله منسوخ فلا يحل قتل شئ منها اليوم لا الأسود ولا غيره إلا الكلب والعقور * قال المصنف رحمه الله

* (وأما النجس بملاقاة النجاسة فهو الاعيان الطاهرة إذا إصابتها نجاسة فينظر فيها فان كان جامدا كالثوب وغيره جاز بيعه لان البيع يتناول الثوب وهو طاهر وإنما جاورته النجاسة وإن كان مائعا نظرت فان كان مما لا يطهر كالخل والدبس لم يجز بيعه لانه نجس لا يمكن تطهيره من النجاسة فلم يجز بيعه كالاعيان النجسة وإن كان ماء ففيه وجهان

(أحدهما)

لا يجوز بيعه لانه نجس لا يطهر بالغسل فلم يجز بيعه كالخمر

(والثانى)

يجوز بيعه لانه يطهر بالماء فأشبه الثوب

* فان كان دهنا فهل يطهر بالغسل فيه وجهان

(أحدهما)

لا يطهر لأنه لا يمكن عصره من النجاسة فلم يطهر كالخل

(والثانى)

يطهر لانه يمكن غسله بالماء فهو كالثوب (فان قلنا) لا يطهر لم يجز بيعه

كالخل (وإن قلنا) يطهر ففى بيعه وجهان كالماء النجس ويجوز استعماله في السراج والاولى أن لا يفعل

لما فيه من مباشرة النجاسة)

* (الشرح) قوله لأنه لا يمكن عصره من النجاسة فلم يطهر كالخل هذا تعليل فاسد لانه." <المجموع شرح المهذب النووي ٢٣٥/٩>

"فحكى وجها " ضعيفا " أنه يصح بيعه وليس بشئ (السبب الثاني) الحية كالحشرات فلا يجوز بيعها قال أصحابنا الحيوان الطاهر المملوك من غير الآدمي قسمان (قسم) ينتفع به فيجوز بيعه كالإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير والظباء والغزلان والصقور والبراة والفهود والحمام والعصافير والعقاب وما ينتفع بلونه كالطاوس أو صوته كالزرزوز والببغاء والعندليب وكذلك القرد **والفيل** والهرة ودود القز والنحل فكل هذا وشبهه يصح بيعه بلا خلاف لأنه منتفع به وهذا الذي ذكرناه من صحة بيع النحل هو إذا شاهده المتعاقدان فإن لم يشاهدا جميعه ففيه تفصيل وخلاف وسنوضحه في الباب الذي بعد هذا إن شاء الله تعالى حيث ذكره المصنف

* قال أصحابنا ويجوز بيع الجحش الصغير بلا خلاف لانه يؤول إلى المنفعة والله تعالى أعلم

* (القسم الثاني) من الحيوان ما لا ينتفع به فلا يصح بيعه وذلك كالخنافس والعقارب والحيات والديدان والفأر والنمل وسائر الحشرات ونحوها

* قال أصحابنا ولا نظر إلى منافعها المعدودة من خواصها لأنها منافع تافهة

* قال أصحابنا وفى معناها السباع التي لا تصلح للاصطياد ولا القتال عليها ولا تؤكل كالأسد والذئب والنمر والدب وأشباهها فلا يصح بيعها لأنه لا منفعة فيها

* قال أصحابنا ولا ينظر إلى اقتناء الملوك لها للهيبة والسياسة هذا هو المذهب والمنصوص وبه قطع المصنف وسائر العراقيين وجمهور الخراسانيين

* وحكى القاضي حسين وإمام الحرمين والغزالي وجماعة آخرون من الخراسانيين وجها شاذا ضعيفا أنه يجوز بيع السباع لأنها طاهرة والانتفاع بجلودها بالدباغ متوقع وضعفوا هذا الوجه بأن المبيع في الحال غير منتفع به ومنفعة الجلد غير مقصودة ولهذا لا يجوز بيع الجلد النجس بالاتفاق وإن كان الانتفاع به بعد الدباغ ممكنا والله أعلم

* قال الرافعي ونقل أبو الحسن العبادي رحمه الله وجها أنه يجوز بيع النمل في عسكر مكرم وهي المدينة المشهورة بالمشرق قال لأنه يعالج به السكر وبنصيبين لأنه يعالج به العقارب الطيارة

وهذا الوجه شاذ ضعيف (وأما) الحدأة والرخمة والنعامة والغراب الذي لا يؤكل فلا يجوز بيعها هكذا قطع به جماهير الأصحاب قال إمام الحرمين إن كان في أجنحة بعضها فائدة جاء فيها الوجه السابق في بيع السباع لجلودها قال الرافعي إنكارا على الإمام بينهما فرق فإن الجلود تدبغ ولا سبيل." <المجموع شرح المهذب النووي ٩/٢٤٠>

"وكان من فضلاء الصحابة واستعمله عمر بن الخطاب على مكة والطائف وفيها سادات قريش وثقيف والله تعالى أعلم

* وصفوان بن أمية صحابي مشهور وهو أبو وهب وقيل أبو أمية صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن خزامة بن جمح القرشي الجمحي المكي أسلم بعد شهوده حنينا كافرا وكان من المؤلفة وشهد اليرموك توفي بمكة سنة اثنتين وأربعين وقيل توفي في خلافة عمر وقيل عام الجمل سنة ست وثلاثين (وقوله) لأنه أرض حية هكذا هو في النسخ والضمير عائد إلى البيع (وقوله) أرض حية احتراز من الموات (وقوله) لم يرد عليها صدقة مؤبدة احتراز من العين الموقوفة (أما) الأحكام ففيها مسألتان (إحداهما) أن الأعيان الطاهرة المنتفع بها التي ليست حرا ولا موقوفا ولا أم ولد ولا مكاتبة ولا مرهونا ولا غائبا ولا مستأجرة يجوز بيعها بالإجماع لما ذكره المصنف سواء المأكول والمشروب والملبوس والمشموم والحيوان المنتفع به بركوبه أو دره ونسله أو صوفه كالعندليب والببغاء أو بحراسته كالقرد أو بركوبه **كالفيل** أو بامتصامة الدم وهو العلق وفي معناه دود القز وغير ذلك مما سبق بيانه فكل هذا يصح بيعه (الثانية) يجوز بيع دور مكة وغيرها من أرض الحرم ويجوز إجارتها وهي مملوكة لأصحابها يتوارثونها ويصح تصرفهم فيها بالبيع وغيره من التصرفات المفتقرة إلى الملك والله أعلم

* (فرع)

في مذاهب العلماء في بيع دور مكة وغيرها من أرض الحرم وإجارتها ورهنها مذهبنا جوازه وبه قال عمر بن الخطاب وجماعات من الصحابة ومن بعدهم وهو مذهب أبي يوسف وقال الأوزاعي والثوري ومالك وأبو حنيفة لا يجوز شئ من ذلك والخلاف في المسألة مبني على أن مكة فتحت صلحا أم عنوة فمذهبنا أنها فتحت صلحا فتبقى على ملك أصحابها فتورث وتباع وتكرى وترهن ومذهبهم أنها فتحت عنوة فلا يجوز شئ من ذلك

* واحتج هؤلاء بقوله تعالى

(والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) قالوا والمراد بالمسجد جميع الحرم لقوله سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام) أي من بيت خديجة بقوله تعالى (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها) قالوا أو المحرم لا يجوز بيعه وبحديث اسماعيل." <المجموع شرح المهذب النووي ٩/٢٤٨>

"رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: واعدوا لهم ما استطعتم من قوة.

ألا إن القوة الرمى، الا ان القوة الرمى، الا ان القوة الرمى.

وفيهما عنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عيله وسلم (من علم الرمى ثم تركه فليس منا) وعنه ايضا عند احمد واصحاب السنن مرفوعا (ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر نفر الجنة، صانعه الذى يحتسب في صنعه الخير، والذى يجهز به في سبيل الله.

والذى يرمى به في سبيل الله.

وقال ارموا واركبوا.

فان ترموا خير لكم من ان تركبوا.

وقال كل شئ يلهو به ابن آدم باطل الا ثلاثا: رميه عن قوسه وتاديبه فرسه، وملاعبته اهله، فانهن من الحق، وفى اسناده خالد بن زيد أو ابن يزيد فيه مقال.

وقال فيه ابن حجر في التقريب: خالد ابن زيد أو بن يزيد الجهنى عن عقبة في الرمى، مقبول من الثالثة.

قلت: وبقية اسناده ثقات، وقد اخرجه الترمذي وابن ماجه من غير طريقة.

واخرجه ايضا ابن حبان، وفى رواية ابى داود زيادة (ومن ترك الرمى بعدما علمه فانها نعمة تركها) وفى هذا الاحاديث وغيرها مما سياتب في موضعه دليل على جواز المسابقة ومشروعيتها على جعل وعلى غير جعل، فان كان الجعل من غير المتسابقين كالامام يجعله للسابق جائزة جاز أو من احدهما جاز عند الجمهور.

وكذا إذا كان معهما ثالث محلل بشرط ان لا يخرج من عنده شيئا ليخرج العقد عن صورة القمار وعلى تفصيل سيأتي في موضعه.

وقد وقع الاتفاق على جواز المسابقة بغير عوض لكن قصرها مالك والشافعي على الخف والحافر والنصل، وخصه بعض العلماء بالخبل.

واجازه

عطاء في كل شئ.

وقد حكى عن ابى حنيفة ان عقد المسابقة على مال باطل.

وحكى عن مالك ايضا انه لا يجوز ان يكون العوض من غير الامام، وحكى ايضا عن مالك وابن الصباغ وابن خيران انه لا يصح بذل المال من جهتهما وان دخل المحلل.

وروى عن احمد بن حنبل انه لا يجوز السبق على **الفيلة**، وروى عن اصحابنا انه يجوز." <المجموع شرح المهذب النووي ١٣١/١٥>

"الخيل تقاتل عليها العرب والعجم والابل تقاتل عليها العرب فجازت المسابقة عليها بالعوض واختلف قوله في البغل والحمار، فقال في أحد القولين تجوز المسابقة عليهما بعوض لحديث أبى هريرة، ولانه ذو حافر أهل فجازت المسابقة عليهما بعوض كالخيل

(والثانى)

لا تجوز لانه لا يصلح للكر والفر، فأشبه البقر واختلف أصحابنا في المسابقة على **الفيل** بعوض، فمنهم من قال: لا تجوز، لانه لا يصلح للكر والفر.

ومنهم من قال: تجوز لحديث أبى هريرة، ولانه ذو خف يقاتل عليه فأشبه الابل.

واختلفوا في المسابقة على الحمام، فمنهم من قال لا تجوز المسابقة عليها بعوض وهو المنصوص لحديث أبى هريرة، ولانه ليس من آلات الحرب فلم تجز المسابقة عليه بعوض، ومنهم من قال تجوز لانه يستعان به على الحرب في حمل الاخبار فجازت المسابقة عليه بعوض كالخيل.

واختلفوا في سفن الحرب كالزبازب والشذوات، فمنهم من قال تجوز، وهو قول أبى العباس، لانها في قتال الماء كالخيل في قتال الارض، ومنهم من قال لا تجوز، لان سبقها بالملاح لا بمن يقاتل فيها واختلفوا في المسابقة على الاقدام بعوض، فمنهم من قال تجوز لان الاقدام في قتال الرجالة كالخيل في قتال الفرسان، ومنهم من قال لا تجوز، وهو المنصوص لحديث أبى هريرة، ولان المسابقة بعوض أجيزت ليتعلم بها ما يستعان به في الجهاد، والمشى بالاقدام لا يحتاج إلى التعلم

واختلفوا في الصراع، فمنهم من قال يجوز بعوض، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صارع يزيد بن ركانه على شاء فصرعه، ثم عاد فصرعه، ثم عاد فصرعه، فأسلم ورد عليه الغنم.

ومنهم من قال: لا يجوز.

وهو المنصوص لحديث أبى هريرة، ولانه ليس من آلات القتال.
وحديث يزيد بن ركانة محمول على أنه فعل ذلك ليسلم، ولانه لما أسلم رد عليه ما أخذ منه.." <المجموع شرح المهذب النووي ١٥/١٣٧>

"أما ألفاظ الفصل فقوله: لا سبق هو بفتح الباء.

المال الذى يسابق عليه، والنصل هو السهم، والخف للابل، والحافر للفرس والبغل والحمار، الظلف لسائر البهائم، والمخلب للطير، وقله كالزبازب جمع زبزب نوع من السفن منها الصغير والكبير والاول سريع خفيف، وكذك الشذوات وكلا اللفظين أعجمى أما الاحكام فقد فسر الشافعي رضى الله عنه حديث أبى هريرة بقوله: والخف الابل والحافر الخيل والنصل كل سهم أو ما يشابهه.

وقال في موضع ان الحافر الخيل والبغال والحمير لانها تركب للجهاد كالابل ويلقى عليها العدو كالخيل وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حرب هوازن على بغلته الشهباء فصار في الحافر قولان.

فأما النصل فالمراد به السهم المرمى به عن قوس، وان كان النصل اسما لحديدة السهم فالمراد جميع السهم، فهذه الثلاثة هي التى نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم في جواز السبق بها، فاختلف قول الشافعي فيها فقال: يحتمل معنيين.

أحدهما أنها رخصة مستثناة من جمله محظورة لانه أخرج باستثنائه ما خالف حكم أصله، فعلى هذا لا يجوز أن يقاس على هذه الثلاثة غيرها، ويكون السبق مقصورا على التى تضمنها الخبر وهى الخف، والخف الابل وحدها والحافر وفيه قولان.

(أحدهما)

الخيل وحدها

(والثانى)

الخيل والبغال والحمير، والنصل وهو السهام ويكون السبق بما عداها محظورا.

والقول الثاني في المعنيين أن النص على الثلاثة أصل مبتدأ ورد الشرع ببيانه وليس بمستثنى، وان خرج مخرج الاستثناء لان المراد به التوكيد دون الاستثناء فعلى هذا يقاس على كل واحد من الثلاثة ما كان في معناها كما قيس على الستة في الربا ما وافق معناها، وعليه يكون التفريع، فيقاس على الخف السبق **بالفيله** لانها

ذوات أخفاف كالابل، وهى في ملاقاة العدو أنكى من الابل.

وهل يقاس عليها السبق بالسفن والطيارات البحرية التى أطلقوا عليها الزبازب والشذوات أم لا؟ على وجهين.."

<المجموع شرح المهذب النووي ١٣٩/١٥>

"ومنهم من قال: فيه قولان

(أحدهما)

يجعل له لما بيناه

(والثانى)

لا يجعل له لانه يحتمل أن تكون الامة ولدته قبل أن يملكها ثم ملكها فلم يملك ولدها وان شهدت له البينة بالملك ولم تذكر سبب الملك، ففيه قولان.

أحدهما: يحكم له كما يحكم له إذا شهدت له بملك مال، وإن لم نذكر سببه.

والثانى: لا يحكم لان البينة قد تراه في يده فتشهد بأنه عبده بثبوت يده عليه بالالتقاط أو غيره، وإن شهدت البينة له باليد، فإن كان المدعى هو الملتقط لم يحكم له لانه قد عرف سبب يده وهو الالتقاط، ويد الالتقاط لا تدل على الملك.

فلم يكن للشهادة تأثير.

وان كان المدعى غيره، ففيه قولان.

(أحدهما)

يحكم له مع اليمين لان اليد قد ثبتت، فإذا حلف حكم له كما لو كان في يده مال فحلف عليه

(والثانى)

لا يحكم له لان ثبوت اليد على اللقيط لا تدل على الملك لان الظاهر الحرية.

(الشرح) حديث عائشة رضى الله عنها متفق عليه بلفظ (دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسرورا تبرق أسارير وجهه فقال: ألم ترى إلى مجزز المدلجى نظر آنفا إلى زيد بن حارثة وأسامه بن زيد فقال: هذه الاقدام بعضها من بعض) وفى رواية للبخاري (ألم ترى أن مجززا المدلجى دخل فرأى أسامه وزيدا وعليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما ومدت أقدامهما فقال: ان هذه

الاقدام بعضها من بعض) ومجزر بضم الميم وفتح الجيم ثم زاى مشددة مكسورة ثم زاى أخرى اسم فاعل لانه كان في الجاهلية إذا أسر أسيرا جز ناصيته وأطلقه وقد كان الكفار يقدحون في نسب أسامه لكونه كان أسود شديد السواد، وكان زيد أبيض كذا قاله أبو داود.

وأم أيمن هي أم أيمن بركة الحبشيه مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها عن أبيه حيث كانت وصيفته، ويقال: كانت من سبى الحبشه الذين قدموا زمن **الفيل** فصارت لعبد المطلب فوهبها لعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم، وتزوجت قبل زيد عبيدا الحبشى فولدت له أيمن فكنيت به والقافة جمع قائف كقادة جمع قائد وسادة جمع سائد، والقائف هو الذى يتتبع الاثر ويعرف شبه الرجل بأبيه وأخيه.." <المجموع شرح المهذب النووي ١٥/٣٠٧>

"النجاسات موقف العداء المطلق، فإنه متى ثبت أن لها فائدة ما في حياة الناس فلا بد أن تقتنص هذه الفائدة، وإننا في عصر تقدمت فيه العلوم الكيمياوئية حتى صنعت المواد السمادية من الهواء، فإنه يكثف بأجهزة التكثيف وستخرج منه أثقل الاجسام صلابه وثقلا كسلفات النشادر، ومع التطور العظيم في علوم الكيمياء والاسمدة، فان الاجماع بين المتخصصين منعقد على أن أعلى أنواع السماد وأسلمها للارض وأعظمها إخصابا للتربه هو الاسمدة العضوية كالروث والبراز الحيوانى والآدمي لهذا أجاز الوصية بكل نافع ولو كان نجسا.

أما الوصية بالخمر والخنزير والكلب العقور فباطله، لان الانتفاع بها محرم فلو انه اوصى بجرة فيها خمر قال الشافعي رضى الله عنه: اريق الخمر ودفعت إليه الجرة، لان الجرة مباحة والخمر حرام.

فاما الوصية بالحيات والعقارب وحشرات الارض والسباع والذئاب فباطله لانه لا منفعة فيهجميعا.

فأما الوصيۃ **بالفيل** فان كان منتفعا به فجائر لجواز ان يبيعه ويقوم في التركة ويعتبر من الثلث، وإن كان غير منتفع به فالوصيه باطلة.

فأما الفهد والنمر والشاهين والصقر فالوصيه بذلك جائزة لانها جوارح ينتفع بها للصيد وتقوم في التركة لجواز بيعها وتعتبر في الثلث، وأما الوصية بما تصيده الكلاب فباطلة لان الصيد لمن صاده

قال المصنف رحمه الله تعالى

(فصل)

ويجوز تعليق لوصية على شرط في الحياة لانها تجوز في المجهول فجاز تعليقها بالشرط كالطلاق والعتاق،

ويجوز تعليقها على شرط بعد الموت
لان ما بعد الموت في الوصية كحال الحياة، فإذا جاز تعليقها على شرط في الحياة جاز بعد الموت.

(فصل)
وإن كانت الوصية لغير معين كالفقراء لزمت بالموت لانه لا يمكن اعتبار القبول فلم يعتبر، وإن كانت لمعين لم تلزم إلا بالقبول لانه تمليك لمعين." <المجموع شرح المهذب النووي ٤٢٩/١٥>

"وقال أحمد بن حنبل: يحنث بأكل رأس كل حيوان من النعم والصيود والطيور والحيتان والجراد.
ووجهه أن هذه الرؤوس حقيقة عرفية مأكولة فحنث بأكلها كما لو حلف لا يأكل لحما فأكل من لحم النعام **والزرافة** وما يندر وجوده وبيعه وعندنا أنها لو صارت حقيقة عرفية وكان الحالف في بلد تباع فيه رءوس الصيود
أو الاسماك منفردة حنث بأكلها.
وفي سريان الحنث على أكلها في بلد آخر وجهان
(أحدهما)
لا يحنث لان الحقيقة العرفية في إطلاق اسم الرؤوس وبيعها لا توجد إلا في البلد الذي تباع فيه الرؤوس ويعتاد أكلها (والثاني) يحنث لان ما ثبت به في بلد يقع به الحنث في كل مكان آخر كخبز الارز الذي لا يصنع إلا في طبرستان، وقد مضى توضيحه (فرع)
إذا حلف لا يأكل البيض وقلنا أن البيض نوعان.
نوع يزايل بائضه في الحياة كبيض الدجاج والحمام والنعام، والآخر لايزايل بائضه كبيض السمك والجراد، فإن الحنث لا يتعلق إلا بالنوع الاول، لانه يؤكل منفردا ويباع منفردا، سواء كثر وجوده كبيض الدجاج أو قل وجوده كبيض النعام، وبهذا قال أحمد، وقال أصحاب الرأى لا يحنث بأكل بيض النعام.
وقال أبو ثور لا يحنث إلا بأكل بيض الدجاج وما يباع في السوق ولنا أن هذا كله بيض حقيقة وعرفا وهو مأكول فيحنث بأكله كبيض الدجاج، ولانه لو حلف لا يشرب ماء فشرب ماء البحر حنث أو ماء نجسا، أو لا يأكل خبزا فأكل خبز الارز أو الذرة أو البتاو، وهو خبز أهل الصعيد، ويصنع من الذرة الصفراء أو القيظى مع قليل من الحلبة، وهو يختلف عن خبز المدن، فإذا حلف أن لا يأكل خبزا فأكل البتاو في

مكان لم يعتد فيه أكله حنث لانه خبز ولافرق بينه وبين الفنيو وأما أكل بيض السمك أو الجراد فكما تقرر لا يحث إلا بأكل بيض يزايل بائضه في الحياة، وبهذا قال أبو ثور وأصحاب الرأى وأبو الخطاب من الحنابلة وأكثر العلماء، لان هذا لا يفهم من إطلاق اسم البيض، ولا يذكر إلا مضافا إلى بائضه، ولا يحنث بأكل شئ يسمى بيضا غير بيض الحيوان ولا بأكل شئ يسمى رأسا غير رءوس الانعام إلا فيما فيه الاوجه المذكورة آنفا." <المجموع شرح المهذب النووي ١٨/٦٣>

"لتقيدهما بما يحتمله (خلا) جلد (خنزير) فلا يطهر، وقدم؛ لأن المقام للإهانة (وآدمي) فلا يدبغ لكرامته، ولو دبغ طهر وإن حرم استعماله، حتى لو طحن عظمه في دقيق لم يؤكل في الأصح احتراما. وأفاد كلامه طهارة جلد كلب وفيل وهو المعتمد.

(وما) أي إهاب (طهر به) بدباغ

ـــــــQقوله لتقيدهما) أي الذكاة والدباغ بما يحتمله أي يحتمل الدباغ، وكان الأولى إفراد الضمير ليعود على الذكاة فقط؛ لأن تقيد الدباغ بذلك مصرح به قبله.

وعبارة البحر عن التجنيس: لأن الذكاة إنما تقام مقام الدباغ فيما يحتمله.

وفي أبي السعود عن خط الشرنبلالي: الذي يظهر لي الفرق بين الذكاة والدباغة لخروج الدم المسفوح بالذكاة وإن كان الجلد لا يحتمل الدباغة. اهـ. قلت: لكن أكثر الكتب على عدم الفرق كما يأتي (قوله خلا جلد خنزير إلخ) قيل: إن جلد الآدمي كجلد الخنزير في عدم الطهارة بالدبغ لعدم القابلية؛ لأن لهما جلودا مترادفة بعضها فوق بعض فالاستثناء منقطع.

وقيل: إن جلد الآدمي إذا دبغ طهر، لكن لا يجوز الانتفاع به كسائر أجزائه، كما نص عليه في الغاية، وحينئذ فلا يصح الاستثناء.

وأجيب بأن معنى طهر جاز استعماله والعلاقة السببية والمسببية لا اللزوم كما قيل، إذ لا يلزم من الطهارة جواز الانتفاع كما علمته، لكن علة عدم الانتفاع بهما مختلفة، ففي الخنزير لعدم الطهارة، وفي الآدمي لكرامته كما أشار إليه الشارح. قال في النهر: وهذا مع ما فيه من العدول عن المعنى الحقيقي أولى.

اهـ أي لموافقته المنقول في المذهب وإلى اختياره أشار الشارح بقوله ولو دبغ طهر، قال ط: وإنما قدر جلد؛ لأن الكلام فيه لا في كل الماهية (قوله فلا يطهر) أي؛ لأنه نجس العين، بمعنى أن ذاته بجميع

أجزائه نجسة حيا وميتا، فليست نجاسته لما فيه من الدم كنجاسة غيره من الحيوانات، فلذا لم يقبل التطهير في ظاهر الرواية عن أصحابنا إلا في رواية عن أبي يوسف ذكرها في المنية (قوله وقدم إلخ) لما كانت البداءة بالشيء وتقديمه على غيره تفيد الاهتمام بشأنه وشرفه على ما بعده، بين أن ذلك في غير مقام الإهانة، أما فيه فالأشرف يؤخر كقوله تعالى {لهدمت صوامع} [الحج: ٤٠] الآية؛ لأن الهدم إهانة فقدمت صوامع الصابئة أو الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود أي كنائسهم، وأخرت مساجد المسلمين لشرفها. وهنا الحكم بعدم الطهارة إهانة كذا قيل. أقول: وإنما تظهر هذه النكتة على أن الاستثناء من الطهارة لا من جواز الاستعمال الثابت للمستثنى منه فإن عدمه الثابت للمستثنى ليس بإهانة (قوله وإن حرم استعماله) أي استعمال جلده أو استعمال الآدمي بمعنى أجزائه وبه يظهر التفريع بعده (قوله احتراما) أي لا نجاسة (قوله وأفاد كلامه) حيث لم يستثن من مطلق الإهاب سوى الخنزير والآدمي (قوله وهو المعتمد) أما في الكلب فبناء على أنه ليس بنجس العين، وهو أصح التصحيحين كما يأتي.:

وأما في الفيل فكذلك كما هو قولهما، وهو الأصح خلافا لمحمد، فقد روى البيهقي " أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يمتشط بمشط من عاج " وفسره الجوهري وغيره بعظم الفيل. قال في الحلية: وخطئ الخطابي في تفسيره له بالذبل. اهـ. والذبل بالذال المعجمة: جلد السلحفاة البحرية أو البرية أو عظام ظهر دابة بحرية قاموس. وفي الفتح: هذا الحديث يبطل قول محمد بنجاسة عين الفيل.

(قوله بدباغ) بدل من الضمير المجرور بإعادة الجار فلا يطهر بذكاة ما لا يطهر بالدباغ مما لا يحتمله كما مر، فلو صلى ومعه جلد حية مذبوحة أكثر من قدر الدرهم لا تجوز صلاته كما في المحيط والخانية والولوالجية. وما في الخلاصة من أن الحية والفأرة وكل ما لا يكون سؤره نجسا لو صلى بلحمه مذبوحا تجوز مشكل كما في الفتح وتمامه في الحلية.." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ١/٢٠٤>

"مطلقا كسقط (حيوان دموي) غير مائي لما مر (وانتفخ) أو تمعط (أو تفسخ) ولو تفسخه خارجها ثم وقع فيها ذكره الوالي (ينزح كل مائها) الذي كان فيها وقت الوقوع ذكره ابن الكمال (بعد إخراجه) لا إذا تعذر كخشبة أو خرقة متنجسة فبنزح الماء إلى حد لا يملأ نصف الدلو يطهر الكل تبعا؛ ولو نزح بعضه ثم زاد في الغد نزح قدر الباقي

ــــــــQأنها مستعملة فافهم (قوله مطلقا) أي غسل أو لا. وفي جنائز البحر: واتفقوا على أن الكافر لا يطهر بالغسل، أنه لا تصح صلاة حامله بعده. اهـ.

أقول: وهذا مؤيد أيضا للقول بأن نجاسة الميت للخبث لا للحدث، ومؤيد لما قلناه آنفا فافهم (قوله كسقط) أطلقه تبعا للبحر والقهستاني. وقيده في الخانية بما إذا لم يستهل قال: فإنه يفسد الماء القليل وإن غسل، أما إذا استهل فحكمه حكم الكبير إن وقع بعدما غسل لا يفسد اهـ وعلى هذا حكم صلاة حامله كما في الخانيۃ أيضا، وفيها أيضا البيضة الرطبة أو السخلة إذا وقعت من الدجاجة أو الشاة في الماء لا تفسده. اهـ فافهم (قوله لما مر) أي في باب المياه من أن غير الدموي كزنبور وعقرب لا يفسد الماء وكذا مائي المولد كسمك وسرطان فهو تعليل للقيدين فافهم (قوله وانتفخ) أي تورم وتغير عن صفة الحيوان قهستاني، وقوله أو تمعط: أي سقط شعره، وقوله أو تفسخ: أي تفرقت أعضاؤه عضوا عضوا، ولا فرق بين الصغير والكبير كالفأرة والآدمي **والفيل**؛ لأنه تنفصل بلته وهي نجسة مائعة، فصارت كقطرة خمر، ولهذا لو وقع ذنب فأرة ينزح الماء كله بحر، وبه ظهر أنه لو جرح الحيوان بلا تفسخ ونحوه ينزح الجميع كما في الفتح وإن قطعة منه كتفسخه، ولهذا قال في الخانية: قطعة من لحم الميتة تفسده (قوله ينزح كل مائها) أي دون الطين لورود الآثار بنزح الماء، لكن لا يطين المسجد بطينها احتياطا بحر (قوله الذي كان فيها وقت الوقوع) فلو زاد بعدہ قبل النزح لا يجب نزح الزائد وهو أحد قولين وسيأتي اعتبار وقت النزح، وعليه فيجب نزح الزائد ويأتي تمامه.

بقي لو لم يكن فيه القدر الواجب وقت الوقوع ثم زاد وبلغه هل يعتبر وقت الوقوع أيضا؟ ظاهر كلامه نعم، وقد ذكر في البحر أنه لو بلغه بعد النزح لا ينزح منه شيء (قوله بعد إخراجه) إذ النزح قبله لا يفيد؛ لأن الواقع سبب للنجاسة ومع بقائه لا يمكن الحكم بالطهارة بحر (قوله إلا إذا تعذر إلخ) كذا في السراج. واعترضه في البحر بأن هذا إنما يستقيم فيما إذا كانت البئر معينا لا تنزح وأخرج منها المقدار المعروف، أما إذا كانت غير معين فإنه لا بد من إخراجها لوجوب نزح جميع الماء. اهـ

أقول: قد يتعذر الإخراج وإن كان الواجب نزح الجميع؛ لأن الواجب الإخراج قبل النزح لا بعده كما علمته (قوله متنجسة) نعت لكل من الخشبة والخرقة، وإنما أفرده للعطف بأو التي هي لأحد الشيئين، وأشار بقوله متنجسة إلى أنه لا بد من إخراج عين النجاسة كلحم ميتة وخنزير. اهـ ح. قلت: فلو تعذر أيضا ففي القهستاني عن الجواهر: لو وقع عصفور فيها فعجزوا عن إخراجه فمادام فيها فنجسة فتترك مدة يعلم أنه

استحال وصار حمأة، وقبل مدة ستة أشهر. اهـ (قوله فبنزح) بالباء الموحدة متعلق بيطهر بعده ط (قوله يطهر الكل) أي من الدلو والرشاء والبكرة ويد المستقي تبعا؛ لأن نجاسة هذه الأشياء بنجاسة البئر فتطهر بطهارتها للحرج كدن الخمر يطهر تبعا إذا صار خلا وكيد المستنجي تطهر بطهارة المحل وكعروة الإبريق إذا كان في يد المستنجي نجاسة رطبة." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٢١٢/١>

"للعفو عنهما.

(وبعرتي إبل وغنم، كما) يعفى (لو وقعتا في محلب) وقت الحلب (فرميتا) فورا قبل تفتت وتلون، والتعبير بالبعرتين اتفاقي؛ لأن ما فوق ذلك كذلك، ذكره في الفيض وغيره، ولذا قال (قيل القليل المعفو عنه ما يستقله الناظر والكثير بعكسه وعليه الاعتماد) كما في الهداية وغيرها؛ لأن أبا حنيفة لا يقدر شيئا بالرأي.

[فرع] البعد بين البئر والبالوعة بقدر ما لا يظهر للنجس أثر (ويعتبر سؤر بمسئر) اسم فاعل من أسأر: أي أبقى لاختلاطه بلعابه (فسؤر آدمي مطلقا) ولو جنبا أو كافرا أو امرأة، نعم يكره سؤرها للرجل كعكسه للاستلذاذ واستعمال ريق الغير، وهو لا يجوز مجتبى.

ـــــــQقوله وبعرتي إبل وغنم) أي لا نزح بهما، وهذا استحسان. قال في الفيض: فلا ينجس إلا إذا كان كثيرا، سواء كان رطبا أو يابسا، صحيحا أو منكسرا. ولا فرق بين أن يكون للبئر حاجز كالمدن أو لا كالفلوات هو الصحيح. اهـ. وفي التتارخانية: ولم يذكر محمد في الأصل روث الحمار والخنثى. واختلفوا فيه، فقيل ينجس ولو قليلا أو يابسا، وقيل لو يابسا فلا، وأكثرهم على أنه لو فيه ضرورة وبلوى لا ينجس وإلا نجس. اهـ

مطلب في الفرق بين الروث والخنثى والبعر والخرء والنجو والعذرة [فائدة] قال نوح أفندي: الروث للفرس والبغل والحمار، والخنثى بكسر فسكون للبقر والفيل، والبعر للإبل والغنم، والخرء للطيور، والنجو للكلب، والعذرة للإنسان (قوله في محلب) بكسر الميم: ما يحلب فيه قاموس (قوله وقت الحلب) فلو وقعت في غير زمان الحلب فهو كوقوعها في سائر الأواني فتنجس في الأصح؛ لأن الضرورة إنما هي زمان الحلب؛ لأن من عادتها أن تبعر ذلك الوقت، والاحتراز عنه عسير، ولا كذلك غيره. اهـ شارح منية (قوله قبل تفتت

وتلون) قال في العناية تبعا للخانية: فلو تفتتت أو أخذ اللبن لونها ينجس.
اهـ فتال (قوله والتعبير بالبعرتين) أي في مسألتي البئر والمحلب كما أفاده في الشرنبلالية عن الفيض (قوله اتفاقي) اعلم أن بعضهم فهم من تقييد محمد في الجامع الصغير بالبعرة أو البعرتين أنه احتراز عن الثلاث بناء على أن مفهوم العدد في الرواية معتبر. قال في البحر: وهذا الفهم إنما يتم لو اقتصر محمد على ذلك مع أنه قال لا يفسد ما لم يكن كثيرا فاحشا والثلاث ليس بكثير فاحش، كذا نقل عبارة الجامع في المحيط وغيره. اهـ.
فأشار الشارح إلى أن قول المصنف وبعرتي إبل وغنم المراد منه القليل لا خصوص الثنتين، وحمل قوله وقيل إلخ على بيان حد القليل والكثير ليفيد أن ذلك ليس قولا آخر كما قد يتوهم، وإنما عبر عنه المصنف بقوله وقيل ليفيد وقوع الخلاف في حده، فإن فيه أقوالا صحح منها قولان أرجحهما هذا، والثاني أن ما لا يخلو دلو عن بعرة فهو كثير صححه في النهاية وعزاه إلى المبسوط فافهم (قوله ذكره في الفيض) لم يصرح في الفيض بهذه العبارة وإنما يفهم من قوله إلا إذا كان كثيرا كما قدمناه.
(قوله وعليه الاعتماد) وصححه في البدائع والكافي وكثير من الكتب بحر، وفي الفيض: وبه يفتى (قوله لا يقدر إلخ) أي أن عادة الإمام – رحمه الله تعالى – أن ما كان محتاجا إلى تقدير بعدد أو مقدار مخصوص ولم يرد فيه نص لا يقدره بالرأي، وإنما يفوضه إلى رأي المبتلى، فلذا كان هذا القول أرجح

[فرع البعد المانع من وصول نجاسة البالوعة إلى البئر]
(قوله البعد إلخ) اختلف في مقدار البعد المانع من وصول نجاسة البالوعة إلى البئر، ففي رواية خمسة أذرع، وفي رواية سبعة. وقال الحلواني: المعتبر الطعم أو اللون أو الريح، فإن لم يتغير جاز وإلا لا ولو كان عشرة أذرع.
وفي الخلاصة والخانية: والتعويل عليه وصححه في المحيط بحر.
والحاصل أنه يختلف بحسب رخاوة الأرض وصلابتها، ومن قدره اعتبر حال أرضه.." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ١/٢٢١>
"قيد للكل (طاهر) طهور بلا كراهة.

(و) سؤر (خنزير وكلب وسباع بهائم) ومنه الهرة البرية (وشارب خمر فور شربها) ولو شاربه طويلا لا يستوعبه اللسان فنجس ولو بعد زمان (وهرة فور أكل فأرة نجس) مغلظ.

(و) سؤر هرة (ودجاجة مخلاة) وإبل وبقر جلالة،

ـــــــQعن البحر (قوله قيد للكل) أي للآدمي ومأكول اللحم وما لا دم له ط (قوله طاهر) أي في ذاته طهور: أي مطهر لغيره من الأحداث والأخباث ط.

(قوله وسؤر خنزير) قدر لفظ سؤر إشارة إلى أن لفظ خنزير مجرور بمضاف حذف وأبقي عمله وهو قليل، والأولى رفعه لقيامه مقام المضاف. قال الزيلعي: ولا يجوز عطفه على المجرور قبله؛ لأنه يلزم منه العطف على معمولي عاملين مختلفين كما أوضحه في البحر (قوله وسباع بهائم) هي ما كان يصطاد بنابه كالأسد والذئب والفهد والنمر والثعلب **والفيل** والضبع وأشباه ذلك سراج (قوله فور شربها) أي بخلاف ما إذا مكث ساعة ابتلع ريقه ثلاث مرات بعد لحس شفتيه بلسانه وريقه ثم شرب فإنه لا ينجس، ولا بد أن يكون المراد إذا لم يكن في بزاقه أثر الخمر من طعم أو ريح. اهـ حلية (قوله لا يستوعبه اللسان) أي لا يتمكن أن يعمه بريقه (قوله ولو بعد زمان) أي ولو كان شربه الماء بعد زمان طويل. وفي أنجاس التتارخانية عن الحاوي: وقيل إذا كان الإناء مملوءا ينجس الماء والإناء بملاقاة فمه وإلا فلا. اهـ أي؛ لأنه إذا لم يكن مملوءا يكون الماء واردا على الشارب فإذا ابتلعه يكون كالجاري (قوله فور أكل فأرة) فإن مكثت ساعة ولحست فمها فمكروه منية، ولا ينجس عندهما. وقال محمد: ينجس؛ لأن النجاسة لا تزول عنده إلا بالماء، وينبغي أن لا ينجس على قوله إذا غابت غيبة يجوز معها شربها من ماء كثير حلية (قوله مغلظ) وفي رواية عن الثاني أن سؤر ما لا يؤكل كبول ما يؤكل، والذي يظهر ترجيح الأول بحر.

(قوله مخلاة) بتشديد اللام: أي مرسلة تخالط النجاسات ويصل منقارها إلى ما تحت قدميها، أما التي تحبس في بيت وتعلف فلا يكره سؤرها؛ لأنها لا تجد عذرات غيرها حتى تجول فيها وهي في عذرات نفسها لا تجول بل تلاحظ الحب بينه فتلتقطه كما حققه في الفتح، وتمامه في البحر (قوله وإبل وبقر جلالة) أي تأكل النجاسة إذا جهل حالها، فإن علم حال فمها طهارة ونجاسة فسؤرها مثله. اهـ مقدسي.

أقول: الظاهر أنه أراد بالجلالة غير التي أنتن لحمها من أكل النجاسة، إذ لو أنتن فالظاهر الكراهة بلا تفصيل؛ لأنهم صرحوا؛ لأنها لا يضحي بها كما يأتي في الأضحية. قال في شرح الوهبانية: وفي المنتقى الجلالة المكروهة التي إذا قربت وجدت منها رائحة، فلا تؤكل ولا يشرب لبنها ولا يعمل عليها، ويكره بيعها وهبتها وتلك حالها، وذكر البقالي أن عرقها نجس. اهـ وصرح المصنف في الحظر والإباحة أنه يكره لحم الأتان والجلالة. قال الشارح هناك: وتحبس الجلالة حتى يذهب نتن لحمها. وقدر بثلاث أيام لدجاجة، وأربعة لشاة، وعشرة لإبل وبقر على الأظهر، ولو أكلت النجاسة وغيرها بحيث لم ينتن لحمها حلت. اهـ. وبه علم أن الجلالة التي يكره سؤرها هي التي لا تأكل إلا النجاسة حتى أنتن لحمها؛ لأنها حينئذ غير مأكولة، ولذا قال في الجوهرة: فإن كانت تخلط أو أكثر علفها علف الدواب لا يكره سؤرها. اهـ.." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ١/٢٢٣>

"أي: برطوبة الفرج، فيكون مفرعا على قولهما بنجاستها، أما عنده فهي طاهرة كسائر رطوبات البدن جوهرة (وإلا) يكن يابسا أو لا رأسها طاهرا (فيغسل) كسائر النجاسات ولو دما عبيطا على المشهور (بلا فرق بين منيه) ولو رقيقا لمرض به (ومنيها) ولا بين مني آدمي وغيره كما بحثه الباقاني (ولا بين ثوب) ولو جديدا أو مبطنا

ـــــــQإذا خرج المني ولم ينتشر على رأس الذكر لا تلوث فيه أفاده ط. (قوله: برطوبة الفرج) أي: الداخل بدليل قوله أولج. وأما رطوبة الفرج الخارج فطاهرة اتفاقا اهـ ح. وفي منهاج الإمام النووي رطوبة الفرج ليست بنجسة في الأصح. قال ابن حجر في شرحه: وهي ماء أبيض متردد بين المذي والعرق يخرج من باطن الفرج الذي لا يجب غسله، بخلاف ما يخرج مما يجب غسله فإنه طاهر قطعا، ومن وراء باطن الفرج فإنه نجس قطعا ككل خارج من الباطن كالماء الخارج مع الولد أو قبيله. اهـ. وسنذكر في آخر باب الاستنجاء أن رطوبة الولد طاهرة وكذا السخلة والبيضة. (قوله: أما عنده) أي: عند الإمام، وظاهر كلامه في آخر الفصل الآتي أنه المعتمد. (قوله: أو لا رأسها طاهرا) أو مانعة الخلو مجوزة الجمع، فيصدق بما إذا كان يابسا ورأسها غير طاهر، أو رطبا ورأسها طاهر، أو لم يكن يابسا ولا رأسها طاهرا. وفي بعض النسخ بالواو بدل أو، وهو سهو من الناسخ. اهـ. ح.

أقول: لا سهو بل غاية ما يلزمه أنه تصريح ببعض الصور وهو صورة الجمع دون صورتي الانفراد فافهم. (قوله: ولو دما عبيطا) بالعين المهملة: أي: طريا مغرب وقاموس أي: ولو كانت النجاسة دما عبيطا فإنها

لا تطهر إلا بالغسل على المشهور لتصريحهم بأن طهارة الثوب بالفرك إنما هو في المني لا في غيره بحر، فما في المجتبى لو أصاب الثوب دم عبيط فيبس فحته طهر كالمني فشاذ نهر، وكذا ما في القهستاني عن النوازل أن الثوب يطهر عن العذرة الغليظة بالفرك قياسا على المني. اهـ. نعم لو خرج المني دما عبيطا فالظاهر طهارته بالفرك. (قوله: بلا فرق) أي: في فركه يابسا وغسله طريا (قوله: ومنيها) أي: المرأة كما صححه في الخانية، وهو ظاهر الرواية عندنا كما في مختارات النوازل وجزم في السراج وغيره بخلافه ورجحه في الحلية بما حاصله: إن كلامهم متظافر على أن الاكتفاء بالفرك في المني استحسان بالأثر على خلاف القياس، فلا يلحق به إلا ما في معناه من كل وجه، والنص ورد في مني الرجل ومني المرأة ليس مثله لرقته وغلظ مني الرجل، والفرك إنما يؤثر زوال المفروك أو تقليله وذلك فيما له جرم، والرقيق المائع لا يحصل من فركه هذا الغرض فيدخل مني المرأة إذا كان غليظا ويخرج مني الرجل إذا كان رقيقا لعارض اهـ

أقول: وقد يؤيد ما صححه في الخانية بما صح «عن عائشة – رضي الله عنها – كنت أحك المني من ثوب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يصلي» ولا خفاء أنه كان من جماع؛ لأن الأنبياء لا تحتلم، فيلزم اختلاط مني المرأة به، فيدل على طهارة منيها بالفرك بالأثر لا بالإلحاق فتدبر. (قوله: كما بحثه الباقاني) لعله في شرحه على النقاية. وأما في شرحه على الملتقى فلم أجده فيه، وسبقه إلى ذلك القهستاني فقال: والمني شامل لكل حيوان فينبغي أن يطهر به اهـ أي: بالفرك.

وفي حاشية أبي السعود: لا فرق بين مني الآدمي وغيره كما في الفيض والقهستاني أيضا، خلافا لما نقله الحموي عن السمرقندي من تقييده بمني الآدمي. اهـ.

أقول: المنقول في البحر والتتارخانية أن مني كل حيوان نجس، وأما عدم الفرق في التطهير فمحتاج إلى نقل، وما مر عن السمرقندي متجه ولذا قال: ح إن الرخصة وردت في مني الآدمي على خلاف القياس فلا يقاس عليه غيره، فإن الحق دلالة يحتاج إلى بيان أن مني غير الآدمي خصوصا مني الخنزير والكلب **والفيل** الداخل في عموم كلامه في معنى مني الآدمي ودونه خرط القتاد. اهـ.." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ١/٣١٣>

"وقمل وبرغوث وبق. زاد في السراج وكتان وهي كما في القاموس كرمان: دويبة حمراء لساعة، فالمستثنى اثنا عشر

(وخمر) وفي باقي الأشربة روايات التغليظ والتخفيف والطهارة. ورجح في البحر الأول. وفي النهر الأوسط.

(وخرء) كل طير لا يذرق في الهواء كبط أهلي (ودجاج) أما ما يذرق فيه، فإن مأكولا فطاهر وإلا فمخفف (وروث وخثي) أفاد بهما نجاسة خرء كل حيوان غير الطيور. وقالا: مخففة. وفي الشرنبلالية قولهما أظهر، ـــــــQالسمك الكبير إذا سال منه شيء في ظاهر الرواية بحر. (قوله: وقمل وبرغوث وبق) أي: وإن كثر بحر ومنية. وفيه تعريض بما عن بعض الشافعية أنه لا يعفى عن الكثير منه، وشمل ما كان في البدن والثوب تعمد إصابته أو لا. اهـ. حلية، وعليه فلو قتل القمل في ثوبه يعفى عنه، وتمامه في الحلية. ولو ألقاه في زيت ونحوه لا ينجسه لما مر في كتاب الطهارة من أن موت ما لا نفس له سائلة في الإناء لا ينجسه.
وفي الحلية البرغوث بالضم والفتح قليل. (قوله: كرمان) هو الثمر المعروف. (قوله: دويبة) بضم ففتح فسكون للياء المثناة وتشديد للباء الموحدة تصغير دابة. (قوله: لساعة) أي: شديدة اللسع: وهو العض وتمامه في ح

(قوله: وخمر) هذا ما في عامة المتون. وفي القهستاني عن فتاوى الديناري قال الإمام خواهر زاده: الخمر تمنع الصلاة وإن قلت، بخلاف سائر النجاسات. اهـ. (قوله: وفي باقي الأشربة) أي: المسكرة ولو نبيذا على قول محمد المفتى به ط. (قوله: وفي النهر الأوسط) واستدل بما في المنية: صلى وفي ثوبه دون الكثير الفاحش من السكر أو المنصف تجزيه في الأصح. قال ح: وهو نص في التخفيف، فكان هو الحق؛ لأن فيه الرجوع إلى الفرع المنصوص في المذهب. وأما ترجيع صاحب البحر فبحث منه. اهـ. .
قلت: لكن في القهستاني: وأما سوى الخمر من الأشربة المحرمة فغليظة في ظاهر الرواية خفيفة على قياس قولهما. اهـ. فأفاد أن التخفيف مبني على قولهما أي: لثبوت اختلاف الأئمة، فإن السكر والمنصف وهو الباذق قال بحلهما الإمام الأوزاعي.
ويظهر لي التوفيق بين الروايات الثلاث بأن رواية التغليظ على قول الإمام، ورواية التخفيف على قولهما، ورواية الطهارة خاصة بالأشربة المباحة. وينبغي ترجيح التغليظ في الجميع. يدل عليه ما في غرر الأفكار من كتاب الأشربة حيث قال: وهذه الأشربة عند محمد وموافقيه كخمر بلا تفاوت في الأحكام وبهذا يفتى في زماننا. اهـ. فقوله: بلا تفاوت في الأحكام يقتضي أنها مغلظة فتدبر

(قوله: لا يذرق) بالذال المعجمة أو بالزاي ح عن القاموس. (قوله: كبط أهلي) أما إن كان يطير ولا يعيش بين الناس فكالحمامة بحر عن البزازية، وجعله كالحمامة موافق لرواية الكرخي كما يأتي. (قوله: ودجاج) بتثليث الدال يقع على الذكر والأنثى حلية. (قوله: فإن مأكولا) كحمام وعصفور. (قوله: فطاهر) وقيل: معفو عنه لو قليلا لعموم البلوى، والأول أشبه، وهو ظاهر البدائع والخانية حلية. (قوله: وإلا فمخفف) أي: وإلا يكن مأكولا كالصقر والبازي والحدأة، فهو نجس مخفف عنده مغلظ عندهما، وهذه رواية الهندواني. وروى الكرخي أنه طاهر عندهما مغلظ عند محمد، وتمامه في البحر ويأتي. (قوله: وروث وخثي) قدمنا في فصل البئر أن الروث للفرس والبغل والحمار، والخثي بكسر فسكون للبقر **والفيل**، والبعر للإبل والغنم، والخرء للطيور، والنجو للكلب، والعذرة للإنسان. (قوله: أفاد بهما نجاسة خرء كل حيوان) أراد بالنجاسة المغلظة؛ لأن الكلام فيها ولانصراف الإطلاق إليها كما يأتي، ولقوله وقالا مخففة، وأراد بالحيوان ما له روث أو خثي: أي: سواء كان مأكولا كالفرس والبقر، أو لا كالحمام وإلا فخرء الآدمي وسباع البهائم متفق على تغليظه كما في الفتح والبحر وغيرهما فافهم. (قوله: وفي الشرنبلالية إلخ) عزاه فيها إلى [مواهب الرحمن] لكن في النكت للعلامة قاسم أن قول الإمام بالتغليظ رجحه في المبسوط وغيره اهـ ولذا جرى عليه أصحاب المتون." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ١/٣٢٠>

"لكن في الاختيار: الأفضل في زماننا قدر ما لا يثقل عليهم، وأقره المصنف وغيره. وفي المجتبى عن الإمام: لو قرأ ثلاثا قصارا أو آية طويلة في الفرض فقد أحسن ولم يسئ، فما ظنك بالتراويح؟ وفي فضائل رمضان للزاهدي: أفتى أبو الفضل الكرماني والوبري أنه إذا قرأ في التراويح الفاتحة وآية أو آيتين لا يكره، ومن لم يكن عالما بأهل زمانه فهو جاهل.

(ويأتي الإمام والقوم بالثناء في كل شفع، ويزيد) الإمام (على التشهد، إلا أن يمل القوم فيأتي بالصلوات) ويكتفي باللهم صل على محمد لأنه الفرض عند الشافعي

(ويترك الدعوات) ويجتنب المنكرات هذرمة القراءة، وترك تعوذ وتسمية، وطمأنينة، وتسبيح، واستراحة

(وتكره قاعدا) لزيادة تأكدها، حتى قيل لا تصح (مع القدرة على القيام) كما يكره تأخير القيام إلى ركوع الإمام للتشبه بالمنافقين.

(ولو تركوا الجماعة في الفرض لم يصلوا التراويح جماعة) لأنها تبع فمصليه وحده يصليها معه.

(ولو لم يصلها) أي التراويح (بالإمام) أو صلاها مع غيره (له أن يصلي الوتر معه) بقي لو تركها الكل هل يصلون الوتر بجماعة؟ فليراجع.

ـــــــQوفي شرح المنية: ثم إذا ختم قبل آخر الشهر قيل لا يكره له ترك التراويح فيما بقي لأنها شرعت لأجل ختم القرآن مرة قال أبو علي النسفي، وقيل يصليها ويقرأ فيها ما شاء ذكره في الذخيرة اهـ.

(قوله الأفضل في زماننا إلخ) لأن تكثير الجمع أفضل من تطويل القراءة حلية عن المحيط. وفيه إشعار بأن هذا مبني على اختلاف الزمان، فقد تتغير الأحكام لاختلاف الزمان في كثير من المسائل على حسب المصالح، ولهذا قال في البحر: فالحاصل أن المصحح في المذهب أن الختم سنة لكن لا يلزم منه عدم تركه إذا لزم منه تنفير القوم وتعطيل كثير من المساجد خصوصا في زماننا فالظاهر اختيار الأخف على القوم.

(قوله وفي المجتبى إلخ) عبارته على ما في البحر: والمتأخرون كانوا يفتون في زماننا بثلاث آيات قصار أو آية طويلة حتى لا يمل القوم ولا يلزم تعطيلها، فإن الحسن روى عن الإمام أنه إن قرأ في المكتوبة بعد الفاتحة ثلاث آيات فقد أحسن ولم يسئ، هذا في المكتوبة فما ظنك في غيرها؟ اهـ.

(قوله وآية أو آيتين) أي بقدر ثلاث آيات قصار بدليل عبارة المجتبى، وإلا فلو دون ذلك كره تحريما لما في المنية وشرحها في بحث صفة الصلاة: لو قرأ مع الفاتحة آية قصيرة أو آيتين قصيرتين لم يخرج عن حد كراهة التحريم، وإن قرأ ثلاثا قصارا أو كانت الآية أو الآيتان تعدل ثلاث آيات قصارا خرج عن حد الكراهة المذكورة ولكن لم يدخل في حد الاستحباب. وينبغي أن يكون فيه كراهة تنزيه إلخ أي لأن السنة قراءة المفصل، فقوله هنا لا يكره أي لا تحريما ولا تنزيها، وإن كره في الفرائض تنزيها فافهم.

هذا، وفي التجنيس: واختار بعضهم سورة الإخلاص في كل ركعة، وبعضهم سورة الفيل: أي البداءة منها ثم يعيدها، وهذا أحسن لئلا يشتغل قلبه بعدد الركعات. قال في الحلية: وعلى هذا استقر عمل أئمة أكثر المساجد في ديارنا إلا أنهم يبدءون بقراءة سورة التكاثر في الأولى والإخلاص في الثانية، وهكذا إلى أن

تكون قراءتهم في التاسعة عشر بسورة تبت وفي العشرين بالإخلاص اه زاد في البحر: وليس فيه كراهة في الشفع الأول من الترويحة الأخيرة بسبب الفصل بسورة واحدة لأنه خاص بالفرائض كما هو ظاهر الخلاصة وغيرها. اهـ.

قلت: لكن الأحوط قراءة النصر وتبت في الشفع الأول من الترويحة الأخيرة، والمعوذتين في الشفع الثاني منها، وبعض أئمة زماننا يقرأ بالعصر والإخلاص في الشفع الأول من كل ترويحة، وبالكوثر والإخلاص في الشفع الثاني.

(قوله ويزيد الإمام إلخ) أي بأن يأتي بالدعوات بحر.

(قوله ويكتفي باللهم صل على محمد) زاد في شرح المنية الصغير: وعلى آل محمد، وكأن الشارح اقتصر على الأول أخذا من التعليل لأن الصلاة على الآل لا تفرض عند الشافعي - رحمه الله تعالى -، بل تسن عنده في التشهد الأخير، وقيل تجب عنده.

(قوله هذرمة) بفتح الهاء وسكون الذال المعجمة وفتح الراء: سرعة الكلام والقراءة قاموس، وهو منصوب على البدلية من المنكرات، ويجوز القطع ح.

(قوله واستراحة) هي القعدة بعد كل أربع، وقد مر أنها مندوبة، وبه يعلم أن المراد بالمنكرات مجموع."

<الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٤٧/٢>

"بمزدلفة لا شيء عليه (وكبر وهلل ولبى وصلى) على المصطفى (ودعا، وإذا أسفر) جدا (أتى منى) مهللا مصليا، فإذا بلغ بطن محسر أسرع قدر رمية حجر لأنه موقف النصارى

(ورمى جمرة العقبة من بطن الوادي) ويكره تنزيها من فوق

ـــــــQواجب الوقوف بمزدلفة، فالأولى تقييد خوف الزحمة بالمرأة، ويحمل إطلاق المحيط عليه لكون ذلك عذرا ظاهرا في حقها يسقط به الواجب بخلاف الرجل، أو يحمل على ما إذا خاف الزحمة لنحو مرض، ولذا قال في السراج إلا إذا كانت به علة أو مرض أو ضعف فخاف الزحام فدفع ليلا فلا شيء عليه اه لكن قد يقال: إن غيره من مناسك الحج لا يخلو من الزحمة، وقد صرحوا بأنه لو أفاض من عرفات

لخوف الزحام وجاوز حدودها قبل الغروب لزمه دم ما لم يعد قبله، وكذا لو ند بعيره فتبعه كما صرح به في الفتح، على أنه يمكنه الاحتراز عن الزحمة بالوقوف بعد الفجر لحظة فيحصل الواجب ويدفع قبل دفع الناس، وفيه ترك مد الوقوف المسنون لخوف الزحمة، وهو أسهل من ترك الواجب الذي قيل بأنه ركن. وقد يجاب بأن خوف الزحام لنحو عجز ومرض إنما جعلوه عذرا هنا لحديث «أنه - صلى الله عليه وسلم - قدم ضعفة أهله بليل» ولم يجعل عذرا في عرفات لما فيه من إظهار مخالفة المشركين فإنهم كانوا يدفعون قبل الغروب فليتأمل.

(قوله لا شيء عليه) وكذا كل واجب إذا تركه بعذر لا شيء عليه كما في البحر: أي بخلاف فعل المحظور لعذر كلبس المخيط ونحوه، فإن العذر لا يسقط الدم كما سيأتي في الجنايات، وبه سقط ما أورده في الشرنبلالية بقوله لكن يرد عليه ما نص الشارع بقوله: - {فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية} [البقرة: ١٩٦]- اهـ نعم يرد ما قدمناه آنفا عن الفتح من أنه لو جاوز عرفات قبل الغروب لند بعيره أو لخوف الزحمة لزمه دم، وقد يجاب بما سيأتي عن شرح اللباب في الجنايات عند قول اللباب، ولو فاته الوقوف بمزدلفة بإحصار فعليه دم من أن هذا عذر من جانب المخلوق فلا يؤثر. اهـ. لكن يرد عليه جعلهم خوف الزحمة هنا عذرا في ترك الوقوف بمزدلفة وعلمت جوابه فتأمل (قوله ودعا) رافعا يديه إلى السماء ط عن الهندية (قوله وإذا أسفر جدا) فاعل أسفر اليوم أو الصبح، وفاعله مما لا يذكر ذكره قرا حصاري قال الحموي: ولم أقف على أنه مما لا يذكر في شيء من كتب النحو واللغة، وفسر الإمام الإسفار بحيث لا يبقى إلى طلوع الشمس إلا مقدار ما يصلي ركعتين، وإن دفع بعد طلوع الشمس أو قبل أن يصلي الناس الفجر فقد أساء ولا شيء عليه هندية ط وما وقع في نسخ القدوري وإذا طلعت الشمس أفاض الإمام قال في الهداية إنه غلط لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - دفع قبل طلوع الشمس وتمامه في الشرنبلالية (قوله فإذا بلغ بطن محسر) أي أول واديه شرح اللباب.

وفي البحر: وادي محسر موضع فاصل بين منى ومزدلفة ليس من واحدة منهما قال الأزرقي وهو خمسمائة ذراع وخمس وأربعون ذراعا. اهـ. (قوله لأنه موقف النصارى) هم أصحاب الفيل ح عن الشرنبلالية.

[مطلب في رمي جمرة العقبة]

(قوله ورمى جمرة العقبة) هي ثالث الجمرات على حد منى من جهة مكة وليست من منى، ويقال لها

الجمرة الكبرى والجمرة الأخيرة قهستاني، ولا يرمي يومئذ غيرها ولا يقوم عندها حتى يأتي منزله ولوالجية (قوله ويكره تنزيها من فوق) أي فيجزيه لأن ما حولها موضع النسك كذا في الهداية إلا أنه خلاف السنة، ففعله – عليه الصلاة والسلام – من أسفلها سنة لا لأنه المتعين، ولذا ثبت رمي خلق كثير في زمن الصحابة من أعلاها، ولم يأمروهم بالإعادة وكأن وجه اختياره – عليه الصلاة والسلام – لذلك هو وجه اختيار حصى الحذف، فإنه يتوقع الأذى إذا رموها من أعلاها." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٥١٢/٢>

"طول التشاجر لا يقطع الفور، وكذا لو خافت فوت الصلاة فصلت أو اشتغلت بالوضوء لصلاة المكتوبة أو اشتغلت بالصلاة المكتوبة لأنه عذر شرعا وكذا عرفا.

(مركب العبد المأذون) والمكاتب (ليس لمولاه في حق اليمين إلا) بشرطين (إذا لم يكن دينه مستغرقا و) قد (نواه) فحينئذ يحنث (حلف لا يركب فاليمين على ما يركبه الناس) عرفا من فرس وحمار (فلو ركب ظهر إنسان) أو بعيرا أو بقرة أو فيلا (لا يحنث) استحسانا إلا بالنية ظهيرية.

ـــــــQعبارته إذا قال لامرأته إذا لم تجيئي إلى الفراش هذه الساعة فأنت طالق وهما في التشاجر فطال بينهما كان على الفور حتى لو ذهبت إلى الفراش لا يحنث اهـ وظاهره ولو كان بعد سكون شهوته فيقيد به ما قبله لكنه خلاف ما يفهم مما نقلناه عن الاختيار فينبغي تقيد هذا بما إذا لم تسكن شهوته فتأمل (قوله وكذا إلخ) وكذا لو أخذها البول فبالت كما قدمناه وقيل الصلاة تقطع الفور لأنها عمل آخر والفتوى على الأول كما في البحر (قوله واشتغلت بالصلاة المكتوبة) أي إذا خافت فوتها كما يعلم مما قبله، وهذا تكرار إلا أن يحمل على ما إذا كان الحلف وهي تصلي تأمل. قال في البحر: ولو اشتغلت بالتطوع أو بالوضوء أو أكلت أو شربت حنث لأن هذا ليس بعذر شرعا. اهـ.

مطلب لا يركب دابة فلان

(قوله مركب العبد المأذون إلخ) يعني لو حلف لا يركب دابة فلان فركب دابة عبده فإنه يحنث بشرطين: الأول أن ينويها. الثاني: أن لا يكون عليه دين مستغرق، أما إذا كان عليه دين مستغرق لا يحنث وإن نوى لأنه لا ملك للمولى فيه عند أبي حنيفة، وإن كان الدين غير مستغرق أو لم يكن عليه دين لا يحنث ما لم

ينوه لأن الملك فيه للمولى لكنه يضاف للعبد عرفا وكذا شرعا قال – صلى الله عليه وسلم – «من باع عبدا وله مال» الحديث فتختل الإضافة إلى المولى فلا بد من النية، وقال أبو يوسف في الوجوه كلها يحنث وإن لم ينو لاعتبار حقيقة الملك إذ الدين لا يمنع وقوعه للسيد عندهما هداية.

قلت: وبه ظهر أن التقييد بالمأذون لأنه محل الخلاف فيحنث في غير المأذون إذا نواه بالأولى اتفاقا (قوله والمكاتب) لم أر من ذكره هنا، ولا يتأتى فيه هذا التفصيل وإنما قال في البحر عن المحيط ولو ركب دابة مكاتبه لا يحنث لأن ملكه ليس بمضاف إلى المولى لا ذاتا ولا يدا اهـ ومقتضاه أنه لا يحنث وإن نواه اتفاقا لأن دابته ملك له لا لمولاه ولذا يضمنها المولى بالإتلاف، سواء كان عليه دين أو لا فتدبر. ثم رأيت القهستاني قال: والإضافة إلى المأذون تشير إلى أنه لو ركب مركب المكاتب لم يحنث (قوله لا يحنث استحسانا) أي وإن كان اسم الدابة لما يدب على الأرض إذا قال دابة فلان لأن العرف خصصه بالركوب المعتاد والمعتاد هو الحمار والبغل والفرس، فيقيد به وإن كان الجمل مما يركب أيضا في الأسفار وبعض الأوقات فلا يحنث بالجمل إلا إذا نواه، وكذا **الفيل** والبقر إذا نواه حنث وإلا لا، وينبغي إن كان الحالف من البدو أن ينعقد على الجمل أيضا بلا نية لأن ركوبه معتاد لهم، وكذا إن كان حضريا جمالا والمحلوف على دابته جمال دخل في يمينه بلا نية، وإذا كان مقتضى اللفظ انعقادها على الأنواع الثلاثة، فلو نوى بعضها دون بعض بأن نوى الحمار دون الفرس مثلا لا يصدق ديانة ولا قضاء لأن نية الخصوص لا تصح في غير اللفظ، وسيأتي تمامه في الفصل الآتي كذا في الفتح.

قلت: أي لأن المحمول على العرف هو لفظ أركب لا لفظ دابة فإن لفظ دابة يشمل الكل عرفا ولغة وإنما خصص العرف لفظ أركب بهذه الأنواع الثلاثة، فلو نوى بعضها لم يصح لأنه تخصيص الفعل ولا عموم له وسيأتي تمامه، ثم حيث كان المدار على العرف المعتاد فينبغي أن الحالف لو كان ليس ممن يركب الحمار أن لا يحنث." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٣/٧٦٤>

"قلت: وينبغي حنثه بالبعير في مصر والشام **وبالفيل** في الهند للتعارف قاله المصنف، ولو حمل على الدابة مكرها فلا حنث كحلفه لا يركب فرسا فركب برذونا أو بعكسه لأن الفرس اسم للعربي والبرذون اسم للعجمي، والخيل يعم هذا لو يمينه بالعربية، ولو بالفارسية حنث بكل حال، ولو حلف لا يركب أو لا يركب مركبا حنث بكل مركب سفينة أو محملا أو دابة سوى الآدمي، وسيجيء ما لو حلف لا يركب حيوانا أو دابة.

باب اليمين في الأكل والشرب واللبس والكلام (ثم الأكل إيصال ما يحتمل المضغ بفيه إلى الجوف) كخبز وفاكهة (مضغ أو لا) أي وإن ابتلعه بغير مضغ (والشرب إيصال ما لا يحتمل الأكل من المائعات إلى الجوف) كماء وعسل، ففي حلف لا يأكل بيضة حنث ببلعها

ـــــــQبالحمار وأنه لو كان الحالف مسافرا أن يحنث بالجمل بلا نية (قوله وينبغي حنثه بالبعير إلخ) أي إذا كان ممن يركب البعير كالمسافر والجمال وأهل البدو كما عرف مما نقلناه عن الفتح (قوله ولو حمل إلخ) أما لو أكره على الركوب فركب حنث ط (قوله ولو حلف لا يركب أو لا يركب مركبا) كذا في بعض النسخ ومثله في البحر عن الظهيرية وكذا في الخانية وهو المخالف لقول المصنف المار قريبا فاليمين على ما يركبه الناس، نعم في بعض حلف لا يركب مركبا ومثله في النهر، وفي التتارخانية حلف لا يركب مركبا فركب سفينة قال الحسن في المجرد لا يحنث وعليه الفتوى اهـ لكن العرف الآن المركب خاص بالسفينة فينبغي أن لا يحنث بغيرها (قوله وسيجيء) أي قريبا في الباب الآتي، والله سبحانه أعلم.

[باب اليمين في الأكل والشرب واللبس والكلام]

لم يذكر مسائل اللبس هنا بل ذكرها في باب اليمين بالبيع والشراء فكان المناسب إسقاط اللبس من هذه الترجمة وذكره هناك (قوله ثم الأكل) ترتيب إخباري ط (قوله إلى الجوف) . متعلق بإيصال، فلو حلف لا يأكل كذا أو لا يشرب فأدخله في فيه ومضغه ثم ألقاه لا يحنث حتى يدخله في جوفه لأنه بدون ذلك لا يكون أكلا بل يكون ذوقا ط عن البحر (قوله كماء وعسل) أي غير جامد وإلا فهو مأكول تأمل. ثم إن المائع الذي لا يحتمل المضغ إنما يسمى مشروبا إذا تناوله وحده وإلا فهو مأكول وكذا عكسه. ففي البحر عن البدائع لو حلف لا يأكل هذا اللبن فأكله بخبز أو تمر أو لا يأكل هذا العسل أو الخل فأكله بخبز يحنث لأنه هكذا يكون ولو أكله بانفراده لا يحنث لأنه شرب لا أكل وكذلك إن حلف لا يأكل هذا الخبز فجففه ثم دقه وصب عليه الماء فشربه لا يحنث لأنه شرب لا أكل اهـ وفي الفتح حلف لا يأكل لبنا فشربه لا يحنث ولو ثرد فيه فأوصله إلى جوفه حنث اهـ وقوله ثرد فيه بالثاء المثلثة أي فت الخبز فيه. وفي الخانية حلف لا يأكل اللبن فطبخ به أرزا فأكله قال أبو بكر البلخي لا يحنث وإن لم يجعل فيه ماء وإن كان يرى عينه، وكذا لو جعله جبنا إلا أن ينوي أكل ما يتخذ منه. حلف لا يأكل السمن فأكل سويقا

ملتوتا بالسمن ذكر في الأصل إن كان السمن مستبينا يجد طعمه حنث لأنه ليس بمستهلك، وذكر الحاكم في المختصر إن كان بحيث لو عصر سال منه السمن حنث وإلا لا وإن وجد طعمه قال أي قاضي خان: وينبغي أن يكون الجواب في مسألة الأرز على هذا التفصيل اهـ.

قلت: والحاصل أنه إذا حلف لا يأكل مائعا كلبن وسمن وخل فإن شربه لا يحنث وإن تناوله مع غيره ولم يستهلك كأكله بخبز أو تمر حنث، وإن استهلك بأن لا يجد طعمه أو بأن لا ينعصر على الخلاف في تفسيره لم يحنث قال السائحاني وقول الحاكم أرفق ولذا مشت عليه الشروح اهـ وأما لو خلط مأكولا بمأكول آخر فيأتي ببيانه في الفروع الآتية في أثناء الباب (قوله ففي حلفه إلخ) تفريع على تعريف الأكل ط (قوله حنث ببلعها) أي مع قشرها أو بدونه." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٣/٧٦٥<

"(وتبطل الشركة) أي شركة العقد (بموت أحدهما) علم الآخر أو لا لأنه عزل حكمي (ولو حكما) بأن قضي بلحاقه مرتدا

(و) تبطل أيضا (بإنكارها) وبقوله: لا أعمل معك فتح (وبفسخ أحدهما) ولو المال عروضا، بخلاف المضاربة -

ـــــــQصفقة واحدة في عمل معلوم قسم الأجر على مثل أجر البغل ومثل أجر الجمل، بخلاف ما لو اشتركا على أن يتقبلا الحمولات المعلومة بأجرة معلومة ولم يؤجرا البغل والجمل كانت صحيحة؛ لأنها شركة التقبل والأجر بينهما نصفان ولا يعتبر زيادة حمل الجمل على حمل البغل، كما لا يعتبر في شركة التقبل زيادة عمل أحدهما كصباغين لأحدهما آلة الصبغ وللآخر بيت يعمل فيه، وإن أجر البغل أو البعير بعينه كان كل الأجر لصاحبه؛ لأنه هو العاقد، فلو أعانه الآخر على التحميل والنقل كان له أجر مثله فتح (قوله: على مثل أجر البغل) الأولى أجر مثل البغل، وقوله والبعير أي وأجر مثل البعير، فلو البعير يؤجر بضعف ما يؤجر به البغل مثلا فلصاحب البعير ثلثا الأجر ولصاحب البغل ثلثه ط وإن آجر كل واحد منهما دابته وشرطا عملهما في الدابة أو عمل أحدهما من السوق والحمل وغير ذلك كان الأجر مقسوما بينهما على قدر أجر مثل دابتهما وعلى مقدار أجر عملهما كما قبل الشركة اهـ قال الخير الرملي: وهو مؤيد لما قلنا.

[فرع] أعطى بذر **الفيلق** رجلا ليقوم عليه فيعلفه بالأوراق على أن ما حصل فهو بينهما **فالفيلق** لصاحب

البذر؛ لأنه حصل من بذره، وللرجل الذي قام عليه قيمة الأوراق وأجر مثله على صاحب البذر، وعلى هذا إذا دفع البقرة بالعلف ليكون الحادث بينهما نصفين، فما حدث فهو لصاحب البقرة وللآخر مثل علفه وأجر مثله تتارخانية.

(قوله أي شركة العقد) أما شركة الملك فلا تبطل، وقول الدرر وتبطل الشركة مطلقا فالإطلاق فيه بالنظر للمفاوضة والعنان ط.

قلت: والمراد أن شركة الملك لا تبطل: أي لا يبطل الاشتراك فيها، بل يبقى المال مشتركا بين الحي وورثة الميت كما كان وإلا فلا يخفى أن شركة الميت مع الحي بطلت بموته تأمل. (قوله: بموت أحدهما) ؛ لأنها تتضمن الوكالة أي شرط لها ابتداء وبقاء؛ لأنه لا يتحقق ابتداؤها إلا بولاية التصرف لكل منهما في مال الآخر، ولا تبقى الولاية إلا ببقاء الوكالة، وبه اندفع ما قيل الوكالة تثبت تبعا، ولا يلزم من بطلان التبع بطلان الأصل فتح، فلو كانوا ثلاثة فمات أحدهم حتى انفسخت في حقه لا تنفسخ في حق الباقيين بحر عن الظهيرية (قوله: بأن قضي بلحاقه مرتدا) حتى لو عاد مسلما لم يكن بينهما شركة، وإن لم يقض بلحاقه انقطعت على سبيل التوقف بالإجماع، فإن عاد مسلما قبل الحكم بقيت، وإن مات أو قتل انقطعت ولو لم يلحق وانقطعت المفاوضة على التوقف هل تصير عنانا عنده لا وعندهما نعم بحر عن الولوالجية ملخصا.

(قوله: بإنكارها) أي ويضمن حصة الآخر؛ لأن جحود الأمين غصب كما في البحر سائحاني (قوله: وبقوله لا أعمل معك) هذا في المعنى فسخ فكان الأولى تأخيره عن قوله وبفسخ أحدهما، وفي البحر عن البزازية: اشتركا واشتريا أمتعة ثم قال أحدهما لا أعمل معك بالشركة وغاب فباع الحاضر الأمتعة فالحاصل للبائع وعليه قيمة المتاع؛ لأن قوله لا أعمل معك فسخ للشركة معه وأحدهما يملك فسخها وإن كان المال عروضا، بخلاف المضاربة هو المختار اهـ (قوله: بخلاف المضاربة) والفرق أن مال الشركة في أيديهما معا وولاية التصرف إليهما جميعا فيملك كل نهي صاحبه عن التصرف في ماله نقدا كان أو عروضا، بخلاف مال المضاربة؛ لأنه بعد ما صار عروضا ثبت حق المضارب فيه لاستحقاقه ربحه وهو المنفرد بالتصرف فلا يملك رب المال نهيه اهـ." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٣٢٧/٤>

"(ويباع دود القز) أي الإبريسم (وبيضه) أي بزره، وهو بزر **الفيلق** الذي فيه الدود (والنحل) المحرز، وهو دود العسل، وهذا عند محمد، وبه قالت الثلاثة، وبه يفتى عيني وابن ملك وخلاصة وغيرها. وجوز أبو الليث بيع العلق، وبه يفتى للحاجة مجتبى (بخلاف غيرهما من الهوام) فلا يجوز اتفاقا كحيات وضب وما في بحر كسرطان، إلا السمك وما جاز الانتفاع بجلده أو عظمه.

ــــــQ [مطلب في بيع دودة القرمز]

(قوله أي الإبريسم) في المصباح: القز معرب. قال الليث: هو ما يعمل منه الإبريسم، ولهذا قال بعضهم: القز والإبريسم مثل الحنطة والدقيق اهـ. وأما الخز فاسم دابة ثم أطلق على الثوب المتخذ من وبرها بحر (قوله أي بزره) أي البزر الذي يكون منه الدود قهستاني، وهو بالزاي. قال في المصباح: بذرت الحب بذرا أي بذال معجمة من باب قتل: إذا ألقيته في الأرض للزراعة. والبذور: المبذور. قال بعضهم: البذر في الحبوب كالحنطة والشعير. والبزر: أي بالزاي في الرياحين والبقول، وهذا هو المشهور في الاستعمال. ونقل عن الخليل كل حب يبذر فهو بذر وبزر ثم قال في اجتماع الباء مع الزاي البزر من البقل ونحوه بالكسر، والفتح لغة، وقولهم لبيض الدود بزر القز مجاز على التشبيه ببزر البقل لصغره (قوله وهو بزر **الفيلق**) هو المسمى الآن بالشرانق (قوله المحرز) قال في البحر: وهو معنى ما في الذخيرة إذا كان مجموعا؛ لأنه حيوان منتفع به حقيقة وشرعا فيجوز بيعه وإن كان لا يؤكل كالبغل والحمار (قوله وهذا) أي ما ذكره المصنف من جواز بيع الثلاث.

وأما اقتصار صاحب الكنز على جواز الأولين دون النحل فلعل وجهه كما أفاده الخير الرملي أن إحرازه متعسر فترجح عنده قولهما، ولذا قال بعضهم يجوز بيعه ليلا لا نهارا لتفرقه حال النهار في المراعي. وأما اعتذار البحر عنه بأنه لعله لم يطلع على أن الفتوى على قول محمد فهو بعيد (قوله بيع العلق) في المصباح: العلق شيء أسود شبيه الدود يكون في الماء يعلق بأفواه الإبل عند الشرب (قوله وبه يفتى للحاجة) في البحر عن الذخيرة إذا اشترى العلق الذي يقال له بالفارسية " مرعل " يجوز، وبه أخذ الصدر الشهيد لحاجة الناس إليه لتمول الناس له اهـ.

أقول: العلق في زماننا يحتاج إليه للتداوي بمصه الدم، وحيث كان متمولا لمجرد ذلك دل على جواز بيع دودة القرمز فإن تمولها الآن أعظم إذ هي من أعز الأموال، ويباع منها في كل سنة قناطير بثمن عظيم، ولعلها هي المرادة بالعلق في عبارة الذخيرة بقرينة التعليل، فتكون مستثناة من بيع الميتة كما قدمناه، ويؤيده

أن الاحتياج إليه للتداوي لا يقتضي جواز بيعه كما في لبن المرأة وكالاحتياج إلى الخرز بشعر الخنزير فإنه لا يسوغ بيعه كما يأتي، فعلم أن المراد به علق خاص متمول عند الناس وذلك متحقق في دود القرمز، وهو أولى من دود القز وبيضه فإنه ينتفع به في الحال ودود القز في المآل، والله سبحانه أعلم (قوله من الهوام) جمع هامة مثل دابة ودواب: وهي ما له سم يقتل كالحية قاله الأزهري. وقد يطلق على ما يؤذي ولا يقتل كالحشرات مصباح، والمراد هنا ما يشمل المؤذي وغيره مما لا ينتفع به بقرينة ما بعده (قوله فلا يجوز) وبيعها باطل ذكره قاضي خان ط (قوله كحيات) في الحاوي الزاهدي: يجوز بيع الحيات إذا كان ينتفع بها للأدوية، وما جاز الانتفاع بجلده أو عظمه أي من حيوانات البحر أو غيرها.

قال في الحاوي: ولا يجوز بيع الهوام كالحية والفأر والوزغة والضب والسلحفاة والقنفذ وكل ما لا ينتفع به ولا بجلده وبيع غير السمك من دواب البحر، إن كان له ثمن كالسقنقور وجلود الخز ونحوها يجوز، وإلا فلا كالضفدع والسرطان، وذكر قبله ويبطل بيع الأسد والذئب وسائر الهوام والحشرات، ولا يضمن متلفها. ويجوز بيع البازي والشاهين والصقر وأمثالها والهرة، ويضمن متلفها، لا بيع الحدأة والرخمة وأمثالهما. ويجوز بيع ريشها، اهـ لكن في الخانية:." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٥/٦٨>

"والحاصل أن جواز البيع يدور مع حل الانتفاع مجتبى، واعتمده المصنف وسيجيء في المتفرقات.

[فرع] إنما تجوز الشركة في القز إذا كان البيض منهما والعمل منهما وهو بينهما أنصافا لا أثلاثا، فلو دفع بزر القز أو بقرة أو دجاجا لآخر بالعلف مناصفة فالخارج كله للمالك لحدوثه من ملكه وعليه قيمة العلف وأجر مثل العامل عيني ملخصا، ومثله دفع البيض كما لا يخفى

(والآبق) ولو لطفله أو ليتيم في حجره، ولو وهبه لهما صح عيني؛

ـــــــQبيع الكلب المعلم عندنا جائز، وكذا السنور، وسباع الوحش والطير جائز معلما أو غير معلم، وبيع الفيل جائز. وفي القرد روايتان عن أبي حنيفة اهـ ونقل السائحاني عن الهندية: ويجوز بيع سائر الحيوانات سوى الخنزير وهو المختار اهـ وعليه مشى في الهداية وغيرها من باب المتفرقات كما سيأتي (قوله والحاصل إلخ) ويرد عليه شعر الخنزير فإنه يحل الانتفاع به، ولا يجوز بيعه كما يأتي. وقد يجاب بأن حل الانتفاع به للضرورة، والكلام عند عدمها (قوله واعتمده المصنف) حيث قال وهو ظاهر، فليكن المعول عليه (قوله وهو بينهما أنصافا) الضمير عائد إلى القز الخارج من البيض.

والظاهر أن اشتراط كونه بينهما أنصافا إذا كان البيض منهما كذلك فلو كان ثلثه من واحد والثلثان من آخر يكون القز بينهما أثلاثا اعتبارا بأصل الملك، كما لو زرعا أرضا ببذر منهما فالخارج على قدر البذر وإن شرطا خلافه (قوله بالعلف مناصفة) متعلق بدفع: أي دفع ذلك ليكون الخارج من البزر والبقرة والدجاج بينهما مناصفة بشرط أن يعلف ذلك من ورق التوت ونحوه (قوله فالخارج كله للمالك) أي الخارج: وهو القز واللبن والسمن والبيض كله للمالك، فإن استهلكه العامل ضمنه (قوله وعليه قيمة العلف) أي إن كان مملوكا (قوله وأجر مثل العامل) الظاهر أن له الأجر بالغا ما بلغ لجهالة التسمية، وانظر ما كتبناه في إجارات تنقيح الحامدية (قوله ومثله دفع البيض) قال في النهر: والمتعارف في أرياف مصر دفع البيض ليكون الخارج منه بالنصف مثلا، وهو على وزان دفع القز بالنصف، فالخارج كله لصاحب البيض وللعامل أجر مثله اهـ. قلت: ويتعارف الآن دفع المهر أو العجل أو الجحش ليربيه بنصفه فيبقى على ملك الدافع، وللعامل أجر مثله وقيمة علفه: والحيلة فيه أن يبيعه نصف المهر بثمن يسير فيصير مشتركا بينهما. ويتعارف أيضا ما سيذكره المصنف في كتاب المساقاة. وهو دفع الأرض مدة معلومة ليغرسها وتكون الأرض والشجر بينهما فإنه لا يصح والثمر والغرس لرب الأرض تبعا لأرضه وللآخر قيمة غرسه يوم غرسه وأجر مثل عمله اهـ.

(قوله والآبق) أي المطلق وهو الذي أبق من يد مالكه: ولم يزعم المشتري أنه عنده فهذا بيعه فاسد أو باطل على الخلاف الذي حكاه المصنف بعد، أما لو أبق من يد غاصبه وباعه المالك منه أو من يد مالكه وباعه ممن يزعم أنه عنده فبيعه صحيح كما يأتي. وأما لو باعه ممن يزعم أنه عند غيره، ففي النهر أن بيعه فاسد اتفاقا، وعلله في الفتح بأن تسليمه فعل غيره وهو لا يقدر على فعل غيره فلا يجوز. وفي النهر أيضا: خرج بالآبق المرسل في حاجة المولى فإنه يجوز بيعه؛ لأنه مقدور التسليم وقت العقد حكما، إذ الظاهر عوده (قوله، ولو وهبه لهما صح) والفرق أن شرط البيع القدرة على التسليم عقب البيع وهو منتف، وما بقي له من اليد يصلح لقبض الهبة لا لقبض البيع؛ لأنه قبض بإزاء مال مقبوض من مال الابن." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٦٩/٥>

"ولعل هذا في زمانهم، وأما في زماننا فلا حاجة إليه كما لا يخفى

(وجلد ميتة قبل الدبغ) لو بالعرض، ولو بالثمن فباطل، ولم يفصله ههنا اعتمادا على ما سبق قاله الواني

فليحفظ (وبعده) أي الدبغ (يباع) إلا جلد إنسان وخنزير وحية (وينتفع به) لطهارته حينئذ (لغير الأكل) ولو جلد مأكول على الصحيح سراج، لقوله تعالى {حرمت عليكم الميتة} [المائدة: ٣]- وهذا جزؤها.
وفي المجمع: ونجيز بيع الدهن المتنجس والانتفاع به في غير الأكل بخلاف الودك (كما ينتفع بما لا تحله حياة منها) كعصبها وصوفها كما مر في الطهارة.

(و) فسد (شراء ما باع

ـــــــQالناس (قوله ولعل هذا) أي حل الانتفاع به لضرورة الخرز (قوله أما في زماننا فلا حاجة إليه) للاستغناء عنه بالمخارز والإبر. قال في البحر: ظاهر كلامهم منع الانتفاع به عند عدم الضرورة بأن أمكن الخرز بغيره ط.

(قوله وجلد ميتة) قيد بها؛ لأنها لو كانت مذبوحة فباع لحمها أو جلدها جاز؛ لأنه يطهر بالذكاة إلا الخنزير خانية (قوله لو بالعرض إلخ) أي أن بيعه فاسد لو بيع بالعرض. وذكر في شرح المجمع قولين في فساد البيع وبطلانه. قلت: وما ذكره الشارح من التفصيل يصلح توفيقا بين القولين، لكنه يتوقف على ثبوت كونه مالا في الجملة كالخمر والميتة لا بحتف أنفها، مع أن الزيلعي علل عدم جواز بيعه بأن نجاسته من الرطوبة المتصلة به بأصل الخلقة فصار حكم الميتة. زاد في الفتح: فيكون نجس العين، بخلاف الثوب أو الدهن المتنجس حيث جاز بيعه لعروض نجاسته، وهذا يفيد بطلان بيعه مطلقا، ولذا ذكر في الشرنبلالية عن البرهان أن الأظهر البطلان تأمل. (قوله اعتمادا على ما سبق) أي في قول المصنف تبعا للدرر وبطل بيع مال غير متقوم كخمر وخنزير وميتة لم تمت حتف أنفها بالثمن (قوله إلا جلد إنسان إلخ) فلا يباع وإن دبغ لكرامته، وفي الباقي لإهانته ولعدم عمل الدباغة فيه كما مر في محله.
(قوله وينتفع به) أي بالجلد بعد دبغه (قوله ولو جلد مأكول على الصحيح) وقال بعضهم: يجوز أكله؛ لأنه طاهر كجلد الشاة المذكاة، أما جلد غير المأكول كالحمار لا يجوز أكله إجماعا؛ لأن الدبغ فيه ليس بأقوى من الذكاة وذكاته لا تبيحه فكذا دبغه أفاده المصنف ط (قوله ونجيز بيع الدهن المتنجس) عبارة المجمع: النجس، لكن مراده المتنجس: أي ما عرضت له النجاسة، وأشار بالفعل المضارع المسند لضمير الجماعة إلى خلاف الشافعي كما هو اصطلاحه (قوله في غير الأكل) كالاستصباح والدباغة وغيرهما ابن

ملك، وقيدوا الاستصباح بغير المسجد (قوله بخلاف الودك) أي دهن الميتة؛ لأنه جزؤها فلا يكون مالا ابن ملك: أي فلا يجوز بيعه اتفاقا، وكذا الانتفاع به لحديث البخاري «إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، قيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ قال: لا، هو حرام» الحديث (قوله كعصبها وصوفها) أدخلت الكاف عظمها وشعرها وريشها ومنقارها وظلفها وحافرها فإن هذه الأشياء طاهرة لا تحلها الحياة فلا يحلها الموت، ويجوز بيع عظم الفيل والانتفاع به في الحمل والركوب والمقاتلة منح ملخصا ط.

(قوله وفسد شراء ما باع إلخ) أي لو باع شيئا وقبضه المشتري ولم يقبض البائع الثمن فاشتراه بأقل من الثمن الأول لا يجوز زيلعي: أي سواء كان الثمن الأول حالا أو مؤجلا هداية، وقيد بقوله وقبضه؛ لأن بيع المنقول قبل قبضه لا يجوز ولو من بائعه كما سيأتي في بابه، والمقصود بيان الفساد بالشراء بالأقل من الثمن الأول قال في البحر." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٧٣/٥>

"فرع] السلم في الدبس لا يجوز لما في إجاره جواهر الفتاوى لو جعل الدبس أجرة لا يجوز لأنه ليس بمثلي، لأن النار عملت فيه ولذا لا يجوز السلم فيه فلا يجب في الذمة حتى لو كان عينا جاز. قلت: وسيجيء في الغصب أن الرب والقطر واللحم والفحم والآجر والصابون والعصفر والسرقين والجلود والصرم وبرا مخلوطا بشعير قيمي فليحفظ.

باب المتفرقات من أبوابها

وعبر في الكنز بمسائل منثورة وفي الدرر بمسائل شتى والمعنى واحد (اشترى ثورا أو فرسا من خزف) لأجل (استئناس الصبي لا يصح و) لا قيمة له ف (لا يضمن متلفه وقيل بخلافه) يصح ويضمن قنية وفي آخر حظر المجتبى عن أبي يوسف يجوز بيع اللعبة وأن يلعب بها الصبيان

(وصح بيع الكلب) ولو عقورا (والفهد) **والفيل** والقرد (والسباع) بسائر أنواعها

ــــــــQفتأمل

[فرع السلم في الدبس]

(قوله في الدبس) بكسر وبكسرتين عسل التمر وعسل النحل قاموس والمشهور الآن أنه ما يخرج من العنب (قوله ولذا) أي لكون النار عملت فيه، فصار غير مثلي لا يجوز السلم فيه، وظاهره أن السلم لا يجوز إلا في المثلي مع أنه يجوز في الثياب والبسط والحصر ونحوها كما مر أفاده ط (قوله حتى لو كان عينا) أي لو جعل الأجرة بسا معينا (قوله الرب) دبس الرطب إذا طبخ مصباح (قوله والقطر) نوع من عسل القصب قال المؤلف في الغصب: إن كلا منهما يتفاوت بالصنعة ولا يصح السلم فيهما ولا يثبت في الذمة ط (قوله واللحم) ولو نيئا ذكره المؤلف في الغصب وتقدم الكلام فيه (قوله والآجر والصابون) لاختلافهما في الطبخ (قوله والصرم) بالفتح الجلدة مصباح وقدمناه أول الباب عن الفتح: أنه يصح السلم في الجلود إذا بين ما يقع به في الضبط (قوله وبر مخلوط) الأصوب وبرا مخلوطا عطفا على الرب المنصوب. نعم الرفع جائز على القول بجواز العطف بالرفع على محل اسم أن ليسهل استكمال العمل فافهم والله سبحانه أعلم.

[باب المتفرقات من أبوابها]

اشترى ثورا أو فرسا من خزف لأجل استئناس الصبي

باب المتفرقات

جرت عادتهم أن المسائل التي تشذ عن الأبواب المتقدمة فلم تذكر فيها يجمعونها بعد، ويسمونها بهذه الأسماء ط (قوله بمسائل منثورة) شبهت بالمنثور من الذهب أو الفضة لنفاستها، وهو بالرفع على الحكاية ط ويجوز الجر (قوله من خزف) أي طين قال ط: قيد به لأنها لو كانت من خشب أو صفر جاز اتفاقا فيما يظهر لإمكان الانتفاع بها وحرره اهـ وهو ظاهر (قوله ولا يضمن متلفه) كأنه لأنه آلة لهو ولا يقال فيها نحو ما قيل في عود اللهو من أنه يضمن خشبا لا مهيأ على أحد القولين، لأنه لا قيمة لهذه الأشياء إذا قطع النظر عن التلهي بها ط (قوله وقيل بخلافه) يشعر بضعفه مع أن المصنف نقله عن القنية، وفي القنية لم يعبر عنه بقيل بل رمز للأول ثم للثاني (قوله عن أبي يوسف) أي ناقلا عن أبي يوسف، وظاهره أنه قوله لا رواية عنه حتى يقال: إن هذا يشعر بضعفه ونسبته إلى أبي يوسف لا تدل على أن الإمام يخالفه لاحتمال أن يكون له في المسألة قول فافهم

[مطلب في التداوي بالمحرم]

(قوله ولو عقورا) فيه كلام يأتي (قوله **والفيل**) هذا بالإجماع لأنه منتفع به حقيقة مباح الانتفاع به شرعا على الإطلاق فكان مالا بحر عن البدائع أي ينتفع به للقتال والحمل وينتفع بعظمه (قوله والقرد) فيه قولان كما يأتي (قوله والسباع) وكذا يجوز بيع لحمها بعد التذكية لإطعام كلب أو سنور، بخلاف لحم الخنزير لأنه لا يجوز إطعامه محيط." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٥/٢٢٦>

"وقيل إن بلفظ البيع لم يكن رهنا، ثم إن ذكرا الفسخ فيه أو قبله أو زعماه غير لازم كان بيعا فاسدا، ولو بعده على وجه الميعاد جاز لزم الوفاء به؛ لأن المواعيد قد تكون لازمة لحاجة الناس، وهو الصحيح كما في الكافي والخانية وأقره خسرو هنا والمصنف في باب الإكراه وابن الملك في باب الإقالة بزيادة. وفي الظهيرية: لو ذكر الشرط بعد

ـــــQمحتمل لأحد قولين، الأول أنه بيع صحيح مفيد لبعض أحكامه من حل الانتفاع به إلا أنه لا يملك بيعه: قال الزيلعي في الإكراه وعليه الفتوى. الثاني القول الجامع لبعض المحققين أنه فاسد في حق بعض الأحكام، حتى ملك كل منها الفسخ صحيح في حق بعض الأحكام: كحل الإنزال ومنافع المبيع، ورهن في حق البعض حتى لم يملك المشتري بيعه من آخر ولا رهنه وسقط الدين بهلاكه فهو مركب من العقود الثلاثة **كالزرافة** فيها صفة البعير والبقر والنمر جوز لحاجة الناس إليه بشرط سلامة البدلين لصاحبهما: قال في البحر: وينبغي أن لا يعدل في الإفتاء عن القول الجامع وفي النهر والعمل في ديارنا على ما رجحه الزيلعي. (قوله: لم يكن رهنا) لأن كلا منها عقد مستقل شرعا لكل منهما أحكام مستقلة اهـ، درر ط.

(قوله: ثم إن ذكرا الفسخ فيه) أي شرطاه فيه وبه عبر في الدرر ط وكذا في البزازية.

(قوله: أو قبله) الذي في الدرر بدل هذا أو تلفظا بلفظ البيع بشرط الوفاء اهـ ط ومثله في البزازية.

(قوله: جاز) مقتضاه أنه بيع صحيح بقرينة مقابلته لقوله كان بيعا فاسدا، والظاهر أنه مبني على قولهما بأن ذكر الشرط الفاسد بعد العقد لا يفسد العقد فلا ينافي ما بعده عن الظهيرية. (قوله: ولزم الوفاء به) ظاهره أنه لا يلزم الورثة بعد موته كما أفتى به ابن الشلبي معللا بانقطاع حكم الشرط بموته؛ لأنه بيع فيه إقالة وشرطها بقاء المتعاقدين؛ ولأنه بمنزلة خيار الشرط وهو لا يورث اهـ. قلت: وهذا ظاهر على هذا القول بأنه بيع صحيح لا يفسده الشرط اللاحق فلا ينافي ما يأتي عن الشرنبلالية. هذا وفي الخيرية فيما لو أطلق البيع ولم يذكر الوفاء إلا أنه عهد إلى البائع أنه إن أوفى مثل الثمن يفسخ البيع معه أجاب: هذه المسألة اختلف

فيها مشايخنا على أقوال. ونص في الحاوي الزاهدي أن الفتوى في ذلك أن البيع إذا أطلق ولم يذكر فيه الوفاء إلا أن المشتري عهد إلى البائع أنه إن أوفى مثل ثمنه فإنه يفسخ معه البيع يكون باتا حيث كان الثمن ثمن المثل أو بغبن يسير اهـ وبه أفتى في الحامدية أيضا، فلو كان بغبن فاحش مع علم البائع به فهو رهن، وكذا لو وضع المشتري على أصل المال ربحا، أما لو كان بمثل الثمن أو بغبن يسير بلا وضع ربح فبات؛ لأنا إنما نجعله رهنا بظاهر حاله أنه لا يقصد البات عالما بالغبن أو مع وضع الربح أفاده في البزازية وذكر أنه مختار أئمة خوارزم، وذكر في موضع آخر أنه لو آجره من البائع قال صاحب الهداية: الإقدام على الإجارة بعد البيع دل على أنهما قصدا بالبيع الرهن لا البيع فلا يحل للمشتري الانتفاع به اهـ، واعترضه في نور العين بأن دلالة ذلك على قصد حقيقة البيع أظهر. قلت: وفيه نظر، فإن العادة الفاشية قاضية بقصد الوفاء كما في وضع الربح على الثمن ولا سيما إذا كانت الإجارة من البائع مع الربح أو نقص الثمن. (قوله: لأن المواعيد قد تكون لازمة) قال في البزازية في أول كتاب الكفالة إذ كفل معلقا بأن قال: إن لم يؤد فلان فأنا أدفعه إليك ونحوه يكون كفالة لما علم أن المواعيد باكتساء صور التعليق تكون لازمة فإن قوله أنا أحج لا يلزم به شيء ولو علق وقال إن دخلت الدار فأنا أحج يلزم الحج.

(قوله: بزيادة وفي الظهيرة إلخ) يعني أن ابن ملك أقره أيضا وزاد عليه قوله وفي الظهيرية إلخ أي مقترنا بهذه." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٥/٢٧٧>

"(والغداف) بوزن غراب: والنسر جمعه غدفان قاموس (**والفيل**) والضب، وما روي من أكله محمول على الابتداء (واليربوع وابن عرس والرخمة والبغاث) هو طائر دنيء الهمة يشبه الرخمة وكلها من سباع البهائم. وقيل الخفاش لأنه ذو ناب.

(ولا) يحل (حيوان مائي إلا السمك) الذي مات بآفة ولو متولدا في ماء نجس

ـــــــQتحت قوله تعالى - {قل لا أجد} [الأنعام: ١٤٥]- الآية، ولقوله - عليه الصلاة والسلام - «ما سكت الله عنه فهو مما عفا الله عنه» اهـ (قوله قاموس) نص عبارته: الغداف كغراب غراب القيظ، والنسر الكثير الريش جمعه غدفان اهـ. وقال مسكين: إنه العقعق، ولما كان الأصح في العقعق أنه لا بأس بأكله اقتصر الشارح على المعنى الثاني فافهم، نعم اقتصر الأتقاني على الأول فقال: وكذا الغداف لا يؤكل، وهو غراب القيظ الكبير من الغربان وافي الجناحين اهـ وهذا يفيد أن العقعق غيره كما يعلم مما سنذكره تأمل.

والقيظ: الحر، سمي به لأنه يجيء في زمن الحر (قوله على الابتداء) أي ابتداء الإسلام قبل نزول قوله تعالى - {ويحرم عليهم الخبائث} [الأعراف: ١٥٧]- للأصل المار (قوله واليربوع) بوزن يفعول: دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ورجلاه أطول من يده عكس الزرافة والجمع يرابيع، والعامة تقول جربوع بالجيم أبو السعود

(قوله وابن عرس) دويبة أشتر أصلم أصك جمعه بنات عرس هكذا يجمع الذكر والأنثى قاموس (قوله والرخمة) بفتحتين: طائر أبقع يشبه النسر خلقة، ويسمى آكل العظم غرر الأفكار (قوله والبغاث) بالغين المعجمة وتثليث الباء رملي (قوله وكلها من سباع البهائم) ثم أراد بها ما يشمل الطير. وفي القاموس: البهيمة كل ذات أربع قوائم ولو في الماء وكل حي لا يميز (قوله وقيل الخفاش) أي كذلك لا يحل فهو مبتدأ حذف خبره والقائل قاضي خان. قال الأتقاني: وفيه نظر، لأن كل ذي ناب ليس بمنهي عنه إذا كان لا يصطاد بنابه اهـ. وفي القاموس: الخفاش كرمان الوطواط سمي لصغر عينيه وضعف بصره. [تتمة]

قال في غرر الأفكار: عندنا يؤكل الخطاف والبوم، ويكره الصرد والهدهد، وفي الخفاش اختلاف. وأما الدبسي والصلصل والعقعق واللقلق واللحام فلا يستحب أكلها وإن كانت في الأصل حلالا لتعارف الناس بإصابة آفة لآكلها فينبغي أن يتحرز عنه. وحرم الشافعي الخطاف والببغاء والطاووس والهدهد اهـ ولا يؤكل السنور الأهلي والوحشي والسمور والسنجاب والفنك والدلق كما في القهستاني، وكل ما لا دم له فهو مكروه أكله إلا الجراد كالزنبور والذباب أتقاني. ولا بأس بدود الزنبور قبل أن ينفخ فيه الروح لأن ما لا روح له لا يسمى ميتة خانية وغيرها: قال ط: ويؤخذ منه أن أكل الجبن أو الخل أو الثمار كالنبق بدوده لا يجوز إن نفخ فيه الروح اهـ

(قوله ولو متولدا في ماء نجس) فلا بأس بأكلها للحال لحله بالنص وكونه يتغذى بالنجاسة لا يمنع حله، وأشار بهذا إلى الإبل والبقر والجلالة والدجاجة، وهي من المسائل التي توقف فيها الإمام فقال لا أدري متى يطيب أكلها. وفي التجنيس: إذا كان علفها نجاسة تحبس الدجاجة ثلاثة أيام، والشاة أربعة، والإبل والبقر عشرة، وهو المختار على الظاهر. وقال السرخسي: الأصح عدم التقدير وتحبس حتى تزول الرائحة المنتنة. وفي الملتقى: المكروه الجلالة التي إذا قربت وجد منها رائحة فلا تؤكل ولا يشرب لبنها ولا يعمل عليها، ويكره بيعها وهبتها وتلك حالها.

وذكر البقالي أن عرقها نجس. وفي مختصر المحيط: ولا تكره الدجاجة المخلاة وإن أكلت النجاسة اهـ يعني إذا لم تنتن بها لما تقدم لأنها تخلط ولا يتغير لحمها وحبسها أياما تنزيه شرنبلالي على الوهبانية، وبه يحصل." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٣٠٦/٦>
"ثم ذكر نحو ما تحرر فتدبر

قال مؤلفه العبد الفقير العاجز الحقير محمد علاء الدين ابن الشيخ علي الحصني الحنفي الحصني العباسي الإمام بجامع بني أمية ثم المفتي بدمشق المحمية قد فرغت من تأليفه أواخر شهر محرم الحرام سنة إحدى وسبعين وألف هجرية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، وقد بالغت في تلخيصه وتحريره وتنقيحه، وتبعت المصنف - رحمه الله - في تغييره لمواضع كثيرة من متنه، وتصحيحه ونبهت عليها وعلى مواضع سهو أخر. وبالجملة فالسلامة من هذا الخطر، أمر يعز على البشر، فستر الله على من ستر وغفر لمن غفر:

وإن تجد عيبا فسد الخللا ... جل من لا فيه عيب وعلا

ـــــــQأصلها من ستة وتعول إلى ثمانية فإذا استوفت الأخت نصيبها وهو ثلاثة بقي خمسة ولو جعلت كأنها لم تكن لكانت من ٦ وبقي سهم للعصبة اهـ وصوابه أن يقول لكانت من ستة وتعول بسهم إلى سبعة كما وجد في بعض نسخ الزيلعي ولكن ما مر وجد بخطه كذلك فهو سبق قلم إذ لا عصبة هنا (قوله: ثم ذكر نحو ما تحرر) أي من قوله السابق فاطرح سهامه من التصحيح

[خاتمة الكتاب]

(قوله: قال مؤلفه) من التأليف وهو إيقاع الألفة بين شيئين أو أشياء، أخص من التركيب، ويطلق عرفا على كتاب جمعت فيه مسائل مؤتلفة من أي علم كان بمعنى المؤلف بالفتح وجامعه مؤلف بالكسر (قوله: الحقير) من الحقر وهو الذلة قاموس (قوله: الحصني) نسبة إلى موضع يسمى حصن كيفا واشتهر في نسبة الشيخ - رحمه الله تعالى - لفظ الحصكفي فهو من باب النحت (قوله: العباسي) الظاهر أنه نسبة إلى سيدنا العباس - رضي الله تعالى عنه - عم نبينا - صلى الله عليه وسلم - (قوله: الإمام) بالرفع صفة محمد ويحتمل أنه صفة لعلي لكن الذي كان إمام الحنفية بجامع بني أمية والمفتي بدمشق المحمية هو الشارح

- رحمه الله تعالى - وكذا كان مدرس الحديث تحت القبة بجامع بني أمية ومدرس التكية السليمة ولم يشتهر والده بشيء من ذلك (قوله: هجرية) نسبة إلى الهجرة أي هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ونسب التاريخ إليها لأن ابتداءه منها وأول من ابتدأ به عمر - رضي الله عنه - والعرب كانت تؤرخ بعام التفرق وهو تفرق ولد إسماعيل - عليه السلام - وخروجهم من مكة ثم أرخوا بعام **الفيل** كما بسطه في الظهيرية قبل المحاضر.

(قوله: في تلخيصه) التلخيص التبيين والشرح والتخليص قاموس (قوله: وتحريره وتنقيحه) تحرير الكتاب وغيره تقويمه والتنقيح التهذيب قاموس (قوله: لمواضع) اللام زائدة للتقوية (قوله: وتصحيحه) عطف على تغييره (قوله: وعلى مواضع سهو أخر) أي مما فات المصنف تغييرها (قوله: وبالجملة) أي وأقول قولا ملتبسا بالجملة أي مجتمعا قال في القاموس جمل جمع، وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة، والمراد أنه وإن وقع من المصنف سهو أو من غيره أو وإن نبهت على ما وقع له من السهو فإني قد أسهو لأن السلامة من هذا الخطر بالتحريك وهو الإشراف على الهلاك والمراد به هنا الأمر الشاق عبر به عن السهو، أمر يعز بالكسر كيقل وزنا ومعنى أي يندر أو يعسر أو يضيق أو يعظم على البشر فلا يحصلونه لأن السهو والنسيان من لوازم الإنسان وأول ناس أول الناس وفي هذا هضم لنفسه واعتذار عنه وعن المصنف (قوله: فستر الله على من ستر) الفاء فصيحة أي إذا كان ما ذكر فالمطلوب الستر إلا في مقام البيان (قوله: وغفر لمن غفر) الغفر الستر فهو عطف مرادف (قوله: وإن تجد عيبا إلخ) هذا البيت بمعنى الكلام الذي قبله (قوله: فسد الخللا) الخلل منفرج ما بين الشيئين والوهن في الأمر وأمر مختل واه وأخل بالشيء أجحف قاموس وألفه للإطلاق والمراد به العيب وكان حقه أن يأتي بدله الضمير ولكن أتى بالظاهر معبرا عنه بلفظ آخر للتنصيص على أن العيب من سهو ونحوه خلل، نظير قوله تعالى {فإن الله عدو للكافرين} [البقرة: ٩٨] بعد قوله {من كان عدوا لله} [البقرة: ٩٨] الآية للتسجيل عليهم بالكفر والمراد بسده ستره أو تأويله حيث أمكن.

(قوله: جل) أي عظم وتعالى فعطف علا عليه تفسير وهذا الكلام مرتبط بكلام محذوف دل عليه." <الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين ٨١٢/٦>

"مفهومة كلها، وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها، وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟! قال: أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلت حاجاتهم إلي فيها، وإنما كانت غايتي المنالة، فأنا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم،

لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا، وإنما قد كسبت في هذا التدبير، إذ كنت إلى التكسب ذهبت، ولكن ما بال إبراهيم النظام، وفلان وفلان، يكتبون الكتب لله بزعمهم، ثم يأخذها مثلي في مواقفته «١» ، وحسن نظره، وشدة عنايته، ولا يفهم أكثرها؟! وأقول: لو أن يوسف السمتي، كتب هذه الشروط، أيام جلس سلمان بن ربيعة شهرين للقضاء، فلم يتقدم إليه رجلان، والقلوب سليمة والحقوق على أهلها موفرة، لكان ذلك خطلا ولغوا؛ ولو كتب في دهره شروط سلمان، لكان ذلك غرارة ونقصا، وجهلا بالسياسة، وبما يصلح في كل **دهر**.

٦١-[مواضع الاستطراد]

ووجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا، وإذا أنشدوا الشعر بين السماطين في مديح الملوك أطالوا. وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز.

ولولا أني أتكل على أنك لا تمل باب القول في البعير حتى تخرج إلى **الفيل**، وفي الذرة حتى تخرج إلى البعوضة، وفي العقرب حتى تخرج إلى الحية، وفي الرجل حتى تخرج إلى المرأة، وفي الذبان والنحل حتى تخرج إلى الغربان والعقبان، وفي الكلب حتى تخرج إلى الديك، وفي الذئب حتى تخرج إلى السبع، وفي الظلف حتى تخرج إلى الحافر، وفي الحافر حتى تخرج إلى الخف، وفي الخف حتى تخرج إلى البرثن، وفي البرثن حتى تخرج إلى المخلب، وكذلك القول في الطير وعامة الأصناف، لرأيت أن جملة الكتاب، وإن كثر عدد ورقه، أن ذلك ليس مما يمل، ويعتد علي فيه بالإطالة، لأنه وإن كان كتابا واحدا فإنه كتب كثيرة، وكل مصحف منها فهو أم **على** حدة، فإن أراد قراءة الجميع لم يطل عليه الباب الأول حتى يهجم على الثاني، ولا الثاني حتى يهجم على الثالث، فهو أبدا مستفيد ومستطرف، وبعضه." (١)

"ولا يكون من اليعملات ولا من السابقة، ولو عالوه وكفوه مؤنة تكلف المأكول والمشروب، ثم بلغ إلى أن يصير جملا يمكنه الضراب. وكذلك الأنثى التي هي الحائل إلى أن تصير ناقة؛ فلو ألقحها الفحل لجاء ولدها أقصر عنقا من **الفيل**، الذي لو لم يجعل الله تعالى له خرطوما يتناول به طعامه وشرابه، لمات جوعا وهزالا؛ وليس كذلك العراب. وإذا ضربت الفوالج في العراب جاءت هذه الجوامز والبخت الكريمة التي تجمع عامة خصال العراب وخصال البخت، فيكون ما يخرج التركيب من هذين الجنسين أكرم وأفخم وأنفس وأثمن. ومتى ضربت فحول العراب في إناث البخت جاءت هذه الإبل البهونية «١»

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦٣/١

والصرصرانية «٢»
فتخرج أقبح منظرا من أبويها، وأشد أسرا من أبويها. وقال الراجز: [من الرجز]
ولا بهوني من الأباعر
وبعد؛ فإن هذه الشهرية الخراسانية، يخرج لها أبدان فوق أبدان أمهاتها وآبائها من الخيل والبراذين، وتأخذ من عتق الخيل، ومن وثاجة «٣»
البراذين، وليس نتاجها كنتاج البرذون خالصا والفرس خالصا.
وما أشبه قرابة الحمار بالرمكة والحجر، من قرابة الجمل الفالج البختي بقرابة القلوص الأعرابية.
١٠٠-[أطول الحمير أعمارا]
ويقال إن الحمر الوحشية، وبخاصة الأخدرية، أطول الحمير أعمارا وإنما هي من نتاج الأخدر، فرس كان لأردشير بن بابك صار وحشيا فحمى عدة عانات فضرب فيها، فجاء أولاده منها أعظم من سائر الحمر وأحسن. وخرجت أعمارها عن أعمار الخيل وسائر الحمر- أعني حمر الوحش- فإن أعمارها تزيد على الأهلية مرارا عدة.
١٠١-[عير أبي سيارة]
ولا يعرفون حمارا وحشيا عاش أكثر وعمر أطول من عير أبي سيارة عميلة بن أعزل؛ فإنهم لا يشكون أنه دفع عليه بأهل الموسم أربعين عاما «٤»
!!." (١)

"والذي فرق هذه الأقسام، وسخر هذه النفوس، وصرف هذه العقول لاستخراج هذه العلوم من مدافنها، وهذه المعاني من مخابيها، هو الذي سخر بطليموس مع ملكه، وفلانا وفلانا للتفرغ للأمور السماوية، ولرعاية النجوم واختلاف مسير الكواكب. وكل ميسر لما خلق له، لتتم النعمة ولتكمل المعرفة، وإنما تأبى التيسير للمعاصي.
فأما الصناعات فقد تقصر الأسباب بعض الناس على أن يصير حائكا، وتقصر بعضهم على أن يكون صيرفيا، فهي وإن قصرته على الحياكة، فلم تقصره على خلف المواعيد وعلى إبدال الغزول، وعلى تشقيق العمل دون الإحكام والصدق وأداء الأمانة، ولم تقصر الصيرفي على التطفيف في الوزن والتغليط في

---

(١) الحيوان الجاحظ ٩٢/١

الحساب، وعلى دس المموه؛ تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا.

١٠٤-[خضوع النتاج المركب للطبيعة]

ولو كان أمر النتاج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من التزاويج، إلى تقدير الرأي وما هو أقرب إلى الظن، لكانت الأظلاف تجري مجرى الحوافر والأخفاف. ألا ترى أن قرابة الضأن من الماعز، كقرابة البخت من العراب، والخيل من الحمير!! وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك؛ لأن التيس- على شدة غلمته- لا يعرض للنعجة إلا بالقليل الذي لا يذكر. وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك: إما ألا يتم خلقه، وإما ألا يعيش؛ وكذلك الكبش والعنز فضلا عن أن يكون بينهما نتاج؛ لأنه قد يضرب الجنس في الجنس الذي لا يلقحه، ولا يكون اللقاح إلا بعد ضراب.

وطلب التيس للنعجة قليل وأقل من القليل، وكذلك الكبش للعنز، وأقل من ذلك أن تتلاقح ولا يبقى ذلك الولد البتة.

وقد تجاسر ناس على توليد أبواب من هذا الشكل، فادعوا أمورا، ولم يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان!!

١٠٥-[الزرافة خلق مركب] «١»

زعموا أن **الزرافة** خلق مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية، وبين الذيخ وهو ذكر الضباع؛ وذلك أنهم لما رأوا أن اسمها بالفارسية (**أشت**ر كاو." (١)

"بلنك) ؛ وتأويل «أشتر» بعير، وتأويل «كاو» بقرة، وتأويل «بلنك» الضبع؛ لأن الضباع عرج؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما خماع «١»

؛ كما عرض للذئب القزل «٢»

- وكل ذئب أقزل- وكما أن كل غراب يحجل كما يحجل المقيد من الناس؛ وكما أن العصفور لا يمشي؛ ومشيه أن يجمع رجليه أبدا معا في كل حركة وسكون.

وقولهم للزرافة أشتر كاو بلنك اسم فارسي، والفرس تسمي الأشياء بالاشتقاقات؛ كما تقول للنعامة: اشتر مرغ، وكأنهم في التقدير قالوا: هو طائر وجمل؛ فلم نجد هذا الاسم أوجب أن تكون النعامة نتاج ما بين الإبل والطير، ولكن القوم لما شبهوها بشيئين متقاربين؛ سموها بذينك الشيئين. وهم يسمون الشيء المر

---

(١) الحيوان الجاحظ ٩٤/١

الحلو «ترش شيرين» وهو في التفسير حلو حامض. فجسر القوم فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثا؛ وجعلوا الخلقة ضربا من التراكيب؛ فقالوا: قد يعرض الذيخ في تلك البلاد للناقة الوحشية فيسفدها، فتلقح بولد يجيء خلقه ما بين خلق الناقة والضبع؛ فإن كان أنثى فقد يعرض لها الثور الوحشي فيضربها؛ فيصير الولد زرافة، وإن كان ولد الناقة ذكرا عرض للمهاة فألقحها فتلد زرافة. فمنهم من حجر البتة أن تكون الزرافة الأنثى تلقح من الزرافة الذكر، وزعموا أن كل زرافة في الأرض، فإنما هي من النتاج الذي ركبوا؛ وزعموا أن ذلك مشهور في بلاد الحبشة، وأقاصي اليمن. وقال آخرون:

ليس كل خلق مركب لا ينسل ولا يبقى نجله ولا يتلاقح نسله، على ما حكينا من شأن الورشان والراعبي «٣»

. وهؤلاء وما أشبههم يفسدون العلم، ويتهمون الكتب، وتغرهم كثرة أتباعهم ممن تجده مستهترا بسماع الغريب، ومغرما بالطرائف والبدائع. ولو أعطوا مع هذا الاستهتار نصيبا من التثبت، وحظا من التوقي، لسلمت الكتب من كثير من الفساد.

١٠٦-[النتاج المركب في الطيور]

وأنا رأيت طائرا له صوت غير حسن، فقال لي صاحب الطيور: إنه من نتاج ما بين القمري «٤» والفاختة «٥» .." (١)

"فأشهد أن رحمك من قريش ... كرحم الفيل من ولد الأتان

قال كيسان: ولأي شي قال:

كرحم الفيل من ولد الأتان

إنما كان ينبغي أن يقول: كرحم الفيل من الخنزير. قال أبو عبيدة: أرادها هو التبعيد بعينه؛ وأنت تريد ما هو أقرب.

١٠٩-[زعم بعضهم في حيوان سفينة نوح]

وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار «١»

: أن أهل سفينة نوح كانوا تأذوا بالفأر، فعطس الأسد عطسة فرمى من منخريه بزوج سنانير، فلذلك السنور أشبه شيء بالأسد. وسلح الفيل زوج خنازير؛ فلذلك الخنزير أشبه شيء بالفيل. قال كيسان: فينبغي أن

---

(١) الحيوان الجاحظ ٩٥/١

يكون ذلك السنور آدم السنانير، وتلك السنورة حواءها. قال أبو عبيدة لكيسان: أولم تعلم أنت أن لكل جنس من الحيوان آدم وحواء؟! وضحك فضحك القوم.

١١٠-[نهم سعد القرقرة]

ولما رأى أبو قردودة سعد القرقرة، أكل عند النعمان مسلوخا بعظامه قال: [من البسيط]

بين النعام وبين الكلب منبته ... وفي الذئاب له ظئر وأخوال

يقول: إن سعدا ضرب في أعراقه نجر النعام الذي يلتهم الجمر، ويلتقم الحجارة، فيطفئ الجمر ويميع الصخر، وضرب في أعراقه نجر الكلب الذي يرض كل عظم. ولا يقبض عليه بكفه إلا هو واثق بفته، ولا يسيغه إلا وهو على ثقة من استمرائه. فأما الذئب فإنه لا يروم بفكيه شيئا إلا ابتلعه بغير معاناة، عظما كان أو غيره، مصمتا كان أو أجوف.

ولذلك قال الراجز: [من الرجز]

أطلس يخفي شخصه غباره ... في فمه شفرته وناره «٢»." (١)

"أيضا يجمعن البيض، وإذا جمعن فلو جمعت بيض عشر منهن لما كان كشطر بيض بنية واحدة. وقد رأيت بيض الشبوط وذقته للتعرف فوجدته غير طائل، ولا معجب.

وكل صياد تسأله فهو ينبيك أن له بيضا، ولكنه إذا كان يكون ضئيلا قليلا، لأن الشبابيط في أصل العدد من أقل السمك. وكذلك الجنس منه إذا كانت الأنثى منه مذكارا.

١١٦-[مواطن الشبوط]

على أنه رب نهر يكون أكثر سمكه الشبوط، وذلك قليل، كنهر رامهرمز.

والشبوط لا يتربى في البحار، ولا يسكن إلا في الأودية والأنهار، ويكره الماء الملح ويطلب الأعذب فالأعذب، ويكون في الماء الجاري، ولا يكون في الساكن.

وسنذكر شأنه في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

١١٧-[رد على ما زعموا في الزرافة]

ولم يصب أبو واثلة، وكذبوا على أم جعفر «١» . فإذا قالوا في الزرافة ما قالوا «٢» فلا تأمنهم على ما هو دونه. وإن كان من كذب على الموتى واستشهد الغيب أحذق، فصاحب الزرافة قد استعمل بعض هذه

---

(١) الحيوان الجاحظ ٩٧/١

الحيلة، وصاحب الشبوط يكذب على الأحياء، ويستشهد الحضور. وإن كان الذي دعا إلى القول في **الزرافة** أنهم جعلوا تركيب اسمه دليلا على تركيب الخلق. فالجاموس بالفارسية كاوماش. وتأويله ضأني بقري، لأنهم وجدوا فيه مشابهة الكبش وكثيرا من مشابهة الثور، وليس أن الكباش ضربت في البقر فجاءت بالجواميس.

١١٨-[زعم الفرس في تقسيم الحيوان]

وزعم الفرس أن الحيوان كله الذي يلد حيوانا مثله مما يمشي على أربع قوائم، لا تخلو أجناسها من المعز والضأن. والجواميس عندهم ضأن البقر، والبخت عندهم ضأن الإبل، والبراذين عندهم ضأن الخيل.

١١٩-[زعم في الإبل]

والناس يقولون في الإبل أقاويل عجيبة: فمنهم من يزعم أن فيها عرقا من سفاد." (١)

"تمثيل ما بين خصال الدرة والحمامة، **والفيل** والبعير، والثعلب والذيب أعجب، ولسنا نعني أن للدرة ما للطاوس من حسن ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه، ولا أن لها غناء الفرس في الحرب والدفع عن الحريم؛ لكنا إذا أردنا مواضع التدبير العجيب من الخلق الخسيس، والحس اللطيف من الشيء السخيف، والنظر في العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنس والجن والملائكة، لم نذهب إلى ضخم البدن وعظم الحجم، ولا إلى المنظر الحسن ولا إلى كثرة الثمن. وفي القرد أعاجيب وفي الدب أعاجيب، وليس فيهما كبير مرفق إلا بقدر ما تتكسب به أصحاب القردة، وإنما قصدنا إلى شيئين يشيع القول فيهما، ويكثر الاعتبار مما يستخرج العلماء من خفي أمرهما. ولو جمعنا بين الديك وبين بعض ما ذكرت، وبين الكلب وبين بعض ما وصفت، لانقطع القول قبل أن يبلغ حد الموازنة والمقابلة.

وقد ذكرت أن بعض ما دعاك إلى الإنكار عليهما والتعجب من أمرهما، سقوط قدر الكلب ونذالته، وبله الديك وغباوته، وأن الكلب لا بهيمة تامة ولا سبع تام، وما كان ليخرجه من شيء من حدود الكلاب إلى حدود الناس، مقدار ما هو عليه من الأنس بهم، فقد يكون في الشيء بعض الشبه من شيء ولا يكون ذلك مخرجا لهما من أحكامهما وحدودهما.

١٦٩-[تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما]

وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسان بالقمر والشمس، والغيث والبحر، وبالأسد والسيف، وبالحية

---

(١) الحيوان الجاحظ ١/١٠٠

وبالنجم، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حد الإنسان.

وإذا ذموا قالوا: هو الكلب والخنزير، وهو القرد والحمار، وهو الثور، وهو التيس، وهو الذيب، وهو العقرب، وهو الجعل، وهو القرنبى؛ ثم لا يدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسمائهم، ولا يخرجون بذلك الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء. وسموا الجارية غزالا، وسموها أيضا خشفا، ومهرة، وفاختة، وحمامة، وزهرة، وقضيبا، وخيزرانا، على ذلك المعنى. وصنعوا مثل ذلك بالبروج والكواكب، فذكروا الأسد والثور، والحمل والجدي، والعقرب والحوت، وسموها بالقوس والسنبلة والميزان، وغيرها. وقال في ذلك ابن عسلة الشيباني: [من الكامل]

فصحوت والنمري يحسبها ... عم السماك وخالة النجم

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نعمت العمة لكم النخلة خلقت من فضلة." (١)

"وأعظم زهوا من ذباب على خرا ... وأبخل من كلب عقور على عرق

وقال أبو الشمقمق: [من الخفيف]

أهل جود ونائل وفعال ... غلبوا الناس بالندى والعطية «١»

جئته زائرا فأدنى مكاني ... وتلقى بمرحب وتحيه

لا كمثل الأصم حارثة اللؤ ... م شبيه الكليبة القلطيه

جئته زائرا فأعرض عني ... مثل إعراض قحبة سوسيه

وتولى كأنه أير بغل ... غاب في دبر بغلة مصريه

وقال أيضا: [من الوافر]

ألا قولا لسران المخازي ... ووجه الكلب والتيس الضروط «٢»

له بطن يضل الفيل فيه ... ودبر مثل راقود النشوط «٣»

وأير عارم لا خير فيه ... كدور سفينة في بثق روط «٤»

ولحية حائك من باب قلب ... موصلة الجوانب بالخيوط

له وجه عليه الفقر باد ... مرقعة جوانبه بقوط

إذا نهض الكرام إلى المعالي ... ترى سران يسفل في هبوط

---

(١) الحيوان الجاحظ ١/١٣٨

وقال أيضا في ذلك: [من البسيط]

يا رازق الكلب والخنزير في سعة ... والطير والوحش في يهماء دويه «٥»

لو شئت صيرته في حال فاقته ... حتى تقر بتلك الحال عينيه

وقال جرير بن عطية، يهجو الصلتان العبدي: [من الطويل]

أقول لها والدمع يغسل كحلها ... متى كان حكم الله في كرب النخل «٦»." (١)

"والبعير قتله فساد، فإن صال على الناس كان قتله صلاحا. والإنسان قتله حرام، فإن خيف منه كان قتله حلالا.

٢٣٣-[طائفة من المسائل]

والحديث عن مسخ الضب والجري، وعن مسخ الكلاب والحكأة وأن الحمام شيطان، من جنس المزاح الذي كنا كتبنا به إلى بعض إخواننا ممن يدعي علم كل شيء، فجعلنا هذه الخرافات وهذه الفطن الصغار، من باب المسائل.

فقلنا له: ما الشنقناق والشيصبان وتنكوير ودر كاذاب ومن قاتل امرأة ابن مقبل؟ ومن خانق الغريض؟ ومن هاتف سعد؟ وخبرنا عن بني أقيش وعن بني لبنى، ومن زوجها؟ وعن بني غزوان ومن امرأته؟ وعن سملقة وزوبعة، والميدعان، وعن النقار ذي الرقبة وعن آصف، ومن منهم أشار بأصفر سليم «١» ، وعن أطيقس اسم كلب أصحاب الكهف «٢» ، وكيف صارت الكلاب لا تنبح من سماه؟ وأين بلغ كتاب شرطهم؟ وكيف حدثوا عن ابن عباس في الفأر والقرد والخنزير والفيل والأرنب والعنكبوت والجري، أنهن كلهن مسخ؛ وكيف خصت هذه بالمسخ؟ وهل يحل لنا أن نصدق بهذا الحديث عن ابن عباس؟ وكيف صارت الظباء ماشية الجن؟ وكيف صارت الغيلان تغير كل شيء إلا حوافرها؟ ولم ماتت من ضربة وعاشت من ضربتين «٣» ؟ ولم صارت الأرانب والكلاب والنعام مراكب الغيلان؟ ولم صارت الرواقيد مطايا السواحر؟ وبأي شيء زوج أهل السعلاة ابن يربوع «٤» ؟ وما فرق ما بينه وبين عبد الله بن هلال؟ وما فعلت الفتاة التي كانت سميت بصبر على يد حرمي وأبي منصور؟ ولم غضب من ذلك المذهب؟ ولم مضى على وجهه

---

(١) الحيوان الجاحظ ١/١٧٣

شفشف؟ وما الفرق بين الغيلان والسعالي، وبين شيطان الخضراء وشيطان الحماطة؟ ولم علق السمك المالح بأذنابه والطري بآذانه، وما بال الفراخ تحمل بأجنحتها والفراريج." (١)

"بأرجلها؟ وما بال كل شيء أصل لسانه مما يلي الحلق وطرفه مما يلي الهواء، إلا لسان الفيل؟ ولم قالت الهند: لولا أن لسانه مقلوب لتكلم «١» ؟ ولم صار كل ماضغ وآكل يحرك فكه الأسفل، إلا التمساح فإنه يحرك فكه الأعلى «٢» ؟ ولم صار لأجفان الإنسان الأشفار، وليس ذلك للدواب إلا في الأجفان العالية؟ وما بال عين الجرادة وعين الأفعى لا تدوران؟ وما بيضة العقر «٣» وما بيضة الديك «٤» ؟ ولم امتنع بيض الأنوق؟ وهل يكون الأبلق العقوق؟ وما بال لسان سمك البحر عديما؟ وما بال الغريق من الرجال يطفو على قفاه، ومن النساء على وجهه؟ ولم صار القتيل إذا قتل يسقط على وجهه ثم يقلبه ذكره؛ وأين تذهب شقشقة البعير وغرمول الحمار والبغل وكبد الكوسج بالنهار، ودم الميت؟ ولم انتصب خلق الإنسان من بين سائر الحيوان؟

وخبرني عن الضفادع، لم صارت تنق بالليل وإذا أوقدت النار أمسكت؟.

وقالوا: قد عارضناكم بما يجري مجرى الفساد والخرافة. لنردكم إلى الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج للظاهر.

فإن أعجبتك هذه المسائل، واستطرفت هذا المذهب، فاقرأ رسالتي إلى أحمد ابن عبد الوهاب الكاتب، فهي مجموعة هناك.

٢٣٤-[كثرة أصناف الكلاب]

والكلاب أصناف لا يحيط بها إلا من أطال الكلام. وجملة ذلك أن ما كان منها للصيد فهي الضراء، وواحدها ضروة، وهي الجوارح والكواسب، ونحن لا نعرفها إلا السلوقية؛ وهي من أحرار الكلاب وعتاقها، والخلاسية هجنها ومقاريفها. وكلاب الرعاء من زينيها وكرديها فهي كرادتها.." (٢)

"قال: فالحية تعرف هذا من الخنزير، فهي تطالبه.

قال: والغراب مصادق للثعلب، والثعلب مصادق للحية، والأسد والنمر مختلفان.

قال: وبين الفيلة اختلاف شديد، وكذلك ذكورها وإناثها، وهي تستعمل الأنياب إذا قاتل بعضها بعضا،

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٠٣/١

(٢) الحيوان الجاحظ ٢٠٤/١

وتعتمد بها على الحيطان فتهدمها، وتزحم النخلة بجنبها فتصرعها.

وإذا صعب من ذكورتها شيء احتالوا له حتى يكومه «١» ذكر آخر، فإذا كامه خضع أبدا. وإذا اشتد خلقه وصعب عصبوا رجليه فسكن.

ويقال إن البعير إذا صعب وخافه القوم، استعانوا عليه فأبركوه وعقلوه حتى يكومه فحل آخر، فإذا فعل ذلك به ذل! وأما أصحابنا فحكوا وجوه العداوة التي بين **الفيل** والسنور- وهذا أعجب- وذهبوا إلى فزع **الفيل** من السنور، ولم يروه يفزع مما هو أشد وأضخم. وهذا الباب على خلاف الأول، كأن أكثر ذلك الباب بني على عداوة الأكفاء.

والشاة من الذئب أشد فرقا منها من الأسد، وإن كانت تعلم أن الأسد يأكلها.

وكذلك الحمام يعتريه من الشاهين ما لا يعتريه من العقاب والبازي والصقر.

وكذلك الفأرة من السنور «٢» ، وقد يأكلها ابن عرس. وأكثر ذلك أن يقتلها ولا يأكلها. وهي من السنور أشد فرقا.

والدجاجة تأكلها أصناف من السباع، والثعلب يطالبها مطالبة شديدة، ولو أن دجاجا على رف مرتفع، أو كن على أغصان شجرة شاهقة، ثم مر تحتها كل صنف مما يأكلها، فإنها تكون مستمسكة بها معتصمة بالأغصان التي هي عليها. فإذا مر تحتها ابن آوى وهن ألف، لم تبق واحدة منهن إلا رمت بنفسها إليه.

٢٨٦-[ما يأباه بعض الحيوان من الطعام]

والسبع لا يأكل الحار، والسنور لا يذوق الحموضة، ويجزع من الطعام الحار.

والله تعالى أعلم.." (١)

"وأنا أعوذ بالله تعالى أن أكون كلما غمز قناتي باب من الكلام صعب المدخل، نقضت ركنا من أركان مقالتي! ومن كان كذلك لم ينتفع به.

٣٤٩-[القول في إصابة العين]

فإن قال قائل: وما بلغ من أمر هذا الفاصل الذي لا يشعر به القوم الحضور ولا الذي انفصل منه، ولا المار بينهما، ولا المتلقي له ببدنه وليس دونه شيء، وكيف لم يعمل في الأقرب دون الأبعد، والأقرب إنسان مثله، ولعله أن يكون طبعه أشد اجتذابا للآفات!.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢/٢٨٢

وبعد، فكيف يكون شيء يصرع الصحيح ويضجع القائم، وينقض القوى، ويمرض الأصحاء، ويصدع الصخر ويهشم العظم، ويقتل الثور، ويهد الحمار، ويجري في الجماد مجراه في النبات، ويجري في النبات مجراه في الحيوان، ويجري في الصلابة والملاسة جريه في الأشياء السخيفة الرخوة؛ وهو مما ليس له صدم كصدم الحجر، أو غرب كغرب السيف، أو حد كحد السنان؛ وليس من جنس السم، فيحمل على نفوذ السم؛ وليس من جنس الغذاء فيحمل على نفوذ الغذاء، وليس من جنس السحر فيقال إن العمار «١» عملوا ذلك من طريق طاعتهم للعزائم. فلعل ذلك إنما كان شيئا وافق شيئا.

قيل لهم: قد تعلمون كيف مقدار سم الجرارة «٢» أو سم الأفعى، وكيف لو وزنتم الجرارة «٣» قبل لسعها وبعده لوجدتموها على حال واحدة. وأنت ترى كيف تفسخ عقد بدن **الفيل**، وكيف تنقض قوى البعير، من غير صدم كصدم الحجر، وغرب كغرب السيف، وحد كحد السنان.

فإن قلت: فهل ناب الأفعى وإبرة العقرب إلا في سبيل حد السنان؟ قلنا: إن البعير لو كان إنما يتفسخ لطعن العقرب بإبرتها لما كان ذلك يبلغ منها مقدار النخس فقط، ولكنه لا بد أن يكون ذلك لأحد أمرين: إما أن تكون العقرب تمج فيه شيئا من إبرتها، فيكون طبع ذلك وإن قل يفسخ **الفيل** والزندبيل «٤» ، وإما أن يكون طبع ذلك الدم إذا لاقاه طبع ذلك الناب وتلك الإبرة أن يجمد فيقتل بالإجماد، أو يذيب فيقتل بالإذابة. فأيهما كان فإن الأمر فيه على خلاف ما صدرتم به المسألة.." (١)

"يرض بهذه القرابة وهذه المشاكلة، وبمقدار ما عليه من طباع الخطاف والحمام والعصفور، وبمقدار ما فضلها الله تعالى به من الأنس، حتى صار إلى غاية المنافع سلما، وإلى أكثر المرافق.

٣٨٣-[الحاجة إلى الكلاب]

وليس لحارس الناس ولحارس أموالهم بد من كلب، وكلما كان أكبر كان أحب إليه. ولا بد لأقاطيع المواشي من الكلاب، وإلا فإنها نهب للذئاب ولغير الذئاب ثم كلاب الصيد، حتى كان أكثر أهل البيت عيالا على كل كلب.

٣٨٤-[قبول الكلب للتلقين]

وقد صار اليوم عند الكلب من الحكايات وقبول التلقين، وحسن التصريف في أصناف اللعب، وفي فطن الحكايات ما ليس في الجوارح المذللة لذاك، المصرفة فيه، وما ليس عند الدب والقرد **والفيل**، والغنم

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢/٣٢٣

المكية، والببغاء.

والكلب الزيني الصيني «١» يسرج على رأسه ساعات كثيرة من الليل فلا يتحرك. وقد كان في بني ضبة كلب زيني صيني، يسرج على رأسه، فلا ينبض فيه نابض، ويدعونه باسمه ويرمى إليه ببضعة لحم والمسرجة على رأسه، فلا يميل ولا يتحرك، حتى يكون القوم هم الذين يأخذون المصباح من رأسه، فإذا زايل رأسه وثب على اللحم فأكله!. درب فدرب وثقف فثقف، وأدب فقبل. وتعلق في رقبته الزنبلة «٢» والدوخلة «٣» وتوضع فيها رقعة، ثم يمضي إلى البقال ويجيء بالحوائج.

٣٨٥-[تعليم الكلب والقرد]

ثم صار القراد وصاحب الرباح «٤» من ثم يستخرج فيما بين الكلب والقرد ضروبا من العمل، وأشكالا من الفطن، حتى صاروا يطحنون عليه، فإذا فرغ من طحنه مضوا به إلى المتمعك «٥» ، فيمعك كما يمعك حمار المكاري وبغل الطحان.." (١)

"وقالت امرأة في زوجها وهي ترقص ابنا لها منه «١» : [من الرجز]

وهبته من سلفع أفوك ... ومن هبل قد عسا حنيك «٢»

أشهب ذي رأس كرأس الديك

تريد بقولها «أشهب» أنه شيخ وشعر جسده أبيض وأن لحيته حمراء.

وقد قال الشاعر، وهو الأعشى: [من الخفيف]

وبني المنذر الأشاهب بالحي ... ره يمشون غدوة كالسيوف «٣»

وإنما أراد الأعشى أن يعظم ويفخم أمرهم وشأنهم، بأن يجعلهم شيوخا.

وأما قولها: «ذي رأس كرأس الديك» فإنما تعني أنه مخضوب الرأس واللحية.

وقال الآخر: «٤» [من البسيط]

حلت خويلة في حي مجاورة ... أهل المدائن فيها الديك **والفيل**

يقارعون رؤوس العجم ضاحية ... منهم فوارس لا عزل ولا ميل «٥»

قال ابن أحمر: [من البسيط]

في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة ... لا يبتغي دونها سهل ولا جبل «٦»

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٤٦/٢

إلا كمثلك فينا غير أن لنا ... شوقا وذلك مما كلفت جلل

هيهات حي غدوا من ثجر منزلهم ... حي بنجران صاح الديك فاحتملوا «٧«

وقال «٨» : [من الطويل]

أبعد حلول بالركاء وجامل ... غدا سارحا من حولنا وتنشرا «٩»." (١)

"٥٠٣-[شدة حذر العصفور]

وليس في الأرض أصدق حذرا منه، ويقال إنه في ذلك لأكثر من العقعق «١» والغراب.

وخبرني من يصيد العصافير قال: ربما كان العصفور ساقطا على حائط سطح بحذائي، فيغمني صياحه وحدة صوته، فأصبح وأومئ إليه بيدي، وأشير كأني أرميه، فما يطير. حتى ربما أهويت إلى الأرض كأني أتناول شيئا، كل ذلك لا يتحرك له. فإن مست يدي أدبي حصاة أو نواة وأنا أريد رميها، طار قبل أن تستمكن منها يدي «٢» .

٥٠٤-[سفاد العصفور] «٣»

وليس في الطير أكثر عدد سفاد من العصافير «٤» ، ولذلك يقال إنها أقصر الطير أعمارا. ويقال إنه ليس شيء مما يألف الناس ويعايشهم في دورهم أقصر عمرا منها، يعنون: من الخيل والبغال والحمير، والبقر والغنم، والكلاب والسنانير، والخطاطيف والزرازير، والحمام والدجاج.

٥٠٥-[نقزان العصفور]

ولا يقدر العصفور على المشي، وليس عنده إلا النقزان «٥» ، ولذلك يسمى النقاز، وإنما يجمع رجليه ثم يثب، وذلك في جميع حركاته، وفي جميع ذهابه ومجيئه. فهي الصعو، والعصافير، والنقاقيز. وإن هو مشى هذه المشية- التي هي نقزان- على سطح وإن ارتفع سمكه، فكأنك تسمع لوطئه وقع حجر، لشدة وطئه، ولصلابة مشيه، وهو ضد **الفيل**؛ لأن إنسانا لو كان جالسا ومن خلف ظهره فيل لما شعر به، لخفة وقع قوائمه، مع سرعة مشي وتمكين في الخطا.

٥٠٦-[سبعية الرخم والنسر]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢/٤١١

والرخم والنسر سباع، وإنما قصر بها عدم السلاح. فأما البدن والقوة ففوق جميع الجوارح. ولكنها في معنى الدجاج، لمكان البراثن ولعدم المخالب.." (١)

"ومن سنتهم [١] : أن كل من علا الكعبة من العبيد فهو حر، لا يرون الملك على من علاها، ولا يجمعون بين عز علوها وذلة الملك.

وبمكة رجال من الصلحاء لم يدخلوا الكعبة قط.

وكانوا في الجاهلية لا يبنون بيتا مربعا؛ تعظيما للكعبة [٢] . والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة، ومنه: كعبة نجران [٣] . وكان أول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير، أحد بني أسد بن عبد العزى.

ثم البركة والشفاء الذي يجده من شرب من ماء زمزم على وجه الدهر وكثرة من يقيم عليه يجد فيه الشفاء، بعد أن لم يدع في الأرض حمة إلا أتاها، وأقام عندها، وشرب منها، واستنقع فيها [٤] .

هذا مع شأن الفيل، والطير الأبابيل، والحجارة السجيل، وأنها لم تزل أمنا ولقاحا [٥] ، لا تؤدي إتاوة، ولا تدين للملوك، ولذلك سمي البيت العتيق؛ لأنه لم يزل حرا لم يملكه أحد.

وقال حرب بن أمية في ذلك [٦] : [من الوافر]

أبا مطر هلم إلى صلاح ... فتكفيك الندامى من قريش

فتأمن وسطهم وتعيش فيهم ... أبا مطر هديت لخير عيش

وتنزل بلدة عزت قديما ... وتأمن أن يزروك رب جيش

وقال الله عز وجل: وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى

[٧] وقال عز وجل، حكاية عن إبراهيم: ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون

[٨] .

---

[١] انظر الحاشية السابقة.

[٢] ثمار القلوب (٦٦) .

[٣] نجران: أقدم بلاد اليمن، وكانت لها كعبة تحج فخربت وبطلت. وضرب بها المثل في الخراب وزوال

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢/٤٢٦

الدولة. انظر ثمار القلوب (٧٥١) ، ومعجم البلدان ٢٦٨/٥.

[٤] انظر ثمار القلوب (٨٠٤- ٨٠٥) .

[٥] اللقاح: الذي ليس في سلطان ملك. الكامل ٣٠٦/٢ (طبعة المعارف) .

[٦] الأبيات في معجم البلدان ٤١٩/٣ (صلاح) ، والكامل ٣٠٦/٢، واللسان والتاج وأساس البلاغة وعمدة الحفاظ (صلح) ، وما بنته العرب على فعال ١٨، والأول في التنبيه والإيضاح ٢٥٣/١، وهو بلا نسبة في المخصص ١٨١/١٣، والجمهرة ٥٤٣.

[٧] ١٢٥/البقرة: ٢.

[٨] ٣٧/إبراهيم: ١٤.." (١)

"منه السافد. وهذا الباب شائع في كثير من الأجناس، إلا أنه في هذه الأجناس أوجد.

٦٧٤-[صيد البزاة للحمام]

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الحمام، من غير أن يشاب بذكر غيره.

زعم صاحب المنطق أن البزاة عشرة أجناس، فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جاثمة، ومنها ما لا يضرب الحمام إلا وهو يطير، ومنها ما لا يضرب الحمام في حال طيرانه ولا في حال جثومه، ولا يعرض له إلا أن يجده في بعض الأغصان، أو على بعض الأنشاز والأشجار. فعدد أجناس صيدها، ثم ذكر أن الحمام لا يخفى عليه في أول ما يرى البازي في الهواء أي البزاة هو، وأي نوع صيده، فيخالف ذلك. ولمعرفة الحمام بذلك من البازي أشكال: أول ذلك أن الحمام في أول نهوضه يفصل بين النسر والعقاب، وبين الرخمة والبازي، وبين الغراب والصقر؛ فهو يرى الكركي والطبرزين [١] ولا يستوحش منهما! ويرى الزرق فيتضاءل. فإن رأى الشاهين فقد رأى السم الذعاف الناقع.

٦٧٥-]إحساس الحيوان بعدوه]

والنعجة ترى الفيل والزندبيل [٢] والجاموس والبعير، فلا يهزها ذلك، وترى السبع وهي لم تره قبل ذلك، وعضو من أعضاء تلك البهائم أعظم وهي أهول في العين وأشنع، ثم ترى الأسد فتخافه. وكذلك الببر [٣] والنمر. فإن رأت الذئب وحده اعتراها منه وحده مثل ما اعتراها من تلك الأجناس لو كانت مجموعة في مكان واحد. وليس ذلك عن تجربة، ولا لأن منظره أشنع وأعظم، وليس في ذلك علة إلا ما طبعت عليه

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧٣/٣

من تمييز الحيوان عندها. فليس بمستنكر أن تفصل الحمامة بين البازي والبازي، كما فصلت بين البازي والكركي.

فإن زعمت أنها تعرف بالمخالب فمنقار الكركي أشنع وأعظم وأفظع، وأطول وأعرض. فأما طرف منقار الأبغث فما كان كل سنان وإن كان مذربا [٤] ليبلغه.

---

[١] الطبرزين: الفأس التي يعلقها الفارس في سرج جواده. انظر المعرب للجواليقي ١٩٤.

[٢] الزندبيل: الفيل الكبير. حياة الحيوان ١/٥٤٠.

[٣] الببر: ضرب من السباع، يسابق الأسد، يقال إنه متولد من الزبرقان واللبوة. حياة الحيوان ١/١٥٩.

[٤] المذرب: المحدد «القاموس: ذرب» .." (١)

"٦٩٨-[أجنحة الملائكة]

وقد طعن قوم في أجنحة الملائكة. وقد قال الله تعالى: الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء

[١] وزعموا أن الجناحين كاليدين، وإذا كان الجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة، وإذا كانت ثلاثة كان صاحب الثلاثة كالجادف من الطير [٢] ، الذي أحد جناحيه مقصوص، فلا يستطيع الطيران لعدم التعديل. وإذا كان أحد جناحيه وافيا والآخر مقصوصا، اختلف خلقه وصار بعضه يذهب إلى أسفل والآخر إلى فوق.

وقالوا: إنما الجناح مثل اليد، ووجدنا الأيدي والأرجل في جميع الحيوان لا تكون إلا أزواجا. فلو جعلتم لكل واحد منهم مائة جناح لم ننكر ذلك. وإن جعلتموها أنقص بواحد أو أكثر بواحد لم نجوزه.

قيل لهم: قد رأينا من ذوات الأربع ما ليس له قرن، ورأينا ما له قرنان أملسان، ورأينا ما له قرنان لهما شعب في مقاديم القرون، ورأينا بعضها جما ولأخواتها قرون، ورأينا منها ما لا يقال لها جم لأنها ليست لها شكل ذوات القرون، ورأينا لبعض الشاء عدة قرون نابتة في عظم الرأس أزواجا وأفرادا، ورأينا قرونا جوفا فيها قرون، ورأينا قرونا لا قرون فيها، ورأيناها مصمتة، ورأينا بعضها يتصل قرنه في كل سنة، كما تسلخ الحية جلدها، وتنفض الأشجار ورقها، وهي قرون الأيائل، وقد زعموا أن للحمار الهندي [٣] قرنا واحدا.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣/٩٣

٦٩٩-[ضروب من الطير]

وقد رأينا طائرا شديد الطيران بلا ريش كالخفاش، ورأينا طائرا لا يطير وهو وافي الجناح، ورأينا طائرا لا يمشي وهو الزرزور. ونحن نؤمن بأن جعفرا الطيار ابن أبي طالب، له جناحان يطير بهما في الجنان، جعلا له عوضا من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين في يوم مؤتة [٤] . وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق.

---

[١] ١/فاطر: ٣٥.

[٢] الجادف: الطائر الذي يطير وهو مقصوص «القاموس: جدف» .

[٣] الحمار الهندي: هو الكركدن، وهو عدو **الفيل**، يقال إنه متولد من بين الفرس **والفيل**. حياة الحيوان ٢٤٣/٣.

[٤] مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وبها كان يوم مؤتة في السنة الثامنة للهجرة بين المسلمين والروم. انظر أيام العرب في الإسلام ٨٨- ٩١، ومعجم البلدان ٢١٩/٥ (مؤتة) .." (١)

"وقالوا: ذوات الخراطيم من كل شيء أقوى عضا ونابا وفكا؛ كالذيب والخنزير، والكلب. وأما **الفيل** فإن خرطومه هو أنفه، كما أن لكل شيء من الحيوان أنفا، وهو يده، ومنه يغني وفيه يجري الصوت، كما يجري الزامر الصوت في القصبة بالنفخ.

ومتى تضاغط الهواء صوت على قدر الضغط، أو على قدر الثقب.

٧٦٨-[أمثال من الشعر في الذباب]

والذباب: اسم الواحد، والذبان: اسم الجماعة. وإذا أرادوا التصغير والتقليل ضربوا بالذبان المثل. قال الشاعر [١] : [من الوافر]

رأيت الخبز عز لديك حتى ... حسبت الخبز في جو السحاب

وما روحتنا لتذب عنا ... ولكن خفت مرزية الذباب

وقال آخر [٢] : [من الكامل]

لما رأيت القصر أغلق بابه ... وتعلقت همدان بالأسباب

---

(١) الحيوان الجاحظ ١١٢/٣

أيقنت أن إمارة ابن مضارب ... لم يبق منها قيس أير ذباب

قال بعضهم: لم يذهب إلى مقدار أيره وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحمر [٣] :

[من السريع]

ما كنت عن قومي بمهتضم ... لو أن معصيا له أمر

كلفتني مخ البعوض فقد ... أقصرت لا نجح ولا عذر [٤]

٧٦٩-[ما يلغ من الحيوان وما لا يلغ]

قال: وليس شي مما يطير يلغ في الدم، وإنما يلغ في الدماء من السباع ذوات الأربع. وأما الطير فإنها تشرب حسوا، أو عبة بعد عبة. ونغبة بعد نغبة. وسباع الطير

---

[١] البيتان لأبي الشمقمق في البخلاء ٧٣، وعيون الأخبار ٣٦/٢، ٢٤٧/٣، وبلا نسبة في البخلاء ١٢٦، والثاني بلا نسبة في ديوان المعاني ١٨٧/١، والعقد الفريد ١٩١/٦.

[٢] البيتان لعبد الله بن همام السلولي في ديوانه ٣٧- ٣٨، وبلا نسبة في ثمار القلوب ٣٩٨ (٧٢٨) .

[٣] ديوان ابن أحمر ٩٤- ٩٥، والمقاييس ٢٧٠/١، والثاني في ثمار القلوب ٣٩٩ (٧٢٩) ، والمعاني الكبير ٦٠٨، والمستقصى ٢٢٣/٢.

[٤] قوله «كلفتني مخ البعوض» من الأمثال في مجمع الأمثال ١٤٧/٢، والمستقصى ٢٢٣/٢.." (١)

"٧٨٢-[معارف في الذباب]

ثم رجع بنا القول إلى صلة كلامنا في الإخبار عن الذبان.

فأما سكان بلاد الهند فإنهم لا يطبخون قدرا، ولا يعملون حلوى ولا يكادون يأكلون إلا ليلا؛ لما يتهافت من الذبان في طعامهم. وهذا يدل على عفن التربة ولخن الهواء.

وللذبان يعاسيب وجحلان [١] ، ولكن ليس لها قائد ولا أمير. ولو كانت هذه الأصناف التي يحرس بعضها بعضا. وتتخذ رئيسا يدبرها ويحوطها، إنما أخرج ذلك منها العقل دون الطبع، وكالشيء يخص به البعض دون الكل لكان الذر والنمل أحق بذلك من الكراكي [٢] والغرانيق [٢] والثيران، ولكان الفيل أحق به من البعير؛ لأنه ليس للذر قائد ولا حارس، ولا يعسوب يجمعها ويحميها بعض المواضع، ويوردها بعضا.

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٥٢/٣

وكل قائد فهو يعسوب ذلك الجنس المقود. وهذا الاسم مستعار من فحل النحل وأمير العسالات.
وقال الشاعر وهو يعني الثور: [من الطويل]
كما ضرب اليعسوب إذ عاف باقر ... وما ذنبه إذ عافت الماء باقر [٣]
وكما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في صلاح الزمان وفساده: «فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه» [٤] .
وعلى ذلك المعنى قال حين مر بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد قتيلا يوم الجمل: «لهفي عليك يعسوب قريش! جدعت أنفي وشفيت نفسي!» [٥] .
قالوا: وعلى هذا المعنى قيل: «يعسوب الطفاوة» .
٧٨٣-[أقذر الحيوان]
وزعم بعض الحكماء أنه لا ينبغي أن يكون في الأرض شيء من الأشياء أنتن

---

[١] في القاموس: (الجحل: اليعسوب العظيم والجعل. جمع جحول وجحلان) .
[٢] الكراكي: جمع الكركي، وهو طائر كبير، ذهب بعض الناس إلى أنه الغرنوق، وهو أغبر؛ طويل الساقين. حياة الحيوان ٢/٢٤٤.
[٣] تقدم البيت في مقدمة لمؤلف في الجزء الأول، ونسبه إلى الهيبان الفهمي ص ١٨.
[٤] الحديث في النهاية ٣/٢٣٤، وأساس البلاغة (عسب) .
[٥] الحديث في النهاية ٣/٢٣٥، وأساس البلاغة (عسب) ، ومجالس ثعلب ٩21.." (١)
"فأنكرت كثرة الذبان. فلما كان الغد جاء منه ما لم أقدر معه على الأكل والشرب.
وذهبت القائلة وذهب الحديث، وشغلت بالذب. على أنهن لم يكن يبرحن بالذب، وكن أكثر من أن أكون أقوى عليهن؛ لأني كنت لا أطرد مائة حتى يخلفها مائة مكانها. وهن في أول ما يخرجن من الباقلاء كأن بهن زمانة [١] فلما كان طيرانهن أسوأ كان أسوأ لحالي، فقلت للملاح: ويلك! أي شيء معك حتى صار الذبان يتبعك! قد والله أكلت وشربت! قال: أو ليس تعرف القصة؟ قلت: لا والله! قال:
هي والله من هذه الباقلاء، ولولا هذه البلية لجاءنا من الركاب كما يجيئون إلى جميع أصحاب الحمولات.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣/١٥٧

وما ظننته إلا ممن قد اغتفر هذا للين الكراء، وحب التفرد بالسفينة. فسألته أن يقربني إلى بعض الفرض [٢] ، حتى أكتري من هناك إلى حيث أريد، فقال لي: أتحب أن أزودك منه؟ قلت: ما أحب أن ألتقي أنا والباقلاء في طريق أبدا!.

٨٠٥-[من كره الباقلاء]

ولذلك كان أبو شمر لا يأكل الباقلاء، وكان أخذ ذلك عن معلمه معمر أبي الأشعث. وكذلك كان عبد الله بن مسلمة بن محارب والوكيعي ومعمر، وأبو الحسن المدائني، برهة من دهرهم.

وكان يقول: لولا أن الباقلاء عفن فاسد الطبع، رديء يخثر الدم ويغلظه ويورث السوداء وكل بلاء- لما ولد الذبان. والذبان أقذر ما طار ومشى! وكان يقول: كل شيء ينبت منكوسا فهو رديء للذهن، كالباقلاء والباذنجان.

وكان يزعم أن رجلا هرب من غرمائه فدخل في غابة باقلاء، فتستر عنهم بها، فأراد بعضهم إخراجه والدخول فيها لطلبه، فقال: أحكمهم وأعلمهم كفاكم له بموضعه شرا! وكان يقول: سمعت ناسا من أهل التجربة يحلفون بالله: إنه ما أقام أحد أربعين يوما في منبت باقلاء وخرج منه إلا وقد أسقمه سقما لا يزايل جسمه.

وزعم أن الذي منع أصحاب الأدهان والتربية بالسمسم من أن يربوا السماسم [٣]

---

[١] الزمانة: العاهة «القاموس: زمن» .

[٢] الفرض: جمع فرضة، وهي محط السفن من البحر «القاموس: فرض» ..

[٣] السماسم: طائر «القاموس: سمم» . وفي حياة الحيوان ٥٦٦/١: (السمائم: جمع سمامة، وهو ضرب من الطير كالخطاف، وقيل هو السنونو، وهو الطير الأبابيل الذي أرسله الله تعالى على أصحاب الفيل) .." (١)

"٩٣٩-[طول عمر الخفاش]

ثم الخفاش بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر، حتى يجوز في ذلك العقاب والورشان إلى النسر، ويجوز حد الفيلة والأسد وحمير الوحش، إلى أعمار الحيات.

ومن أعاجيب الخفافيش أن أبصارها تصلح على طول العمر، ولها صبر على طول فقد الطعم. فيقال إن

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٧٠/٣

اللواتي يظهرن في القمر من الخفافيش المسنات المعمرات، وإن أولادهن إذا بلغن لم تقو أبصارهن على ضياء القمر.

ومن أعاجيبها أنها تضخم وتجسم وتقبل الشحم على الكبر وعلى السن.

٩٤٠-[القدرة التناسلية]

وقد زعم صاحب المنطق أن الكلاب السلوقية كلما دخلت في السن كان أقوى لها على المعاظلة.

وهذا غريب جدا، وقد علمنا أن الغلام أحد ما يكون وأشبق وأنكح وأحرص، عند أول بلوغه. ثم لا يزال كذلك حتى يقطعه الكبر أو إصفاء أو تعرض له آفة.

ولا تزال الجارية من لدن إدراكها وبلوغها وحركة شهوتها على شبيه بمقدار واحد من ضعف الإرادة. وكذلك عامتهن. فإذا اكتهلن وبلغت المرأة حد النصف فعند ذلك يقوى عليها سلطان الشهوة والحرص على الباه، فإنما تهيج الكهلة عند سكون هيج الكهل وعند إدبار شهوته، وكلال حده.

٩٤١-[قول النساء في الخفافيش]

وأما قول النساء وأشباه النساء في الخفافيش، فإنهم يزعمون أن الخفاش إذا عض الصبي لم ينزع سنه من لحمه حتى يسمع نهيق حمار وحشي. فما أنسى فزعي من سن الخفاش، ووحشتي من قربه! إيمانا بذلك القول، إلى أن بلغت.

وللنساء وأشباه النساء في هذا وشبهه خرافات، عسى أن نذكر منها شيئا إذا بلغنا إلى موضعه إن شاء الله.

٩٤٢-[ضعف البصر لدى بعض الحيوان]

ومن الطير وذوات الأربع ما يكون فاقد البصر بالليل، ومنها ما يكون سيء البصر. فأما قولهم: إنه الفأرة والسنور وأشياء أخر أبصر بالليل، فهذا باطل.." (١)

"باب جملة القول في القرد والخنزير

وفي تأويل المسخ، وكيف كان، وكيف يمسخ الناس على خلقتهما دون كل شيء، وما فيهما من العبرة والمحنة؛ وفي خصالهما المذمومة، وما فيهما من الأمور المحمودة؛ وما الفصل الذي بينهما في النقص، وفي الفضل، وفي الذم وفي الحمد.

٩٧٤-[ذكر الحيوان في القرآن]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٥٩/٣

وقد ذكر الله عز وجل في القرآن العنكبوت، والذر والنمل، والكلب، والحمار، والنحل، والهدهد، والغراب، والذئب، **والفيل** والخيل، والبغال، والحمير، والبقر، والبعوض، والمعز، والضأن، والبقرة، والنعجة، والحوت، والنون. فذكر منها أجناسا، فجعلها مثلا في الذلة والضعف، وفي الوهن، وفي البذاء، والجهل.

وقال الله عز وجل: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها

[١] فقللها كما ترى وحقرها، وضرب بها المثل. وهو مع ذلك جل وعلا، لم يمسخ أحدا من حشو أعدائه وعظمائهم بعوضة.

وقال تعالى: يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب

[٢] . إنما قرع الطالب في هذا الموضع [٣] بإنكاره وضعفه، إذ عجز ضعفه عن ضعف مطلوب لا شيء أضعف منه، وهو الذباب. ثم مع ذلك لم نجده جل وعلا، ذكر أنه مسخ أحدا ذبابا.

وقال: وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت

[٣] فدل بوهن بيته على وهن خلقه، فكان هذا القول دليلا على التصغير والتقليل. وإنما لم يقل: إني مسخت أحدا من أعدائي عنكبوتا.

---

[١] ٢٦/البقرة: ٢.

[٢] ٧٣/الحج: ٢٢.

[٣] ٤١/العنكبوت: ٢٩، وانظر ثمار القلوب (٦٣٥) ففيه التعليق نفسه الذي أورده الجاحظ.." (١)

"وخبرني كم شئت من الناس، أنه رأى أصحاب الجبن الرطب بالأهواز وقراها، يأخذون القطعة الضخمة من الجبن الرطب، وفيها ككواء الزنابير، وقد تولد فيها الديدان، فينفضها وسط راحته، ثم يقمحها في فيه، كما يقمح السويق والسكر، أو ما هو أطيب منه.

٩٧٨-[آيات في تعذيب الناس بالحيوان]

وقد خبر الله تعالى عن أصحاب النقم، وما أنزل الله من العذاب، وما أخذ من الشكل والمقابلات، فقال: فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤/٢٧٨

ومنهم من أغرقنا

[١] ، وقال:

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل

[٢] .

وليس من هذه الأصناف شيء أبلغ في المثلة والشنعة، ممن جعل منهم القردة والخنازير.

٩٧٩-[الأهلي والوحشي من الحيوان]

فالخنزير يكون أهليا ووحشيا، كالحمير والسنانير، مما يعايش الناس. وكلها لا تقبل الآداب. وإن الفهود وهي وحشية تقبل كلها، كما تقبل البوازي، والشواهين، والصقورة، والزرق، واليؤيؤ، والعقاب، وعناق الأرض، وجميع الجوارح الوحشيات.

ثم يفضلها الفهد بخصلة غريبة وذلك أن كبارها ومسانها أقبل للآداب، وإن تقادمت في الوحش، من أولادها الصغار، وإن كانت تقبل الآداب؛ لأن الصغير إذا أدب فبلغ، خرج جبينا مواكلا، والمسن الوحشي يخلص لك كله، حتى يصير أصيد وأنفع.

وصغار سباع الطير وكبارها على خلاف ذلك، وإن كان الجميع يقبل الأدب.

والخنزير وإن كان أهليا فإنه لا يقبل الأدب على حال، حتى كأنه- وإن كان بهيمة- في طباع ذئب.

وذلك أن أعرابيا أخذ جرو ذئب وكان التقطه التقاطا، فقال: أخذته وهو لا يعرف أبويه ولا عملهما، وهو غر لم يصد شيئا، فهو إذا ربيناه وألفناه، أنفع لنا من

---

[١] ٤٠/العنكبوت: ٢٩.

[٢] /الفيل: ١٠٥.." (١)

"ومثل هذا يعرض للذئبة والذئب. والأسد ليس ذلك من صفاتها؛ لأن بعضها لا يأوي إلى بعض، بل ينفرد كل واحد بلبؤته. وإذا كان للذئبة الأنثى جراء ساءت أخلاقها وصعبت، وكذلك إناث الخيل والفيل: يسوء خلقها في ذلك الزمان.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٨٣/٤

والفيالون يحمونها النزو؛ لأنها إذا نزت جهلت جهلا شديدا، واعتراها هيج لا يقام له. وإذا كان ذلك الزمان أجادوا عقله، وأرسلوه في **الفيلة** الوحشية. فأما الخنزير والكلب فإنهما لا يجهلان على الناس؛ لمكان الألفة.

قال: وزعم بعض الناس أن إناث الخيل تمتلئ ريحا في زمان هيجها، فلا يباعدون الذكورة عنها. وإذا اعتراها ذلك ركضت ركضا شديدا، ثم لا تأخذ غربا ولا شرقا، بل تأخذ في الشمال والجنوب.

ويعرض مثل هذا العرض لإناث الخنازير. فإذا كان زمن هياج الخنازير، تطأطئ رؤوسها، وتحرك أذنابها تحريكا متتابعا، وتتغير أصواتها إذا طلبت السفاد. وإذا طلبت الخنزيرة السفاد بالت بولا متتابعا.

٧89-[مدد الحمل للحيوان]

قال: وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر. وأكثر ما تحمل عشرون خنوصا [٢] .

وإذا وضعت أجراء كثيرة لم تقو على رضاعها وتربيتها.

قال: وإناث الخنازير تحمل من نزوة واحدة، وربما كان من أكثر. وإذا طلبت الذكر لم تنزع حتى تطاوع وتسامح، وترخي أذنابها. فإذا فعلت ذلك تكتفي بنزوة واحدة.

ويعلف الذكر الشعير في أوان النزو، ويصلح للأنثى.

والخنزيرة تضع في أربعة أشهر، والشاة في خمسة، والمرأة والبقرة في تسعة أشهر، والحافر كله في سنة.

٩٨٨-[خصائص الخنزير]

قال: ومتى قلعت العين الواحدة من الخنزير هلك. وكثير من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما. والخنزير ينزو إذا تم له ثمانية أشهر، والأنثى تريد الذكر إذا تمت لها ستة أشهر. وفي بعض البلدان ينزو إذا تم له أربعة أشهر، والخنزيرة إذا تمت لها ستة أشهر، ولكن أولادهما لا تجيء كما يريدون. وأجود النزو أن يكون ذلك منه." (١)

"قال سليمان: سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين

[١] ثم قال: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون. قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين

[٢] فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٨٧/٤

[٣] وذلك أنها قالت: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون

[٤] ثم قال سليمان للهدهد: ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون

[٥] وقال: يا أيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم

[٦] فطعن في جميع ذلك طاعنون، فقال بعضهم: قد ثبت أن الهدهد يحتمل العقاب والعتاب، والتكليف والثواب، والولاية، ودخول الجنة بالطاعة، ودخول النار بالمعصية؛ لأن المعرفة توجب الأمر والنهي، والأمر والنهي يوجبان الطاعة والمعصية، والطاعة والمعصية يوجبان الولاية والعداوة، فينبغي للهداهد أن يكون فيها العدو والولي، والكافر والمسلم، والزنديق والدهري.

وإذا كان حكم الجنس حكما واحدا لزم الجميع ذلك. وإن كان الهدهد لا يبلغ عند جميع الناس في المعرفة مبلغ الذرة، والنملة، والقملة، **والفيل**، والقرد، والخنزير، والحمام- وجميع هذه الأمم، تقدمها عليه في المعرفة- فينبغي أن تكون هذه الأصناف المتقدمة عليه، في عقول هذه الأمة والأنبياء.

وقد رأينا العلماء يتعجبون من خرافات العرب والأعراب في الجاهلية ومن قولهم في الديك والغراب، ويتعجبون من الرواية في طوق الحمام فإن الحمام كان رائد نوح على نبينا وعليه السلام.

---

[١] ٢٧/النمل: ٢٧.

[٢] ٢٨- ٣١ النمل: ٢٧.

[٣] ٣٦/النمل: ٢٧.

[٤] ٣٤/النمل: ٢٧.

[٥] ٣٧/النمل: ٢٧.

[٦] ٣٨- ٤٠/النمل: ٢٧.." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٠٠/٤

"١٠٣٦-[قرابة بعض النبات لبعض]

وقد زعم أهل البصرة أن مشان [١] الكوفة قريب من برني [٢] البصرة، قلبته البلدة.

ويزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل [٣] هو نخل المقل [٤] ، ولكنه انقلب لطباع البلدة. وأشباه ذلك كثير.

ويزعمون أن **الفيلة** مائية الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها.

١٠٣٧-[الذئب والنسيم]

قال: والذئب أيضا، وإن كان عندهم مما لا يجتزي بالنسيم، فإنه من الحيوان الذي يفتح فاه للنسيم؛ ليبرد جوفه من اللهيب الذي يعتري السباع؛ ولأن ذلك يمد قوته، ويقطع عنه ببرودته ولطافته الريق. فإن كان ذا سعر إذا عدا احتشى ريحا.

١٠٣٨-[صبر الذئب والأسد على الطعام]

وربما جاع الأسد ففعل فعل الذئب، فالأسد والذئب يختلفان في الجوع والصبر؛ لأن الأسد شديد النهم، رغيب حريص شره؛ وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياما لا يأكل شيئا. والذئب وإن كان أقفر منزلا، وأقل خصبا، وأكثر كدا وإخفاقا، فلا بد له من شيء يلقيه في جوفه، فإذا لم يجد شيئا استعار النسيم، [وربما استف التراب] [٥] .

١٠٣٩-[حيلة بعض الجائعين]

والناس إذا جاعوا واشتد جوعهم شدوا على بطونهم العمائم. فإن استقلوا، وإلا شدوا الحجر.

١٠٤٠-[شعر في الذئب]

وأنشد: [من الطويل]

كسيد الغضا العادي أضل جراءه ... على شرف مستقبل الريح يلحب [٦]

---

[١] المشان: نوع من الرطب إلى السواد دقيق، هو أعجمي. (اللسان: مشن) .

[٢] البرني: ضرب من التمر أصفر مدور. (اللسان: برن) .

[٣] النارجيل: جوز الهند. (اللسان: نرجل) .

[٤] المقل: حمل الدوم، واحدته مقلة، والدوم: شجرة تشبه النخلة في حالاتها. (اللسان: مقل) .

[٥] الزيادة من ثمار القلوب ٣١٠ (٥٧٨) ، حيث وردت الفقرة كلها.

[٦] السيد: الذئب. (القاموس: سيد) . الجراء: جمع جرو. الشرف: ما علا من الأرض. (القاموس: شرف) . يلحب: يسرع. (القاموس: لحب) .." (١)

"والضفدع، وأن تلك الأجناس البرية وإن اختلفت في أمورها، فإنها قد تتشابه في أمور، وأن هذه الأجناس البحرية من تلك، ككلب الماء من كلب الأرض.

١٠٥٣-[صبر بعض الحيوان عن الطعم]

وقد زعم صاحب المنطق أن الحية وسام أبرص من العظاء، والتمساح، تسكن في أعشتها الأربعة أشهر الشديدة البرد، لا تطعم شيئا، وأن سائر الحيات تسكن بطن الأرض. فأما الأفاعي فإنها تسكن في صدوع الصخر.

وليس لشيء من الحيوان من الصبر عن الطعم ما لهذه الأجناس. وإن **الفيل** ليناسبها من وجهين: أحدهما من طول العمر، فإن منها ما قد عاش أربعمائة سنة.

والوجه الآخر أن **الفيلة** مائية وهذه الأجناس مائية وإن كان بعضها لا يسكن الماء.

١٠٥٤-[داهية الغبر]

قال: وسمعت يونس بن حبيب يقول [١] : «داهية الغبر» قال [٢] : وقيل ذلك لأنها ربما سكنت بقرب ماء، إما غدير وإما عين، فتحمي ذلك الموضع. وربما غبر ذلك الماء في المنقع حينا وقد حمته. وقال الكذاب الحرمازي [٣] : [من الرجز]

يا ابن المعلى نزلت إحدى الكبر ... داهية الدهر وصماء الغبر

قال: وسأل الحكم بن مروان بن زنباع، عن بني عبد الله بن غطفان، قال: أفعى إن أيقظتها لسعتك، وإن تركتها لم تضرك.

١٠٥٥-[نادرة تتعلق بالحيات]

وذكر عن سعيد بن صخر قال: نهش رجل من أهل البادية كثير المال، فأشفى على الموت، فأتاهم رجل فقال: أنا أرقيه، فما تعطوني؟ فشارطوه على ثلاثين درهما، فرقاه وسقاه أشياء ببعض الأخلاط، فلما أفاق قال الراقي والمداوي: حقي! قال الملدوغ: وما حقه، قالوا: ثلاثون درهما. قال أعطيه من مالي ثلاثين درهما

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٢٣/٤

في نفثات نفثها، وحمض سقاه! لا تعطوه شيئا!

[١] من الأمثال قولهم «إنه لداهية الغبر» وهو في مجمع الأمثال ١/٤٤، وجمهرة الأمثال ١/٤٥٠، والمستقصى ١/٤٢١، وفصل المقال ١٤١، وأمثال ابن سلام ٩٩، والغبر: عين ماء بعينه تألفه الحيات.

[٢] ورد القول في أساس البلاغة «غبر» .

[٣] الرجز في مصادر المثل السابق، واللسان والتاج وأساس البلاغة (غبر) .." (١)

"لابد من مقدار للحرارة ونحو غرائز أخر، وخاصيات أخر، ألا ترى أن القدور التي يوقد تحتها الأيام والليالي، لا تذوب.

١١٦٦-[القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز]

وسأدلك على أن القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز حق. ألا ترى أن جوف الكلب والذيب يذيبان العظام ولا يذيبان نوى التمر، ونوى التمر أرخى وألين وأضعف من العظام المصمتة. وما أكثر ما يهضم العظم. وقد يهضم العظم جوف الأسد وجوف الحية. إذا ازدردت بضع اللحم بالشره والنهم، وفيها بعض العظام.

والبراذين التي يحيل أجوافها القت والتبن روثا، لا تستمري الشعير.

والإبل تقبض بأسنانها على أغصان أم غيلان، وله شوك كصياصي [١] البقر، والقضبان علكة [٢] يابسة جرد، وصلاب متينة، فتستمرئها وتجعلها ثلطا [٣] ، ولا تقوى على هضم الشعير المنقع، وليس ذلك إلا بالخصائص والمقابلات.

وقد قدر كل شيء لشيء. ولولا ذلك لما نفذ خرطوم البعوضة والجرجسة في جلد الفيل والجاموس، ولما رأيت الجاموس يهرب إلى الانغماس في الماء مرة، ومرة يتلطخ بالطين، ومرة يجعله أهله على ربيث الدكان. ولو دفعوا إليك مسلة شديدة المتن، لما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد التكلف، وإلا ببعض الاعتماد. والذي سخر جلد الجاموس حتى انفرى وانصدع لطعنة البعوضة، وسخر جلد الحمار لطعنة الذباب، وسخر الحجارة لجوف الظليم، والعظم لجوف الكلب- هو الذي سخر الصخر الصلب لأذناب الجراد، إذا أرادت أن تلقي بيضها؛ فإنها في تلك الحال متى عقدت ذنبها في ضاحي صخرة انصدعت لها. ولو كان انصداعها

(١) الحيوان الجاحظ ٤/٣٣٠

من جهة الأسر [٤] ، ومن قوة الآلة، ومن الصدم وقوة الغمز، لا نصدعت لما هو في الحس أشد وأقوى، ولكنه على جهة التسخير، والمقابلات، والخصائص.

وكذلك عود الحلفاء، مع دقته ورخاوته ولين انعطافه، إذا نبت في عمق الأرض، وتلقاه الآجر والخزف الغليظ، ثقب ذلك، عند نباته وشبابه، وهو في ذلك عبقر نضير.

وزعم لي ناس من أهل الأردن، أنهم وجدوا الحلفاء قد خرق جوف القار [٥] .

---

[١] صياصي البقر: قرونها.

[٢] علكة: شديدة.

[٣] الثلط: الروث.

[٤] من جهة الأسر: من جهة القوة.

[٥] القار: الزفت.." (١)

"وقال الزبير بن عبد المطلب [١] : [من الوافر]

وينبي نخوة المختال عني ... جراز الحد ضربته صموت [٢]

لأن السيف إذا مر في العظم مرا سريعا فلم يكن له صوت- كان في معنى الصامت.

١٢٠٣-[شعر في الصمم]

وقال ابن ميادة [٣] : [من الطويل]

متى أدع في قيس بن عيلان خائفا ... إلى فزع تركب إلي خيولها

بملمومة كالطود شهباء فيلق ... رداح يصم السامعين صليلها [٤]

لأن الصوت إذا اشتد جدا لم يفهم معناه، إن كان صاحبه أراد أن يخبر عن شيء. ومتى كثرت الأصوات صارت وغى [٥] ، ومنع بعضها بعضا من الفهم. فإذا لم يفهمها صار في معنى الأصم، فجاز أن يسمى باسم الأصم.

وعلى ذلك قال الأضبط بن قريع، حين آذوه بنو سعد فتحول من جوارهم في آخرين فآذوه، فقال: «بكل واد بنو سعد» [٦] .

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤١٣/٤

وقال جران العود [٧] : [من الطويل]

وقالت لنا والعيس صعر من البرى ... وأخفافها بالجندل الصم تقذف [٨]

---

[١] البيت في اللسان والتاج (صمت) ، وحماسة القرشي ٩٢.

[٢] ينبي: يبعد. سيف جراز: ماض نافذ.

[٣] ديوان ابن ميادة ١٩٦- ١٩٧.

[٤] في ديوانه «ململمة: أي كتيبة عظيمة مجتمعة. الطود: الجبل العظيم. الشهباء: البيضاء، لما فيها من بياض السلاح. **الفيلق**: الكثيرة السلاح. الرداح: الكثيرة الفرسان، الثقيلة السير لكثرتها» .

[٥] الوغى: الأصوات في الحرب، وغمغمة الأبطال في حومة الحرب.

[٦] مجمع الأمثال ١/١٠٥، وجمهرة الأمثال ١/٦١.

[٧] ديوان جران العود ١٦.

[٨] العيس: الإبل الخالصة البياض. البرى: جمع برة، وهي الحلقة التي توضع في أنف البعير. صعر من البرى: موائل من جذبها. الجندل: الحجارة.." (١)

"وهو بعد طهور الأبدان، وغسول الأدران.

وقالوا: هو كالماء الذي يطهر كل شيء، ولا ينجسه شيء.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بئر رومة [١] : «الماء لا ينجسه شيء» .

ومنه ما يكون منه الملح، والبرد، والثلج، فيجتمع الحسن في العين، والكرم في البياض والصفاء، وحسن الموقع في النفس.

وبالماء يكون القسم، كقول الشاعر: [من السريع]

غضبى ولا والله يا أهلها ... لا أشرب البارد أو ترضى

ويقولون: لو علم فلان أن شرب البارد يضع من مروءته لما ذاقه.

وسمى الله عز وجل أصل الماء غيثا بعد أن قال: وكان عرشه على الماء

. [٢]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤/٤٥١

ومن الماء ماء زمزم، وهو لما شرب له [٣] . ومنه [ما] [٤] يكون دواء وشفاء بنفسه، كالماء للحمى.

١٣٣١-[علة ذكر النار في كتاب الحيوان]

قد ذكرنا جملة من القول في النار، وإن كان ذلك لا يدخل في باب القول في أصناف الحيوان، فقد يرجع إليها من وجوه كريمة نافعة الذكر، باعثة على الفكر، وقد يعرض من القول ما عسى أن يكون أنفع لقارئ هذا الكتاب من باب القول في الفيل، والزندبيل [٥] ، وفي القرد والخنزير، وفي الدب والذئب، والضب والضبع، وفي السمع والعسبار [٦] .

وعلى أن الحكمة ربما كانت في الذبابة مع لطافة شخصها، ونذالة قدرها،

---

[١] رومة: أرض بالمدينة بين الجرف وزغابة نزلها المشركون عام الخندق؛ وفيها بئر رومة، اسم بئر ابتاعها عثمان بن عفان وتصدق بها. معجم البلدان ٣/١٠٤. والحديث التالي ورد في مسند أحمد ٣٣٧/١ برواية «إن الماء لا ينجس» .

[٢] ٧/هود: ١١.

[٣] أخرجه ابن ماجة في المناسك، باب رقم ٧٨.

[٤] زيادة يقتضيها المعنى.

[٥] الزندبيل: كبير الفيلة. «حياة الحيوان ١/٥٤٠» .

[٦] السمع: ولد الذئب من الضبع. «حياة الحيوان ١/٥٦٤» . العسبار: ولد الضبع من الذئب. «حياة الحيوان ٢/٢٢» .." (١)

"وخساسة حالها- أظهر منها في الفرس الرائع، وإن كان الفرس أنفع في باب الجهاد، وفي الجاموس مع عظم شخصه، وفي دودة القز، وفي العنكبوت- أظهر منها في الليث الهصور، والعقاب الشغواء [١] . وربما كان ذكر العظيم الجثة الوثيق البدن، الذي يجمع حدة الناب وصولة الخلق أكثر فائدة، وأظهر حكمة من الصغير الحقير، ومن القليل القمي [٢] . كالبعير والصؤابة، والجاموس والثعلب والقملة.

وشأن الأرضة أعجب من شأن الببر [٣] مع مسالمة الأسد له، ومحاربته للنمر.

وشأن الكركي [٤] أعجب من شأن العندليب، فإن الكركي من أعظم الطير، والعندليب أصغر من ابن تمرة

---

(١) الحيوان الجاحظ ٨٢/٥

. [٥]

ولذلك ذكر يونس بعض لاطة الرواة فقال [٦] : «يضرب ما بين الكركي إلى العندليب» . يقول: لا يدع رجلا ولا صبيا إلا عفجه.

ويشبه ذلك هجاء خلف الأحمر أبا عبيدة، حيث يقول: [من السريع]

ويضرب الكركي إلى القنبر ... لا عانسا يبقي ولا محتلم

والعانس من الرجال مثله من النساء.

فلسنا نطنب في ذكر العظيم الجثة لعظم جثته، ولا نرغب عن ذكر الصغير الجثة، لصغر جثته، وإنما نلتمس ما كان أكثر أعجوبة، وأبلغ في الحكمة، وأدل عند العامة على حكمة الرب. وعلى إنعام هذا السيد.

ورب شيء الأعجوبة فيه إنما هي في صورته، وصنعته، وتركيب أعضائه، وتأليف أجزائه، كالطاووس في تعاريج ريشه، وتهاويل ألوانه، **وكالزرافة** في عجيب

---

[١] الشغواء: العقاب؛ سميت بذلك لفضل منقارها الأعلى على الأسفل. «حياة الحيوان ١/٦٠١» .

[٢] القمي: مخفف القميء، وهو الصغير الجسم.

[٣] الببر: ضرب من السباع، شبيه بابن آوى، ويقال إنه متولد من الزبرقان واللبوة. «حياة الحيوان ١/١٥٩»
.

[٤] الكركي: طائر كبير؛ أغبر؛ طويل الساقين. «حياة الحيوان ٢/٢٤٤» .

[٥] ابن تمرة: أصغر ما يكون من الطير، يجرس الزهر والشجر، كما تجرس النحل والدبر. «المخصص ٨/١٦٥» .

[٦] في مجمع الأمثال ٢/٤٢٨: «يصيد ما بين الكركي إلى العندليب» . وانظر كنايات الثعالبي ٢٧.." (١)

"يختص كل سليل سابق غاية ... محض النجار مهذب مخبور [١]

١٤١٢-[فزع الناقة من الهر]

وإذا وصفوا الناقة بأنها رواع [٢] شديدة التفزع، لفرط نشاطها ومرحها، وصفوها بأن هرا قد نيب [٣] في

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥/٨٣

دفها. وأكثر ما يذكرون في ذلك الهر؛ لأنه يجمع العض بالناب، والخمش بالمخالب. وليس كل سبع كذلك.

وقال ضابئ بن الحارث [٤] : [من الطويل]

بأدماء حرجوج ترى تحت غرزها ... تهاويل هر أو تهاويل أخيلا [٥]

وقد أوس بن حجر [٦] : [من البسيط]

كأن هرا جنيبا تحت مغرضها ... والتف ديك برجليها وخنزير [٧]

وقال عنترة [٨] : [من الكامل]

وكأنما ينأى بجانب دفها ال ... وحشي من هزج العشي مؤوم [٩]

هر جنيب كلما عطفت له ... غضبى اتقاها باليدين وبالفم [١٠]

والفيل يفزع من السنور فزعا شديدا.

١٤١٣-[شعر في هجاء السنور]

ومما يقع في باب الهجاء، للسنور، قول عبد الله بن عمرو بن الوليد، في أم سعيد بنت خالد: [من الوافر]

---

[١] السليل: الولد. سابق غابة: يسبق إلى الغاية. مخبور: من خبره: إذا امتحنه.

[٢] رواع: من الروع، وهو الفزع.

[٣] نيب: عض بالناب.

[٤] البيت في الأصمعيات ١٨١.

[٥] أدماء: يريد ناقة بيضاء. الحرجوج: الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. الغرز: للناقة مثل الحزام للفرس. التهاويل: ما يهول به. الأخيل: طائر صغير يتشاءمون به.

[٦] ديوان أوس بن حجر ٤٢، والموشح ٨٦، وعيار الشعر ١٧٩.

[٧] في ديوانه: «جنيب: مجنوب، جنب الدابة قادها إلى جنبه. الغرضة: حزام الرحل.

[٨] البيتان من معلقة عنترة في ديوانه ٢١- ٢٢، واللسان والتاج (هزج) ، والأول في اللسان (وحش، دفف، أوم) ، والتاج (أوم) ، وبلا نسبة في المخصص ٦١/١، والثاني في اللسان (غضب) .

[٩] في ديوانه «الدف: الجنب. الجانب الوحشي: اليمين. الهزج: الصوت. المؤوم: القبيح الرأس العظيمة.

قوله: من هزج العشي، أي: من خوف هزج العشي» .

[١٠] هر: بدل من هزج العشي. اتقاها: استقبلها.." (١)

"١٤٧١-[زعم بعض المفسرين والقصاص في خلق السنانير والخنازير]

وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الأسد، وأن الخنزير خلق من سلحة [١] الفيل؛ لأن أصحاب التفسير يزعمون أن أهل سفينة نوح لما تأذوا بكثرة الفأر وشكوا إلى نوح ذلك سأل ربه الفرج، فأمره أن يأمر الأسد فيعطس. فلما عطس خرج من منخريه زوج سنانير: ذكر وأنثى. خرج الذكر من المنخر الأيمن، والأنثى من المنخر الأيسر. فكفياهم مؤونة الجرذان. ولما تأذوا بريح نجوهما شكوا ذلك إلى نوح، وشكا ذلك إلى ربه. فأمره أن يأمر الفيل فليسلح. فسلح زوج خنازير فكفياهم مؤونة رائحة النجو.

وهذا الحديث نافق عند العوام، وعند بعض القصاص.

١٤٧٢-[إنكار تخلق الحيوان من غير الحيوان، والرد عليه]

وقد أنكر ناس أن يكون الفأر تخلق في أرحام إناثها من أصلاب ذكورتها ومن أرحام بعض الأرضين [٢] كطينة القاطول [٣] ؛ فإن أهلها زعموا [٤] أنهم ربما رأوا الفأرة لم يتم خلقها بعد، وإن عينيها لتبصان [٥] ، ثم لا يريمون حتى يتم خلقها وتشتد حركتها.

وقالوا: لا يجوز لشيء خلق من الحيوان أن يخلق من غير الحيوان. ولا يجوز أن يكون شيء له في العالم أصل أن يؤلف الناس أشياء تستحيل إلى مثل هذا الأصل.

فأنكروا من هذا الوجه تحويل الشبه [٦] ذهبا، والزيبق فضة.

وقد علمنا أن للنوشاذر في العالم أصلا موجودا. وقد يصعدون [٧] الشعر ويدبرونه حتى يستحيل كحجر النوشاذر، ولا يغادر منه شيئا في عمل ولا بدن.

---

[١] السلح: النجو.

[٢] الأرضون: جمع أرض.

[٣] القاطول: نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر؛ وبنى على فوهته قصرا. معجم البلدان ٤/٢٩٧.

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٤٨/٥

[٤] ورد هذا الزعم في ربيع الأبرار ٥/٤٧٣.

[٥] بص: لمع.

[٦] الشبه: النحاس الأصفر.

[٧] التصعيد: شبيه بالتقطير.." (١)

"وقال آخر: [من الرجز]

قبيلة في طولها وعرضها ... لم يطبقوا عينا لهم بغمضها

خوف البراغيث وخوف عضها ... كأن في جلودها من مضها [١]

عقاربا ترفض من مرفضها ... إن دام هذا هربت من أرضها [٢]

يا رب فاقتل بعضها ببعضها

١٥١٤-[معارف في البرغوث]

قال: والبرغوث في صورة **الفيل**. وزعموا أنها تبيض وتفرخ، وأنهم رأوا بيضها رؤية العين. والبراغيث تناكح وهي مستدبرة ومتعاظلة [٣] . وهي من الجنس الذي تطول ساعة كومها.

١٥١٥-[شدة استقذار الناس للقمل]

وليس الناس لشيء مما يعضهم ويؤذيهم، من الجرجس، والبق، والبراغيث والذبان- أشد استقذارا منهم للقمل. ومن العجب أن قرابته أمس. فأما قملة النسر، وهي التي يقال لها بالفارسية: «دده» ، وهي تكون بالجبل، فإنها إذا عضت قتلت.

١٥١٦-[القول في البعوض ونتائج عضها]

حدثني إبراهيم بن السندي قال: لما كان أبي بالشام واليا، أحب أن يسوي بين القحطاني والعدناني، وقال: لسنا نقدمكم إلا على الطاعة لله عز وجل، وللخلفاء، وكلكم إخوة، وليس للنزاري عندي شيء ليس لليماني مثله.

قال: وكان يتغدى مع جملة من جلة [٤] الفريقين، ويسوي بينهم في الإذن والمجلس. وكان شيخ اليمانية يدخل عليه معتما، وقد جذب كور عمامته حتى غطى بها حاجبه وكان لا ينزعها في حر ولا برد، فأراد فتى من قيس- وقد كان أبي يستخليه ويقربه- أن يسقطه من عين أبي ويوحشه منه، فقال له ذات يوم ووجد

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥/١٨٧

المجلس خاليا: إني أريد أن أقول شيئا ليس يخرجه مني إلا الشكر والحرية، وإلا

---

[١] المض: الحرقة والألم.

[٢] ترفض: تتفرق.

[٣] تعاظلت: لزم بعضها بعضا في السفاد.

[٤] الجلة: العظماء.." (١)

"ولو كان اتخاذ الغرانيق والكراكي الرؤساء والرقباء إنما علته المعرفة- لم يكن للغرانيق والكراكي في المعرفة فضل على الذر والنمل، وعلى الذئب والفيل، وعلى الثعلب والحمام.

أما الغنم فهي أغثر وأموق [١] من أن تجري في باب هذا القول.

وقد تخضع الحيات للحية، والكلاب للكلب، والديوك للديك، حتى لا ترومه [٢] ولا تحاول مدافعته.

١٥٣٥-[هيبة الكلاب]

ولقد خرجت في بعض الأسحار في طلب الحديث، فلما صرت في مربعة المحلة، ثار إلي عدة من الكلاب، من ضخامها، ومما يختاره الحراس. فبينا أنا في الاحتيال لهن وقد غشينني إذ سكتن سكتة واحدة معا، ثم أخذ كل واحد في شق كالخائف المستخفي، وسمعت نغمة [٣] إنسان، فانتهزت تلك الفرصة من إمساكهن عن النباح، فقلت: إن ههنا لعلة إذ أقبل رجلان ومعها كلب أزب [٤] ضخم دوسر [٥] ، وهو في ساجور [٦] ، ولم أر كلبا قط أضخم منه، فقلت: إنهن إنما أمسكن عن النباح وتسترن، من الهيبة له! وهي مع ذلك لا تتخذ رئيسا.

١٥٣٦-[سادة الحيوان]

وروي عن عباد بن صهيب، عن عوف بن أبي جميلة، عن قسامة بن زهير قال:

قال أبو موسى [٧] : «إن لكل شيء سادة حتى إن للنمل سادة» . فقال بعضهم: سادة النمل: المتقدمات.

وهذا تخريج، ولا ندري ما معنى ما قال أبو موسى في هذا.

ولو كان اتخاذ الرئيس من النحل، والكراكي، والغرانيق [٨] ، والإبل، والحمير،

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥/٢١٠

[١] الغثر والموق: الحمق.

[٢] أي تكفيه مؤونة الطلب.

[٣] النغمة: الكلام الخفي.

[٤] الأزب: الكثير الشعر.

[٥] الدوسر: الضخم الشديد.

[٦] الساجور: القلادة التي توضع في عنق الكلب.

[٧] هو أبو موسى الأشعري كما تقدم قوله في ٤/٢٦٩، الفقرة (٩٥٣) .

[٨] انظر الحاشية الأولى ص ٢٢٣.." (١)

"والثيران، لكثرة ما معها من المعرفة- لكانت القرود، **والفيلة** والذر، والثعالب، أولى بذلك. فلا بد من معرفة، ولا بد من طباع وصنعة.

والحمام يزجلن [١] من لؤلؤة [٢] ، وهن بصريات وبغداديات، وهن جماع من هاهنا وهاهنا، فلا تتخذ رئيسا.

١٥٣٧-[طعن ناس من الملحدين في آية النحل]

وقد طعن ناس من الملحدين، وبعض من لا علم له بوجوه اللغة وتوسع العرب في لغتها، وفهم بعضها عن بعض، بالإشارة والوحي- فقالوا: قد علمنا أن الشمع شيء تنقله النحل، مما يسقط على الشجر، فتبني بيوت العسل منه، ثم تنقل من الأشجار العسل الساقط عليها، كما يسقط الترنجبين [٣] ، والمن [٤] ، وغير ذلك. إلا أن مواضع الشمع وأبدانه خفي. وكذلك العسل أخفى وأقل. فليس العسل بقيء ولا رجع [٥] ، ولا دخل للنحلة في بطن قط.

١٥٣٨-[رد الجاحظ على الملحدين]

وفي القرآن قول الله عز وجل: وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون

[٦] .

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٢٥/٥

ولو كان إنما ذهب إلى أنه شيء يلتقط من الأشجار، كالصموغ وما يتولد من طباع الأنداء والأجواء والأشجار إذا تمازجت- لما كان في ذلك عجب إلا بمقدار ما نجده في أمور كثيرة.

---

[١] يزجلن: يرسلن على بعد.

[٢] لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس. ولؤلؤة: ماء بسماوة كلب. معجم البلدان ٢٦/٥.

[٣] الترنجبين: مادة تتجمع فوق بعض النبات شبيهة بالعسل.

[٤] المن: قيل هو الترنجبين، وقيل: هو صمغة حلوة تنزل على الشجر. انظر عمدة الحفاظ ١١٥/٤ (منن)

.

[٥] الرجع: النجو والروث.

[٦] ٦٨- ٦٩/النحل: ١٦.." (١)

"فإن وجب لضأنك التقديم على الماعز بتقديم هذه الآية- وجب للجن التقديم بتلك الآية.

١٦١٢-[ذكر أجناس من الحيوان والهمج في القرآن]

علمك الله علما نافعا، وجعل لك من نفسك سامعا، وأعاذك من العجب، وعرفك لباس التقوى، وجعلك من الفائزين.

اعلم، رحمك الله تعالى، أن الله جل وعز قد أضاف ست سور من كتابه إلى أشكال من أجناس الحيوان الثلاثة، منها مما يسمونها باسم البهيمة وهي سورة البقرة، وسورة الأنعام، وسورة **الفيل**، وثلاثة منها مما يعدون اثنتين منها من الهمج [١] . وواحدة من الحشرات [٢] .

فلو كان موقع ذكر هذه البهائم، وهذه الحشرات والهمج، من الحكمة والتدبير، موقعها من قلوب الذين لا يعتبرون ولا يفكرون، ولا يميزون، ولا يحصلون الأمور، ولا يفهمون الأقدار- لما أضاف هذه السور العظام الخطيرة، والشريفة الجليلة، إلى هذه الأمور المحقرة المسخفة [٣] ، والمغمورة المقهورة.

ولأمر ما وضعها في هذا المكان، ونوه بأسمائها هذا التنويه. فافهم، فإن الأديب الفهم [٤] ، لا يعود قلبه الاسترسال. وخذ نفسك بالفكرة، وقلبك بالعبرة.

[باب في الضفادع]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٢٦/٥

١٦١٣-[القول في الضفادع]

وأنا ذاكر من شأن الضفدع من القول ما يحضر مثلي. وهو قليل في جنب ما عند علمائنا. والذي عند علمائنا لا يحس في جنب ما عند غيرهم من العلماء.

والذي عند العلماء قليل في جنب ما عند الأنبياء، والذي عند الأنبياء قليل في جنب ما عند الله تبارك وتعالى.

من ذلك الضفدع [٥] ، لا يصيح ولا يمكنه الصياح حتى يدخل حنكه الأسفل

---

[١] إشارة إلى سورتي النحل والعنكبوت.

[٢] إشارة إلى سورة النمل.

[٣] أرض مسخفة: أي قليلة الكلأ.

[٤] الفهم: السريع الفهم.." (١)

"على صغر النحلة وضعف أيدها [١] ، ثم ارم بعقلك إلى قول الله: ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا

[٢] ، فإنك تجدها أكبر من الطود، وأوسع من الفضاء. ثم انظر إلى قوله: حتى إذا أتوا على واد النمل

[٣] . فما ترى في مقدار النملة في عقل الغبي، وغير الذكي؟! فانظر كيف أضاف الوادي إليها، وخبر عن حذرها ونصحها لأصحابها، وخوفها ممن قد مكن، فإنك تجدها عظيمة القدر، رفيعة الذكر، قد عظمها في عقلك، بعد أن صغرها في عينك.

١٦٣٣-[عجز الإنسان وصغر قدره]

وخبرني عن الله تعالى، أما كان قادرا أن يعذب الكنعانيين، والجبابرة، والفراعنة، وأبناء العمالقة: من نسل عاد وثمود، وأهل العتو والعنود- بالشياطين ثم بالمردة، ثم بالعفاريت، ثم بالملائكة الذين وكلهم الله تعالى بسوق السحاب، وبالمد والجزر، وبقبض أرواح الخلق. وبقلب الأرضين، وبالماء والريح، وبالكواكب والنيران، وبالأسد والنمور والببور [٤] **وبالفيلة** والإبل والجواميس، وبالأفاعي والثعابين وبالعقارب والجرارات، وبالعقبان والنسور، وبالتماسيح، وباللخم [٥] والدلفين.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥/٢٧٧

فلم عذبهم بالجراد والقمل والضفادع؟! وهل يتلقى عقلك قبل التفكير إلا أنه أراد أن يعرفهم عجزهم، ويذكرهم صغر أقدارهم، ويدلهم على ذلك بأذل خلقه، ويعرفهم أن له في كل شيء جندا، وأن القوي من قواه وأعانه، والضعيف من ضعفه، والمنصور من نصره، والمخذول من خلاه وخذله، وأنه متى شاء أن يقتل بالعسل الماذي والماء الزلال كما يقتل بالسم الساري، والسيف الماضي قتل؟

ولم كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى على جسده البثرة ابتهل في الدعاء وقال: «إن الله تعالى إذا أراد أن يعظم صغيرا عظمه» ؟! ولم قال لنا: فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات

[٦] ؟! فافهم عنه تعالى ذكره، وتقدست أسماؤه قوله: «آيات» ثم قال:

---

[١] الأيد: القوة.

[٢] 96/النحل: ١٦.

[٣] ٨٨/النمل: ٢٧.

[٤] الببر: ضرب من السباع، قيل إنه متولد من الزبرقان واللبوة.

[٥] اللخم: سمك بحري يقال له الكوسج. حياة الحيوان ٢/٣٠٥.

[٦] ١٣٣/الأعراف: ٧.." (١)

"والحرقوص [١] ، والدلم [٢] ، وقملة النسر [٣] ، والمثل، والنبر، وهي دويبة إذا دبت على جلد البعير تورم [٤] ، ولذلك يقول الشاعر [٥] ، وهو يصف إبله بالسمن: [من الرجز]

كأنها من بدن واستيقار ... دبت عليها ذربات الأنبار [٦]

وقال الآخر [٧] : [من الكامل]

حمر تحققنت النجيل كأنما ... بجلودهن مدارج الأنبار

والضمج [٨] ، والقنفذ، والنمل، والذر، والدساس [٩] ، [ومنها ما] [١٠] تتشاكل في وجوه، وتختلف من وجوه: كالفأر والجرذان والزباب [١١] ، والخلد واليربوع، وابن عرس، وابن مقرض [١٢] ومنها العنكبوت الذي يقال له منونة، وهي شر من الجرارة والضمج [٨] .

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٨٨/٥

١٦٧٩-[الوحشي والأهلي من الحيوان]

وسنقول في الأجناس التي يكون في الجنس منها الوحشي والأهلي، **كالفيلة**، والخنازير، والبقر، والحمير، والسنانير.

---

[١] الحرقوص: دويبة أكبر من البرغوث؛ وعضها أشد عضة، وهي مولعة بفروج النساء تولع النمل بالمذاكير. حياة الحيوان ٣٣١/١، وربيع الأبرار ٤٧٨/٥، وانظر ما سيأتي في ص ٥٦٢- ٥٦٣.

[٢] الدلم: نوع من القراد. حياة الحيوان ٤٨٣/١.

[٣] انظر ما تقدم في ٢١٠/٥، س ١٢، و ٢١٣، س ٣.

[٤] انظر ما تقدم في ١٤٨/٣، الفقرة (٧٥٨) .

[٥] الرجز لشبيب بن البرصاء في اللسان (ذرب، نبر، عرم، بدن) ، والتاج (وقر، بدن) ، والتنبيه والإيضاح ٢٠٩/٢، وبلا نسبة في اللسان (وفر، وقر) ، والتاج (ذرب، نبر) ، ومعجم البلدان ٢٥٧/١ (الأنبار) ، والجمهرة ٣٣٠، والمقاييس ٣٨٠/٥، والمجمل ٣٧٠/٤، والتهذيب ٢١٤/١٥.

[٦] البدن: البدانة. الاستيقار: مصدر استوقرت الإبل، أي سمنت وحملت الشحوم.

[٧] البيت بلا نسبة في اللسان والتاج (حقن) ، والتهذيب ٦٥/٤، وتقدم مع شرحه في ١٤٨/٣، الفقرة (٧٥٨) .

[٨] الضمج: حشرة تعرف باسم البق، والبعوض، والفسافس. انظر معجم الألفاظ الزراعية ٥٤٤.

[٩] الدساس: ضرب من الحيات أصم، يندس تحت التراب. حياة الحيوان ٤٧٩/١.

[١٠] زيادة يقتضيها سياق الكلام.

[١١] الزباب: الفأرة البرية، وقيل: هي فأرة عمياء صماء. حياة الحيوان ٥٣٢/١، وسبق أن تحدث الجاحظ عنها في ٤٦١/٤.

[١٢] ابن مقرض: دويبة كحلاء اللون طويلة الظهر ذات قوائم أربع أصغر من الفأر، تقتل الحمام وتقرض الثياب. حياة الحيوان ٣٢٠/٢.." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٢٩/٦

"البتة بوجه من الوجوه، ومنها ما يكره على الطعم ويدخل في حلقة كالحية، ومنها ما لا يسفد ولا يدجن، ولا يطعم ولا يشرب، ولا يصيح حتى يموت وهذا المعنى في وحشي الطير أكثر.

١٦٨٣-[حذق السوداني بتدريب الجوارح]

[١] والذي يحكى عن السوداني القناص الجبلي ليس بناقض لما قلنا، لأن الشيء الغريب، والنادر الخارجي، لا يقاس عليه. وقد زعموا أنه بلغ من حذقه بتدريب الجوارح وتضريتها أنه ضرى ذئبا حتى اصطاد به الظباء وما دونها، صيدا ذريعا، وأنه ألفه حتى رجع إليه من ثلاثين فرسخا، وقد كان بعض العمال سرقه منه. وقد ذكروا أن هذا الذئب قد صار إلى العسكر، وأن هذا السوداني ضرى أسدا حتى اصطاد له الحمير فما دونها صيدا ذريعا، وأنه ضرى الزنابير فاصطاد بها الذبان. وكل هذا عجب، وهو غريب نادر، بديع خارجي وذكروا أنه من قيس عيلان، وأن حليمة ظئر النبي صلى الله عليه وسلم قد ولدته.

١٦٨٤-[الحيوانات العجيبة]

وليس عندي في الحمار الهندي [٢] شيء. وقد ذكره صاحب المنطق. فأما الدباب، وفأرة المسك [٣] ، والفنك [٤] ، والقاقم [٥] ، والسنجاب، والسمور [٦] ، وهذه الدواب ذوات الفراء [٧] والوبر الكثيف الناعم، والمرغوب فيه، والمنتفع به، فهي عجيبة.

وإنما نذكر ما يعرفه أصحابنا وعلماؤنا، وأهل باديتنا. ألا ترى أني لم أذكر لك

---

[١] وردت هذه الفقرة مختصرة في ربيع الأبرار ٤٦٠/٥.

[٢] الحمار الهندي: يسمى الكركدن والحريش، وهو عدو الفيل، يقال إنه متولد من بين الفرس والفيل، وله قرن واحد عظيم في رأسه. حياة الحيوان ٢٤٣/٢، وانظر ما تقدم في ١١٢/٣، الفقرة (٦٩٨) .

[٣] تحدث الجاحظ عن فأرة المسك في ١٦٢/٥.

[٤] الفنك: دويبة يؤخذ منها الفرو. حياة الحيوان ٥٧٤/١.

[٥] القاقم: دويبة تشبه السنجاب، ويشبه جلده جلد الفنك. حياة الحيوان ١٩٥/٢.

[٦] السمور: حيوان بري يشبه السنور، وزعم ناس أنه النمس. حياة الحيوان ٥٧٤/١.

[٧] انظر ما تقدم في ٢٥٧/٥.." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٣٣١/٦

"قال الشيخ: وعني يرحمك الله! قالت: وعن أبيهم إن هو غطى رأسه ورقد. قال:
ونام الشيخ، وجاء الأعرابي فسفع [١] برجليها ثم أعطاها حتى رضيت.
وروى عن محمد بن الحسن، عن مجالد أو عن غيره وقال [٢] : كنا عند الشعبي جلوسا، فمر حمال على ظهره دن خل، فلما رأى الشعبي وضع الدن وقال للشعبي: ما كان اسم امرأة إبليس؟ قال: ذاك نكاح ما شهدناه! وأبو الحسن عن أبي إسحاق المالكي قال [٣] : قال الحجاج ليحيى بن سعيد بن العاص: أخبرني عبد الله بن هلال صديق إبليس، أنك تشبه إبليس! قال: وما ينكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن! وروى الهيثم عن داود بن أبي هند، قال [٤] : سئل الشعبي عن لحم **الفيل**، فتلا قوله عز ذكره: قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير
[٥] إلى آخر الآية. وسئل عن لحم الشيطان فقال: نحن نرضى منه بالكفاف. فقال له قائل [٦] : ما تقول في الذبان؟ قال: إن اشتهيته فكله.
وأنشدوا قول أعرابي لامرأته: [من البسيط]
ألا تموتين إنا نبتغي بدلا ... إن اللواتي يموتن الميامين
أم أنت لازلت في الدنيا معمرة ... كما يعمر إبليس الشياطين
وقال أبو الحسن وغيره: كان سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد تصيبه موتة [٧] نصف سنة، ونصف سنة يصح، فيحبو ويعطي، ويكسو ويحمل. فأراد أهله أن يعالجوه. فتكلمت امرأة على لسانه فقالت. أنا رقية بنت ملحان سيد الجن، والله أن لو علمت مكان رجل أشرف منه لعلقته! والله لئن عالجتموه لأقتلنه! فتركوا علاجه.

---

[١] سفع: جذب وقبض.
[٢] الخبر في عيون الأخبار ٣١٦/١، ونثر الدر ١٤٥/٢.
[٣] الخبر في نثر الدر ١٦١/٢، وثمار القلوب (١٥٠) ، وربيع الأبرار ٣٨٤/١- ٣٨٥.
[٤] انظر نثر الدر ١٤٥/٢.
[٥] ١٤٥/الأنعام: ٦.

[٦] الخبر في عيون الأخبار ٣١٦/١، ونثر الدر ١٤٦/٢.

[٧] الموته: ضرب من الجنون والصرع يصيب الإنسان.." (١)

"يقول الناس: إن هذا لأمر، وإن هذا ليراد به أمر وقع، أو سيكون لهذا نبأ. كما تراهم يقولون عند الذوائب التي تحدث لبعض الكواكب في بعض الزمان. فمن الترشيح والتأسيس والتفخيم شأن عبد المطلب عند القرعة، وحين خروج الماء من تحت ركبة جملة، وما كان من شأن **الفيل** والطير الأبابيل وغير ذلك، مما إذا تقدم للرجل زاد في نبله وفي فخامة أمره. والمتوقع أبدا معظم فإن كانت هذه الشهب في هذه الأيام أبدا مرئية فإنما كانت من التأسيس والإرهاص، إلا أن ينشدونا مثل شعر الشعراء الذين لم يدركوا المولد ولا بعد ذلك، فإن عددهم كثير، وشعرهم معروف.

وقد قيل الشعر قبل الإسلام في مقدار من الدهر أطول مما بيننا اليوم وبين أول الإسلام، وأولئكم عندكم أشعر ممن كان بعدهم.

وكان أحدهم لا يدع عظما منبوذا باليا، ولا حجرا مطروحا، ولا خنفساء، ولا جعلا، ولا دودة، ولا حية، إلا قال فيها، فكيف لم يتهيأ من واحد منهم أن يذكر الكواكب المنقضة مع حسنها وسرعتها والأعجوبة فيها.

وكيف أمسكوا بأجمعهم عن ذكرها إلى الزمان الذي يحتج فيه خصومكم.

وقد علمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر له يوم ذي قار قال: «هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا» .

ولم يكن قال لهم قبل ذلك إن وقعة ستكون، من صفتها كذا، ومن شأنها كذا، وتنصرون على العجم، وبي تنصرون فإن كان بشر بن أبي خازم وهؤلاء الذين ذكرتم قد عاينوا انقضاض الكواكب فليس بمستنكر أن تكون كانت إرهاصا لمن لم يخبر عنها ويحتج بها لنفسه. فكيف وبشر بن أبي خازم حي في أيام الفجار، التي شهدها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، وأن كنانة وقريشا به نصروا.

وسنقول في هذه الأشعار التي أنشدتموها، ونخبر عن مقاديرها وطبقاتها. فأما قوله [١] : [من الكامل]

فانقض كالدري من متحدر ... لمع العقيقة جنح ليل مظلم

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤٠٣/٦

[١] تقدم البيت ص ٤٥٩.." (١)

"١١- تلتهم المرو على شهوة ... أحب شيء عندها الجمر [١]

١٢- وضبة تأكل أولادها ... وعترفان بطنه صفر [٢]

١٣- يؤثر بالطعم، وتأذينه، ... منجم ليس له فكر

١٤- وكيف لا أعجب من عالم ... حشوته التأبيس والدغر [٣]

١٥- وحكمة يبصرها عاقل ... ليس له من دونها ستر

١٦- جرادة تخرق متن الصفا ... وأبغث يصطاده صقر

١٧- سلاحه رمح فما عذره ... وقد عراه دونه الذعر

١٨- والدب والقرد إذا علما ... **والفيل** والكلبة واليعر [٤]

١٩- يحجم عن فرط أعاجيبها ... وعن مدى غاياتها السحر

٢٠- وظبية تخضم في حنظل ... وعقرب يعجبها التمر

٢١- وخنفس يسعى بجعلانه ... يقوتها الأرواث والبعر

٢٢- يقتلها الورد وتحيا إذا ... ضم إليها الروث والجعر

٢٣- وفأرة البيش إمام لها ... والخلد فيه عجب هتر [٥]

٢٤- وقنفذ يسري إلى حية ... وحية يخلى له الجحر

٢٥- وعضرفوط ماله قبلة ... وهدهد يكفره بكر

٢٦- وفرة العقرب من لسعها ... تخبر أن ليس لها عذر

٢٧- والببر فيه عجب عاجب ... إذا تلاقى الليث والببر

٢٨- وطائر أشرف ذو جردة ... وطائر ليس له وكر [٦]

٢٩- وثرمل تأوي إلى دوبل ... وعسكر يتبعه النسر [٧]

٣٠- يسالم الضبع بذي مرة ... أبرمها في الرحم العمر

٣١- وتمسح خلله طائر ... وسابح ليس له سحر [٨]

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٤٦٠

[١] المرو: حجر أبيض براق.

[٢] العترفان: الديك.

[٣] التأبيس: الإغاظة والترويع. الدغر: توثب المختلس.

[٤] اليعر: صغار الغنم.

[٥] الهتر: العجب.

[٦] الجردة: التجرد، أي التجرد من الزغب والريش.

[٧] الثرمل: أورد الجاحظ في تفسيره للبيت فيما سيأتي «الثرملة» : أنثى الثعالب، وهي مسالمة للدوبل» . الدوبل: الذئب العرم.

[٨] التمسح: التمساح. السحر: الرئة.." (١)

"١٤- وإن شيئا بعض أفعاله ... أن يفصل الخير من الشر

١٥- بذي قوى، قد خصه ربه ... بخالص التقديس والطهر

١٦- بل أنت كالعين وإنسانها ... ومخرج الخيشوم والنحر

١٧- فشرهم أكثرهم حيلة ... كالذئب والثعلب والذر

١٨- والليث قد جلده علمه ... بما حوى من شدة الأسر [١]

١٩- فتارة يحطمه خابطا ... وتارة يثنيه بالهصر

٢٠- والضعف قد عرف أربابه ... مواضع الفر من الكر

٢١- تعرف بالإحساس أقدارها ... في الأسر والإلحاح والصبر [٢]

٢٢- والبخت مقرون فلا تجهلن ... بصاحب الحاجة والفقر

٢٣- وذو الكفايات إلى سكرة ... أهون منها سكرة الخمر

٢٤- والضبع الغثراء مع ذيخها ... شر من اللبوة والنمر [٣]

٢٥- لو خلي الليث ببطن الورى ... والنمر أو قد جيء بالببر

٢٦- كان لها أرجى ولو قضقضت ... ما بين قرنيه إلى الصدر [٤]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤٦٥/٦

٢٧- والذئب إن أفلت من شره ... فبعد أن أبلغ في العذر

٢٨- وكل جنس فله قالب ... وعنصر أعراقه تسري

٢٩- وتصنع السرفة فيهم على ... مثل صنيع الأرض والبذر

٣٠- والأضعف الأصغر أحرى بأن ... يحتال للأكبر بالفكر

٣١- متى يرى عدوه قاهرا ... أحوجه ذاك إلى المكر

٣٢- كما ترى الذئب إذا لم يطق ... صاح فجاءت رسلا تجري [٥]

٣٣- وكل شيء فعلى قدره ... يحجم أو يقدم أو يجري

٣٤- والكيس في المكسب شمل لهم ... والعندليب الفرخ كالنسر

٣٥- والخلد كالذئب على خبثه ... **والفيل** والأعلم كالوبر [٦]

٣٦- والعبد كالحر وإن ساءه ... والأبغث الأغثر كالصقر [٧]

---

[١] الجلد: الشديد القوي.

[٢] الأسر: القوة.

[٣] الغثراء: التي لونها الغثرة، وهي لونان من سواد وصفرة. الذيخ: الذكر من الضباع.

[٤] القضقضة: أن يحطم عظام الفريسة. القرن: واحد قرون الرأس، وهي نواحيها.

[٥] الرسل: القطيع من كل شيء.

[٦] الأعلم: البعير، سمي بذلك لأنه مشقوق الشفة العليا. الوبر: دويبة أصغر من السنور، تقيم في البيوت. حياة الحيوان ٢/٤٠٩.

[٧] الأبغث: من طير الماء طويل العنق، لونه كلون الرماد. الأغثر: ما لونه الغثرة، وهي لونان من سواد وصفرة.." (١)

"أعطى في سلاحه وكفه فضل [١] قوة لما استخذى [٢] له، ولما أطمعه بهربه، حتى صارت جرأته عليه بأضعاف ما كانت.

قال بعض بني مروان [٣] في قتل عبد الملك عمرو بن سعيد: [من الطويل]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٤٦٨

كأن بني مروان إذ يقتلونه ... بغاث من الطير اجتمعن على صقر

١٨٤١-[ما يقبل التعليم من الحيوان]

وأما قوله:

١٨- «والدب والقرد إذا علما ... **والفيل** والكلبة واليعر»

فإن الحيوان الذي يلقن ويحكي ويكيس ويعلم فيزداد بالتعليم في هذه التي ذكرنا، وهي الدب والقرد، **والفيل**، والكلب.

وقوله: اليعر، يعني صغار الغنم. ولعمري أن في المكية والحبشية لعبا.

١٨٤٢-[حب الظبي للحنظل، والعقرب للتمر]

وأما قوله:

٢٠- «وظبية تخضم في حنظل ... وعقرب يعجبها التمر»

ففي الظبي أعاجيب من هذا الضرب، وذلك أنه ربما رعى الحنظل، فتراه يقبض ويعض على نصف حنظلة فيقدها قد الخسفة [٤] فيمضغ ذلك النصف وماؤه يسيل من شدقيه، وأنت ترى فيه الاستلذاذ له، والاستحلاء لطعمه.

وخبرني أبو محجن العنزي، خال أبي العميثل الراجز، قال: كنت أرى بأنطاكية الظبي يرد البحر، ويشرب المالح الأجاج [٥] .

والعقرب ترمي بنفسها في التمر. وإنما تطلب النوى المنقع في قعر الإناء.

فأي شيء أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر، ويستحلي مرارة الحنظل.

---

[١] فضل: زيادة.

[٢] استخذى: خضع.

[٣] البيت بلا نسبة في ثمار القلوب (٢٣٧) ، وسيأتي في ٣٧/٧ منسوبا إلى بشر بن مروان.

[٤] الخسفة: واحدة الخسف، وهو الجوز الذي يؤكل.

[٥] الأجاج: الشديد الملوحة.." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤٨٠/٦

"والأفاعي تكره ريح السذاب والشيح، وتستريح إلى نبات الحرمل. وأما أنا فإني ألقيت على رأسها وأنفها من السذاب ما غمرها فلم أر على ما قالوا دليلا.

١٩٠٥-[أكل بعض الحيوان لبعض]

وأما قوله:

٤٢- «وبعضها طعم لبعض كما ... أعطى سهام الميسر القمر»

فإن الجرذ يخرج يلتمس الطعم، فهو يحتال لطعمه، وهو يأكل ما دونه في القوة، كنحو صغار الدواب والطير، وبيضها وفراخها، ومما لا يسكن في جحر، أو تكون أفاحيصه على وجه الأرض، فهو يحتال لذلك، ويحتال لمنع نفسه من الحيات ومن سباع الطير.

والحية تريغ الجرذ لتأكله، وتحتال أيضا للامتناع من الورل والقنفذ، وهما عليه أقوى منه عليهما. والورل إنما يحتال للحية، ويحتال للثعلب، والثعلب يحتال لما دونه.

قال: وتخرج البعوضة لطلب الطعم، والبعوضة تعرف بطبعها أن الذي يعيشها الدم، ومتى أبصرت **الفيل** والجاموس وما دونهما، علمت أنما خلقت جلودهما لها غذاء، فتسقط عليهما وتطعن بخرطومها، ثقة منها بنفوذ سلاحها، وبهجومها على الدم.

وتخرج الذبابة ولها ضروب من المطعم، والبعوض من أكبرها صيدها وأحب غذائها إليها. ولولا الذبان لكان ضرر البعوض نهارا أكثر.

وتخرج الوزغة والعنكبوت الذي يقال له الليث فيصيدان الذباب بألطف حيلة، وأجود تدبير، ثم تذهب تلك أيضا كشأن غيرهما.

كأنه يقول: هذا مذهب في أكل الطيبات بعضها لبعض. وليس لجميعها بد من الطعم، ولا بد للصائد أن يصطاد، وكل ضعيف فهو يأكل أضعف منه، وكل قوي فلا بد أن يأكله من هو أقوى منه، والناس بعضهم على بعض شبيه بذلك، وإن قصروا عن درك المقدار، فجعل الله عز وجل بعضها حياة لبعض، وبعضها موتا لبعض.

١٩٠٦-[شعر للمنهال في أكل بعض الحيوان لبعض]

وقال المنهال: [من السريع]

ووثبة من خزز أعفر ... وخرنق يلعب فوق التراب." (١)

"ويضرب الكركي إلى القنبر ... لا عانسا يبقى ولا محتلم

وقال: [من الكامل]

وبما أقول لصاحبي خلف ... إيها إليك تحذرن خلف

فلو أن بيتك في ذرى علم ... من دون قلة رأسه شعف

لخشيت قدرك أن يبيتها ... إن لم يكن لي عنه منصرف

وفي المثل: «كل طائر يصيد على قدره» [١] .

١٩٢٣-[غدر الذئب وخبثه وكسبه]

وأما قوله:

٣٥- «والخلد كالذئب على كسبه ... والفيل والأعلم كالوبر»

فإنه يقال: «أغدر من ذئب» [٢] ، و: «أخبث من ذئب» [٣] ، و: «أكسب من ذئب» [٤] ، على قول الآخر: [من الرجز]

أكسب للخير من الذئب الأزل

والخير عنده في هذا الموضع ما يعيش ويقوت، والخير في مكان آخر: المال بعينه على قوله عز وجل: إن ترك خيرا الوصية

[٥] ، وعلى قوله: وإنه لحب الخير لشديد

[٦] ، أي إنه من أجل حب المال لبخيل عليه، ضنين به، متشدد فيه.

والخير في موضع آخر: الخصب وكثرة المأكول والمشروب، تقول: ما أكثر خير بيت فلان. والخير المحض: الطاعة وسلامة الصدر.

---

[١] المثل في المستقصى ٢/٢٢٨.

[٢] مجمع الأمثال ٢/٦٧، والدرة الفاخرة ١/٣٢١، وجمهرة الأمثال ١/١٦٧، ٢/٧٩، والمستقصى

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٥٢٨

.٢٥٨/١

[٣] المثل برواية: «أخبث من ذئب الخمر» في مجمع الأمثال ٢٥٩/١، والدرة الفاخرة ١٩٠/١، والمستقصى ٩٢/١، وجمهرة الأمثال ٤١٢/١، ٤٣٨، ٤٦٢. وبرواية «أخبث من ذئب الغضى» في المصادر نفسها.

[٤] مجمع الأمثال ١٦٨/٢، والمستقصى ١٩٤/١، وجمهرة الأمثال ١٣٧/٢، ١٧٥، والدرة الفاخرة ٣٦١/٢، ٣٦٦.

[٥] ١٨٠/البقرة: ٢.

[٦] ٨/العاديات: ١٠٠.." (١)

"وأما قولهم [١] : «أخبث من ذئب خمر» فعلى قول الراجز [٢] : [من الرجز]

أما أتاك عني الحديث ... إذ أنا بالغائط أستغيث

والذئب وسط أعنزي يعيث ... وصحت بالغائط يا خبيث

وقالوا في المثل: «مستودع الذئب أظلم» [٣] .

١٩٢٤-[الخلد]

والخلد دويبة عمياء صماء، لا تعرف ما يدنو منها إلا بالشم، تخرج من جحرها، وهي تعلم أن لا سمع ولا بصر لها، وإنما تشحا فاها [٤] ، وتقف على باب جحرها فيجيء الذباب فيسقط على شدقها ويمر بين لحييها فتسد فمها عليها وتستدخلها بجذبة النفس، وتعلم أن ذلك هو رزقها وقسمها. فهي تعرض لها نهارا دون الليل، وفي الساعات من النهار التي يكون فيها الذباب أكثر، لا تفرط في الطلب، ولا تقصر في الطلب، ولا تخطئ الوقت، ولا تغلط في المقدار.

وللخلد أيضا تراب حوالي جحره، هو الذي أخرجه من الجحر، يزعمون أنه يصلح لصاحب النقرس [٥] إذا بل بالماء وطلي به ذلك المكان.

١٩٢٥-[الأعلم]

وأما قوله:

-٣٥

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٣٤/٦

«**والفيل** والأعلم كالوبر»

فالفيل معروف، والأعلم: البعير، وبذلك يسمى، لأنه أبدا مشقوق الشفة العليا، ويسمى الإنسان إذا كان كذلك به.

ويدل على أن الأعلم والبعير سواء قول الراجز [٦] : [من الرجز]

إني لمن أنكر أو توسما ... أخو خناثير أقود الأعلما

---

[١] المثل في الصفحة السابقة رقم ٣.

[٢] تقدم الرجز في ١/٢٠٢، الفقرة (٢٣٢) .

[٣] مجمع الأمثال ١/٤٤٦، والدرة الفاخرة ١/١٩٢، ٢٩٤، ٤٥٤.

[٤] تشحا فاها: تفتحه، وانظر هذه الفقرة في ربيع الأبرار ٥/٤٧٣.

[٥] النقرس: ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين.

[٦] تقدم الرجز في ٤/٤٥٤، الفقرة (١٢٠٦) .." (١)

"وشجر لحيين ونحر ورد ... شرنبث أغلب مصمعد [١]

كالليث إلا نمرة في الجلد ... للشبح الحائل مستعد [٢]

حتى إذا عاين بعد الجهد ... على قطاة الردف ردف العبد [٣]

سربين عنا بجبين صلد ... وانقض يأدو غير مجرهد [٤]

في ملهب منه وختل إد ... مثل انسياب الحية العربد [٥]

وقوله: «مثل انسياب الحية العربد» ، هذه الحية عين الدابة التي يقال لها العربد. وقد ذكرها مالك بن حريم في [قوله] [٦] لعمرو بن معد يكرب: [من م.

الكامل]

يا عمرو لو أبصرتني ... لرفوتني في الخيل رفوا [٧]

والبيض تلمع بينهم ... تعصو بها الفرسان عصوا [٨]

فلقيت مني عربدا ... يقطو أمام الخيل قطوا [٩]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٥٣٥

لا رأيت نساءهم ... يدخلن تحت البيت حبوا

وسمعت زجر الخيل في ... جوف الظلام هبي وهبوا [١٠]

في فيلق ملمومة ... تسطو على الخبرات سطوا [١١]

وقال الرقاشي أيضا في الفهد: [من الرجز]

لما غدا للصيد آل جعفر ... رهط رسول الله أهل المفخر

---

[١] الشرنبث: الغليظ الكتفين والرجلين. المصمعد: المنطلق انطلاقا سريعا؛ والأسد.

[٢] النمرة: النكتة من أي لون كانت.

[٣] القطاة: مقعد الردف من الدابة خلف الفارس.

[٤] عنا: ظهرا،. الصلد: القوي. يأدو: يختل. المجرهد: المسرع المستمر في السير.

[٥] المهلب: العدو السريع الذي يثير الغبار. الختل: الخداع. الإد: العجيب. العربد: الشديد من كل شيء.

[٦] إضافة يقتضيها السياق، والأبيات التالية في لباب الآداب ٢٠٣.

[٧] رفاه: سكنه من الرعب.

[٨] البيض: السيوف. عصاه بالسيف: ضربه به.

[٩] قطا يقطو: تقارب مشيه من النشاط.

[١٠] هبي: زجر للخيل، أي توسعي وباعدي.

[١١] **الفيلق**: الكتيبة العظيمة. الملمومة: المجتمعة. تسطو: تسرع الخطو. الخبرات: جمع خبرة، وهي الأرض كثر خبارها، والخبار: ما استرخى من الأرض وتخفى.." (١)

"المرجئ، ولا في تفضيل علي فينصب له العثماني، ولا هو في تصويب الحكمين، فيتسخطه الخارجي، ولا هو في تقديم الاستطاعة فيعارضه من يخالف التقديم، ولا هو في تثبيت الأعراض فيخالفه صاحب الأجسام، ولا هو في تفضيل البصرة على الكوفة، ومكة على المدينة، والشام على الجزيرة. ولا في تفضيل العجم على العرب، وعدنان على قحطان، وعمرو على واصل فيرد بذلك الهذيلي على النظامي، ولا

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٧٢/٦

هو في تفضيل مالك على أبي حنيفة؛ ولا هو في تفضيل امرئ القيس على النابغة، وعامر ابن الطفيل على عمرو بن معد يكرب، وعباد بن الحصين على عبيد الله بن الحر، ولا في تفضيل ابن سريج على الغريض، ولا في تفضيل سيبويه على الكسائي، ولا في تفضيل الجعفري على العقيلي، ولا في تفضيل حلم الأحنف على حلم معاوية، وتفضيل قتادة على الزهري، فإن لكل صنف من هذه الأصناف شيعة، ولكل رجل من هؤلاء الرجال جند، وعددا يخاصمون عنهم. وسفهاؤهم المتسرعون منهم كثير، وعلماؤهم قليل، وأنصاف علمائهم أقل.

ولا تنكر هذا- حفظك الله- أنا رأيت رجلين بالبصرة على باب مويس بن عمران، تنازعا في العنب النيروزي والرازقي، فجرى بينهما اللعين حتى تواثبا، فقطع الكوفي إصبع البصري، وفقأ البصري عين الكوفي، ثم لم ألبث إلا يسيرا حتى رأيتهما متصافيين متنادمين لم يقعا قط على مقدار ما يغضب من مقدار ما يرضي، فكيف يقعان على مقادير طبقات الغضب والرضا؟! والله المستعان.

وقد ترك هذا الجمهور الأكبر، والسواد الأعظم، التوقف عند الشبهة، والتثبت عند الحكومة جانبا، وأضربوا عنه صفحا، فليس إلا لا أو نعم. إلا أن قولهم «لا» موصول منهم بالغضب، وقولهم «نعم» موصول منهم بالرضا. وقد عزلت الحرية جانبا، ومات ذكر الحلال والحرام، ورفض ذكر القبيح والحسن.

قال عمرو بن الحارث: «كنا نبغض من الرجال ذا الرياء والنفخ، ونحن اليوم نتمناهما» .

قد كتبنا من كتاب الحيوان ستة أجزاء، وهذا الكتاب السابع هو الذي ذكرنا فيه الفيل بما حضرنا من جملة القول في شأنه، وفي جملة أسبابه، والله الموفق.

وإنما اعتمدنا في هذه الكتب على الإخبار عما في أجناس الحيوان من الحجج المتظاهرة، وعلى الأدلة المترادفة، وعلى التنبيه على ما جللها «١» الله تعالى من البرهانات." (١)

"الكثيرة، والأحساس اللطيفة، لذكرنا الفيل والبعير، والذرة والنملة، والذئب، والثعلب، والغرنوق، والنحلة، والعنكبوت، والحمام، والكلب.

وسنذكر على اسم الله تعالى بعض ما في البهائم والسباع والطير من المعرفة، ثم نخص في هذا الكتاب المنسوبات إلى الموق، والمعروفات بالغباوة وقلة المعرفة، كالرخمة والزنبور، والربع من أولاد الإبل، والنسر من عظام الطير.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٤

١٩٩٧-[معنى الرحمة في بيت للكميت]

وقال المفضل الضبي: قلت لمحمد بن سهل راوية الكميت: ما معنى قول الكميت «١» في الرخمة: [من الوافر]

ذات اسمين والألوان شتى ... تحمق وهي كيسة الحويل»

لها خب تلوذ به وليست ... بضائعة الجنين ولا مذول «٣»

قال «٤» : كأن معناه عندي حفظ فراخها، أو موضع بيضها، وطلب طعمها، واختيارها من المساكن ما لا يطوره «٥» سبع طائر ولا ذو أربع. قال: فقلت: فأي كيس عند الرخمة إلا ما ذكرت، ونحن لا نعرف طائرا ألأم لؤما ولا أقذر طعمة، ولا أظهر موقا منها، حتى صارت في ذلك مثلا؟! فقال محمد بن سهل: «وما حمقها وهي تحضن بيضها، وتحمي فراخها، وتحب ولدها، ولا تمكن إلا زوجها، وتقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع، [ولا تطير في التحسير، ولا تغتر بالشكير، ولا ترب «٦» بالوكور ولا تسقط على الجفير» .

أما قوله: «تقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع»] «٧» فإن الرماة وأصحاب الحبائل والقناص إنما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أن القواطع قد قطعت، فبقطع الرخمة يستدلون. فلا بد للرخمة من أن تنجو سالمة إذا كانت أول طالع عليهم.." (١)

"هذا قول صاحب المنطق في عقوق العقاب وجفائها بأولادها، فأما أشعار العرب فهي تدل على خلاف ذلك، قال دريد بن الصمة»

: [من الطويل]

وكل لجوج في العنان كأنها ... إذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر «٢»

لها ناهض في الوكر قد مهدت له ... كما مهدت للبعل حسناء عاقر «٣»

٢٠٢٥-[المحمق من الحيوان]

والحيوان المحمق الرخمة والحبارى. قال عثمان بن عفان رضي الله عنه «٤» :

«كل شيء يحب ولده حتى الحبارى» .

وأنثى الذئاب، وهي التي تسمى جهيزة، والضبع، والنعجة، والعنز، هذه من الموصوفات بالموق جدا.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/١٠

قال: ومن الحيوان ما ليس عنده إلا الجمال والحسن كالطاوس؛ وهو من الطير المحمق، وكذلك التدرج «٥» مع جماله وحسنه وعجيب وشيه، **والزرافة**، وهي أيضا موصوفة بالموق، وليس عندها إلا طرافة الصورة وغرابة النتاج. وهي من الخلق العجيب مواضع الأعضاء، ويتنازعها أشباه كثيرة.

٢٠٢٦-[القبيح من الحيوان]

والفيل عجيب ظريف، ولكنه قبيح مسيخ «٦» ، وهو في ذلك بهي نبيل، والعين لا تكرهه. والخنزير قبيح مسيخ، والعين تكرهه. والقرد قبيح مليح.." (١)

"٢٠٢٧-[فطنة بعض الطيور]

وعند الببغاء والمكاء والعندليب وابن تمرة «١» مع صغر أجرامها ولطافة شخوصها، وضعف أسرها «٢» ، من المعرفة والكيس والفطنة والخبث ما ليس عند **الزرافة** والطاووس والببغاء عجيب الأمر. ويقولون: عندليب وعندبيل، وهو من أصغر الطير.

٢٠٢٨-[ما قيل في حمق الأجناس المائية وفطنتها]

فأما الأجناس المائية من أصناف السمك، والأجناس التي تعايش السمك، فإن جماعتها موصوفة بالجهل والموق وقلة المعرفة، وليس فيها خلق مذكور، ولا خصلة من خصال الفطن، إلا كنحو ما يروى من صيد الجري للجرذان، وحمل تلك الدابة «٣» للغرقى حتى تؤديهم إلى الساحل.

٢٠٢٩-[شدة بدن السمكة والحية]

والسمكة شديدة البدن، وكذلك الحية. وكل شيء لا يستعين بيد ولا رجل ولا جناح، وإنما يستعمل أجزاء بدنه معا فإنه يكون شديد البدن.

٢٠٣٠-[حيلة الشبوط في التخلص من الشبكة]

وخبرني «٤» بعض الصيادين أن الشبوطة تنتهي في النهر إلى الشبكة فلا تستطيع النفوذ منها، فتعلم أنها لا ينجيها إلا الوثوب فتتأخر قدر قاب رمح، ثم تتأخر جامعة لجراميزها «٥» حتى تثب، فربما كان ارتفاع وثبتها في الهواء أكثر من عشر أذرع. وإنما اعتمدت على ما وصفنا. وهذا العمل أكثر ما رووه من معرفتها، وليس لها في المعرفة نصيب مذكور.

٢٠٣١-[ما يغوص من السمك في الطين]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٢/٧

وأنواع من السمك يغوص في الطين، وذلك أنها تنخر وتتنفس في جوفه، وتلزم أصول النبات إذا لم يرتفع، وتلتمس الطعم والسفاد.." (١)

"ما جاء في ذكر الطير

قال الله جل ثناؤه: ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله

«١» . وقال الله: وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني

«

. وقال: وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون

. «٣»

وقال الله: أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه

«٤» . وقال: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل

«٥» . وقال الله:

وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير

. «٦»

ولم يذكر منطق البهائم والسباع والهمج والحشرات.

وقال الله: فسئلوهم إن كانوا ينطقون

«٧» ؛ لأنك حيثما تجد المنطق تجد الروح والعقل والاستطاعة.

وقالوا: الإنسان هو الحي الناطق. وقال الله: فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى

«٨» . وقال: أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا

«٩» ، ثم قال: وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير

«١٠» ولم يذكر شيئا من جميع الخلق. وقد كان الله سخر له جميع ذلك. ثم قال: وتفقد الطير فقال ما

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٣/٧

لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين

«١١» .

ولم يتفقد شيئا مما سخر له، ولا دل سليمان على ملكة سبأ إلا طائر.

وقال الله: ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير

«١٢» .." (١)

"وإذا أصاب الحية خدش فإن الذر يطالبه أشد الطلب، فلا يكاد ينجو، ولا يعرف ذلك إلا في الفرط.

وإذا عض الإنسان الكلب الكلب فإن الفأر يطالبه ليبول عليه، وفيه هلكته، فهو يحتال له بكل حيلة.

وربما أغد البعير فلا يعرف ذلك الجمال حتى يرى الذبان يطالبه.

وإذا وضعت الذئبة جروها فإنه يكون حينئذ ملتزق الأعضاء أمعط كأنه قطعة لحم، وتعلم الذئبة أن الذر يطالبه، فلا تزال رافعة له بيديها، ومحولة له من مكان إلى مكان، حتى تفرج الأعضاء، ويشتد اللحم.

وإذا وضعت الهرة جروها فإن طرحوا لها لحما من ساعتها أو روبة «١» أو بعض ما يشبه ذلك فأكلته، لم تكد تأكل أجراءها، لأن الهرة يعتريها عند ذلك جوع وجنون وخفة.

والأجناس التي تحدث لها قوة على غير سبب يعرف في تقدير الرأي منها الذئب الضعيف الواثب على الذئب القوي إذا رأى عليه دما، والهرة إذا سفدها الهر، فإنها عند ذلك تشد عليه وهي واثقة باستخذائه لها، وفضل قوتها عليه، والجرذ إذا خصي فإنه يأكل الجرذان أكلا ذريعا ولا يقوم له شيء منها «٢» .

فأما الفيل والكركدن والجمل، عند الاغتلام وطلب الضراب، فإنها وإن تركت الشرب والأكل الأيام الكثيرة فإنه لا يقوم لشيء منها شيء من ذلك الجنس وإن كان قويا شابا آكلا شاربا.

وأما الغيران والغضبان والسكران والمعاين للحرب، فهم يختلفون في ذلك على علل قد ذكرناها في القول في فضيلة الملك على الإنسان. والإنسان على الجان. فإن أردته فالتمسه هناك. فإن إعادة الأحاديث الطوال والكلام الكثير مما يهجر في السماع، ويهجن الكتب.." (٢)

"٢٠٦٠-[أقل الحيوان نسلا وأكثره]

قالوا: والأقل في ذلك البازي، والأكثر في ذلك الذر والسمك.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٨/٧

(٢) الحيوان الجاحظ ٤٠/٧

قال الشاعر «١» : [من الوافر]

بغاث الطير أكثرها فروخا ... وأم الباز مقلات نزور

وقال صاحب المنطق: نسل الأسد أقل لأنه يجرح الرحم فيعقم، قالوا: **والفيلة** تضع في سبع سنين، وأقل الخلق عددا وذرءا الكركدن، لأن الأنثى تكون نزورا، وأيام حملها كثيرة جدا «٢» ، وهي من الحيوان الذي لا يلد إلا واحدا، وكذلك عظام الحيوان. وهي مع ذلك تأكل أولادها، ولا يكاد يسلم منها إلا القليل، لأن الولد يخرج سويا نابت الأسنان والقرن، شديد الحافر.

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة، ونسأله التأييد والعصمة، ونعوذ به من كل سبب جانب الطاعة، ودعا إلى المعصية، إنه قريب مجيب، فعال لما يريد.

قد قلنا في أول هذا الجزء، وهو الجزء السابع، من القول في الحيوان في أحساس أجناسها المجعولة فيها، وفي معارفها المطبوعة عليها، وفي أعاجيب ما ركبت عليه من الدفع عن أنفسها، والتقدم فيما يحييها وفي تحسسها عواقب أمورها وكل ما خوفت من حوادث المكروه عليها بقدر ما ينوبها من الآفات، ويعتريها من الحادثات وأنها تدرك ذلك بالطبع من غير روية، وبحس النفس من غير فكرة، ليعتبر معتبر، ويفكر مفكر، ولينفي عن نفسه العجب، ويعرف مقداره من العجز، ونهاية قوته، ومبلغ نفاذ بصره، وأنه مخلوق مدبر ومصرف وميسر، وأن الأعجم من أجناس الحيوان، والأخرس من تلك الأشكال، يبلغ في تدبير معيشته، ومصلحة شأنه، وفي." (١)

"كل ما هو بسبيله، ما لا يبلغه ذو الروية التامة، والمنطق البليغ، وأن منها ما يكون ألطف مدخلا، وأدق مسلكا، وأصنع كفا، وأجود حنجرة، وأطبع على الأصوات الموزونة، وأقوم في حفظ ما يعيشه طريقة، إلا أن ذلك منها مفرق غير مجموع، ومنقطع غير منظوم.

والإنسان ذو العقل والاستطاعة، والتصرف والروية، إذا علم علما غامضا، وأدرك معنى خفيا، لم يكد يمتنع عليه ما دونه إذا قاس بعض أمره على بعض.

وأجناس الحيوان قد يعلم بعضها علما، ويصنع بكفه صنعة يفوق بها الناس، ولا يهتدي إلى ما هو دون ذلك بطبع ولا روية، وعلى أن الذي عجز عنه في تقدير العقول دون الذي قدر عليه.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٤٤

[ما جاء في الفيلة]

وأنا ذاكر إن شاء الله، ما جاء في الفيلة من عجيب التركيب، وغريب التأليف، والمعارف الصحيحة، والأحساس اللطيفة، وفي قبولها التثقيف والتأديب، وسرعتها إلى التلقين والتقويم، وما في أبدانها من الأعضاء الكريمة، والأجزاء الشريفة، وكم مقدار منافعها، ومبلغ مضارها، وبكم فضلت أجناس الحيوان، وفاقت تلك الأجناس.

وما جعل الله تعالى فيها من الآيات والبرهانات، والعلامات النيرات، التي جلاها لعيون خلقه وعرف بينها وبين عقول عباده، وقيدها عليهم، وحفظها لهم ليكثر لهم من الأدلة، ويزيدهم في وضوح الحجة، ويسخرهم لتمام النعمة، والذي ذكرها الله به في الكتاب الناطق، والخبر الصادق، وما في الآثار المعروفة، والأمثال المضروبة، والتجارب الصحيحة.

وما قالت فيها الشعراء، ونطقت به الخطباء، وميزته العلماء، وعجبت منه الحكماء، وحالها عند الملوك وموضع نفعها في الحروب، ومهابتها في العيون، وجلالتها في الصدور، وفي طول أعمارها، وقوة أبدانها، وفي اعتزامها وتصميمها، وأحقادها، وشدة اكتراثها، وطلبها بطوائلها، وارتفاعها عن ملك السقاط والحشوة، وعن اقتناء الأنذال والسفلة، وعن ارتخاصها في الثمن وارتباطها على الخسف، وابتذالها وإذالتها، وعن امتناع طبائعها، وتمنع غرائزها أن تصلح أبدانها، وتنبت أنيابها، وتعظم جوارحها، وتتسافد وتتلاقح إلا في معادنها وبلادها، وفي منابتها ومغارس أعراقها، مع التماس الملوك ذلك منها، حتى أعجزت الحيل، وخرجت من حد الطمع.." (١)

"وعن الإخبار عن حملها ووضعها، ومواضع أعضائها، والذي خالفت فيه الأشكال الأربعة التي تحيط بالجميع مما ينساح أو يعوم، أو يمشي أو يطير، وجميع ما ينتقل عن أولية خلقه، وما يبقى على الطبائع الأول من صورته وعما يتنازعه من شبه الحيوان، أو ما يخالف فيه جميع الحيوان، وعن القول في شدة قلبه وأسره، وفي جرأته، على ما هو أعظم بدنا وأشد كلبا، وأحد أظفارا، وأذرب أنيابا، وهربه مما هو أصغر منه جرما وأكل حدا، وأضعف أسرا، وأخمل ذكرا.

وعن الإخبار عن خصاله المذمومة، وأموره المحمودة وعن القول في لونه وجلده وشعره، ولحمه وشحمه وعظمه، وبوله ونجوه، وعن لسانه وفمه، وعن أذنه وعينه، وعن خرطومه وغرموله، وعن مقاتله وموضع

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٤٥

سلاحه، وعن أدوائه ودوائه، وعن القول في أنيابه وسائر أسنانه، وسائر عظامه، وفرق ما بين عظامه وعظام غيره، وعن مواضع عجزه وقوته، والقول في ألبانها وضروعها، وعدد أخلافها وأماكن ذلك منها، وعن سياحتها ومشيها وحضرها وسرعتها، وخفة وطئها ولين ظهورها، وإلذاذ راكبها، وعن ثبات خفها في الوحل والرمل، وفي الحدر والصعداء، وعن أمن راكبها من العثار.

وكيف حالها عند اهتياجها واغتلامها، وعن سكونها وانقضاء هيجانها عند حملها، وعن طربها وطاعتها لسواسها، وفهمها لما يراد منها، وكيف حدة نظرها والفهم الذي يرى في طرفها، مع الوقار والنبل، والإطراق والسكون، ولم اجتمعت الملوك عربها وعجمها وأحمرها وأسودها على اقتنائها والتزين بها، والفخر بكثرة ما تهيأ لهم منها، حتى صارت عندهم من أكرم الهدايا، وأشرف الألطاف، وحتى صار اتخاذها مروءة وعتادا وعدة، ودليلا على أن مقتنيها صاحب حرب.

وفي تفضيل خصال الفيل على خصال البعير، وفي أي مكان يكون أنفع في الحرب من الفرس، وأصبر عند القتال من النمر، وأقتل للأسد من الجاموس، وأكلب من الببر إذا تعرم «١» ، وأشد من الكركدن إذا اغتلم، حتى لا يبلغه مقدار ما يكون من تماسيح الخلجان، وخيل النيل، وعقبان الهواء، وأسد الغياض.

٢٠٦١-[قصيدة هاورن مولى الأزد في الفيل]

وقد جمع هاورن مولى الأزد الذي كان يرد على الكميت ويفخر بقحطان،." (١)

"وكان شاعر أهل المولتان «١» ، ولا أعرف من شأنه أكثر من اسمه وصناعته. وقد قال في صفات الفيل أشعارا كثيرة، ذكر فيها كثيرا مما قدمنا ذكره، فمن ذلك قوله «٢» :

[من المتقارب]

أليس عجيبا بأن خلقة ... له فطن الإنس في جرم فيل

وأنشدني هذا البيت صفوان بن صفوان الأنصاري، وكان من رواة داود بن مزيد: [من المتقارب]

«أليس عجيبا بأن خلقة ... له فطن الإنس في جرم فيل»

وأظرف من قشة زولة ... بحلم يجل عن الخنشليل «٣»

وأوقص مختلف خلقه ... طويل النيوب قصير النصيل «٤»

ويلقى العدو بناب عظيم ... وجوف رحيب وصوت ضئيل

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤٦/٧

وأشبه شيء إذا قسته ... بخنزير بر وجاموس غيل

تنازعه كل ذي أربع ... فما في الأنام له من عديل

ويخضع لليث ليث العرين ... بأن ناسب الهر، من رأس ميل «٥»

ويعصف بالببر بعد النمور ... كما تعصف الريح بالعندبيل

وشخص ترى يده أنفه ... فإن وصلوه بسيف صقيل

وأقبل كالطود هادي الخميس ... بهول شديد أمام الرعيل «٦»

ومر يسيل كسيل الأتي ... بخطو خفيف وجرم ثقيل «٧»

فإن شمته زاد في هوله ... شناعة أذنين في رأس غول «٨»

وقد كنت أعددت هرا له ... قليل التهيب للزنديل." (١)

"فلما أحس به في العجاج ... أتانا الإله بفتح جميل

فطار وراغم فياله ... بقلب نجيب وجسم نبيل

فسبحان خالقه وحده ... إله الأنام ورب الفيول

٢٠٦٢-[احتيال هارون بالهر لهزيمة **الفيل**]

وذكر صفوان بن صفوان أن هارون هذا خبأ معه هرا تحت حضنه، ومشى بسيفه إلى **الفيل**، وفي خرطومه السيف، والفيالون يذمرونه، فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه، فأدبر هاربا، وتساقط كل من كان فوقه، وكبر المسلمون، وكان ذلك سبب الهزيمة «١» .

وسنذكر الهر في هذا الشعر كما كتبته لك.

٢٠٦٣-[استطراد لغوي]

وأما قوله: [من المتقارب]

بحلم يجل عن الخنشليل

فقد قال الأنصاري «٢» في صفة النخل: [من المتقارب]

تليص العشاء بأذنابها ... وفي مدر الأرض عنها فضول «٣»

ويشبعها المص مص الثرى ... إذا جاعت الشاة والخنشليل»

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤٧/٧

وهذا غير قوله «٥» : [من الرجز]

قد علمت جارية عطبول ... أني بنصل السيف خنشليل

٢٠٦٤-[العندبيل]

وأما العندبيل فهو طائر صغير جدا، ولذلك قال الشاعر: [من الطويل]

وما كان يوم الريح أول طائر ... يروح كروح العندبيل إلى الوكر." (١)

"لأن الريح تعصف به من صغره، فهو يعرف ذلك من نفسه، فإذا قويت الريح دخل جحره، ويقولون عندليب وعندبيل وكل صواب، ولذلك قال هارون: [من المتقارب]

ويعصف بالببر بعد النمور ... كما تعصف الريح بالعندبيل

وسنخبر عن تقرير ما في هذه القصيدة مفرقا، إذ لم نقدر عليه مجموعا متصلا، ولو أمكن ذلك لكان أحسن للكتاب، وأصح لمعناه، وأفهم لمن قرأه.

باب ما يدخل في ذكر الفيل وفيه أخلاط من شعر وحديث وغير ذلك

قال رؤبة «١» في صفة الفيل: [من الرجز]

أجرد كالحصن طويل النابين ... مشرف اللحي صغير الفقمين

عليه أذنان كفضل الثوبين

وأنشد ابن الأعرابي «٢» : [من البسيط]

هو البعوضة إن كلفته كرما ... والفيل في كل أمر أصله لوم

وقال أعرابي ووصف امرأة له «٣» : [من الرجز]

لو أكلت فيلين لم تخش البشم

وقال أعرابي يصف الأكرياء «٤» : [من الرجز]

لو تركب البختي ميلا لأنحطم ... أو تركب الفيل بها الفيل رزم «٥»." (٢)

"وحمل ناس أبا الحلال الهدادي على الفيل أيام الحجاج، فتمنع وأنشأ يقول:

[من الطويل]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٤٨

(٢) الحيوان الجاحظ ٧/٤٩

أأركب شيطانا ومسخا وهضبة ... إلا إن رأيي قبل ذاك مضلل

فقالوا له: لو علوته ما كان عندك إلا كالبغل! فلما علاه صاح: الأرض الأرض! فلما خافوا أن يرمي بنفسه وهو شيخ كبير، أنزلوه، فقال بعد ذلك في كلمة له «١» :

[من الطويل]

وما كان تحتي يوم ذلك بغلة ... ولكن جلبا من رفيع السحائب

وقال بعض المتحدثين والمملحين في بعض النساء «٢» : [من الهزج]

أرادت مرة بيتا ... لها فيه تماثيل

فلما أبصرت سترا ... لوجهيه تهاويل

وفيه الفيل منقوشا ... وفي مشفره طول

قالت: انزعوا الستر ... فلا يأكلني الفيل

وقال خلف بن خليفة الأقطع، حين ذكر الأشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة: [من المتقارب]

وقامت قريش قريش البطاح ... مع العصب الأول الداخله

يقودهم الفيل والزندبيل ... وذو الضرس والشفة المائله

الفيل والزندبيل: أبان والحكم، ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان، وذو الضرس: خالد بن سلمة المخزومي الخطيب، وهو ذو الشفة، قتل مع يزيد بن عمر ابن هبيرة فيمن قتل.

وقد فصل خلف بن خليفة الفيل من الزندبيل، ولم يفسر. وقد اختلفوا في ذلك، وسنذكره إذا جر سببه إن شاء الله تعالى.

الفيل، المعروف بهذا الاسم. ويقال رجل فيل إذا كان في رأيه فيالة، والفيالة:." (١)

"الخطأ والفساد. ويسمون أيضا الرجل بفيل، منهم فيل مولى زياد وحاجبه، وفي أنهار الفرات بالبصرة نهر يقال له فيل بانان وموضع آخر يقال له فيلان.

وقد يعرض بقدم الإنسان ورم جاس حتى تعظم له قدمه وساقه، وصاحبه لا يبرأ منه، ويسمى ذلك الورم داء الفيل.

ويسمى الرجل بدغفل، وهو ولد الفيل، ولا يسمون بزندبيل. وبعض العرب يقول للذكر من الفيلة فيل

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٠/٧

وللأنثى فيلة. كما يقولون أسد وأسدة، وذئب وذئبة، ولا يقولون مثل ذلك في ثعلب وضبع، وأمور غير ذلك، إلا أن يكون اسما لإنسان.

وبعث رجل من العرب بديلا مكانه في بعض البعوث، وأنشأ يقول: [من الوافر]

إذا ما اختبت الشقراء ميلا ... فهان علي ما لقي البديل «١»

يشنفها ويحسبها بعيرا ... قليل علمه بالخيل فيل «٢»

وأنشدنا الأصمعي «٣» : [من الطويل]

يفرون **والفيل** الجبان كأنه ... أزب خصي نفرته القعاقع

قال سلمة بن عياش: قال لي رؤبة «٤» : «ما كنت أحب أن أرى فـي رأيك فيالة» .

وبالكوفة باب **الفيل**، وبواسط باب **الفيل**.

ومنهم فيلويه، وهو أبو حاتم بن فيلويه، وكان أبو مسلم ربى أبا حاتم حتى اكتهل، وهما سقيا أبا مسلم السم حتى عولج بالترياق فأفاق، فقتلهما أبو مسلم بعد ذلك، وكانا على شبيه بدين الخرمية.

ويقولون عنبسة **الفيل**، وهو النحوي، وهو أحد قدماء النحويين الحذاق. وهو عنبسة بن معدان، وكان معدان يروض فيلا لزياد، فلما أنشد عنبسة بن معدان هجاء جرير للفرزدق قال الفرزدق «٥» : [من الطويل]

لقد كان في معدان **والفيل** زاجر ... لغنبسة الراوي علي القصائدا." (١)

"فلما تناشد الناس بعد ذلك هذا الشعر قال عنبسة: إنما قال الفرزدق:

لقد كان في معدان واللؤم زاجر

فقالوا: إن شيئا فررت منه إلى اللؤم لناهيك به قبحا! فعند ذلك سمي «عنبسة **الفيل**» «١» .

وغيلان الراجز كان يقال له «غيلان راكب **الفيل**» كان الحجاج بن يوسف ربما حمله على **الفيل** «٢» .

وسعدويه الطنبوري، وكان يقال له: «سعدويه عين **الفيل**» «٣» .

قال أبو عبيدة: حدثني يونس قال: لما بنى فيل مولى زياد داره وحمامه بالسبابجة، عمل طعاما لأصحاب زياد، ودعاهم إلى داره، وأدخلهم حمامه، فلما خرجوا منه غداهم، ثم ركب وغبر في وجوههم، فقال أبو الأسود الدؤلي «٤» : [من الوافر]

لعمر أبيك ما حمام كسرى ... على الثلثين من حمام فيل

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥١/٧

وقال الجارود بن أبي سبرة: [من الوافر]

وما إرقاصنا خلف الموالي ... كسنتنا على عهد الرسول

وأنشد الأصمعي وغيره «٥» : [من الطويل]

خلافا علينا من فيالة رأيه ... كما قيل قبل اليوم خالف فتذكرا

ويقال للرجل إذا عنف عند الرأي يراه: لم تفيل رأيك؟ وقد فال رأي فلان.

وحدثنا عبد الله بن بكر، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما انتهيت إلى السدرة إذا ورقها أمثال آذان الفيلة، وإذا ثمرها أمثال القلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتا» «٦» .

وقال صاحب الكيمياء في جرير بن يزيد: [من السريع]

مهلا أبا العباس رفقا ولا ... تكن خصيم المعشر الخون." (١)

"هيهات هيهات لما رمته ... أو يولد الفيل من النون

أنت إذا ما عد أهل الحجا ... والحلم كالأحنف في سين «١»

٢٠٦٥-[الفرخ والفروج]

وكل طائر يخرج من البيض وكل ولد يخرج من البيض وإن لم يكن طائرا، فإنما يسمى فرخا، كفرخ الحمام والوزغة والعظاءة والرق والسلحفاء والحكاء، وبنات النقا، وشحمة الأرض، والضب، والحرذون، والورل، والحرباء، إلا ما يخرج من بيض الدجاج فإنه يقال له «فروج» ولا يقال له فرخ، إلا أن الشعراء يتوسعون في ذلك. قال شماخ بن أبي شداد «٢» : [من الوافر]

ألا من مبلغ خاقان عنا ... تأمل حين يضربك الشتاء

أتجعل في عيالك من صغير ... ومن شيخ أضر به الفناء

فراخ دجاجة يتبعن ديكا ... يلذن به إذا حمس الوغاء

وقال الآخر «٣» : [من الطويل]

أحب إلينا من فراخ دجاجة ... ومن ديك أنباط تنوس غباغبه

٢٠٦٦-[بعض من سمي بالفيل]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٥٢

وإذا سمى أهل البصرة إنسانا بغيل فأرادوا تصغيره قالوا فيلويه، كما يجعلون عمرا عمرويه، ومحمدا حمدويه.

وكان محمد بن إبراهيم الرافقي الفارس النجيد قتيل نصر بن شبث، مولى بني نصر بن معاوية، له كنيتان: أبو الفيل وأبو جعفر، ولم يكن بالجزيرة أفرس من داود بن عيسى، وأبي الفيل وعيسى بن منصور من ساكني الرافقة «٤» .

٢٠٦٧-[حمل الفيل وعمره]

وذكر بعض الفيالين أن الفيلة تضع لسبع سنين ولدا مستوي الأسنان، وأنهم." (١)

"يرصدون ذلك الوقت من الوحشية منها، ويحتالون في أخذ الولد، وأن ذلك الولد يعيش في أيديهم ما بين الثمانين سنة إلى المائة، وأن عمر الوحشية أطول «١» .

وأن كل شيء منها اليوم بالعسكر إناث، وأن الموت بالعراق إلى الذكورة أسرع، وأن نابه لا يطول عندنا، وأنهم يعملون من جلودها الترسة «٢» أجود من جلود الجواميس، ومن الخيزران، ومن الدرق والحجف «٣» التي تتخذ من جلود الإبل، ومن هذه المعقبة المطلية، ومن جميع ما يؤلف من أنواع الخشب والجلود التي قد أطيل إنقاعها في اللبن، ومن كل تبتي وصيني.

٢٠٦٨-[مروج الفيلة]

وذكر أن لها مروجا، وأن المروج أصلح لها من القرى، ومواضعها من الوحش أصلح لها من المروج.

٢٠٦٩-[فهم الفيلة وغيرها من الحيوان]

وذكر رسول لي إلى سائسها أنه قد اتبعها إلى دجلة، وأن بعض الغوغاء صاح بها: يا حجام بابك! وهذا الكلام اليوم ظاهر على ألسنة الجهال، وأن فيلا منها ركله برجله ركلة صك بها الحائط حتى خيف عليه منها، وأنه رأى منها الإنكار لذلك القول، وأن الفيال كان يحثها على الانتقام لما صاح بها.

وإذا عرف الكلب اسمه، وكذلك السنور، وكذلك الشاة والفرس، والطفل والمجنون المصمت الجنون، وعرفت الناقة فصل ما بين حل وجاه، وعرف الحمار الصوت الذي يلتمس به وقوفه، والذي يلتمس به سيره، وعرف الكلب مخاطبة الكلاب، والببغاء مناغاة المكلم له، فجائز أن يكون الفيل بفضل فطنته أن يفهم أضعاف ذلك. فإذا أمروه بضرب إنسان عند ضرب من الكلام استعاد ذلك وأدامه، لم ينكر أن يعرفه على طول الترداد.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٣/٧

٢٠٧٠-[التداوي بنجو الفيل وغيره من الحيوانات]

قالوا «٤» : وإذا احتملت المرأة شيئا من نجو الفيل بعد أن يخلط به شيء من عسل فإنها لا تحبل أبدا.." (١)

"قالوا: ومما يؤكد ذلك أنك لو علقت على شجرة من نجوه شيئا، إن تلك الشجرة لا تحمل في تلك السنة.

قالوا: وزواني الهند يفعلن ذلك استبقاء للطراء وللشباب، ولأنها إذا كانت موقوفة على جميع الأجناس من الرجال كانت أسرع إلى الحبل لأنها لا تعدم موافقا لطبعها، وإذا حملت ووضعت مرارا بطلت.

وليس هذا بعجيب، لأنهم يزعمون أن صاحب الحصاة إذا أخذ روث الحمار حين يروثه حارا فعصره وشرب ماءه أنه كثيرا ما يبول تلك الحصاة. وفي ماء روث الحمار أيضا دواء للضرس المأكول «١» .

وقال الأصمعي: سألت بعض «٢» الأكلة ممن كان يقدم على ميسرة التراس:

كيف تصنع إذا جهدتك الكظة؟ والعرب تقول: إذا كنت بطينا فعدل نفسك زمنا، فقال: آخذ روث حمار حارا فأعصره وأشرب ماءه فأختلف عنه مرارا، فلا أثبت أن يلحق بطني بصلبي، فأشتهي الطعام.

والمرأة من نسائنا اليوم إذا استحيضت استفت مثقالا من الإثمد، لأنها عندهن إذا فعلت ذلك لم تلد.

وأنا رأيت امرأة قد فعلت ذلك ثم ولدت.

وخرء الكلب إذا كان الجعر أبيض اللون، وكان غذاء الكلب العظام دون اللحم، فهو عجيب لصاحب الذبحة، وكذلك رجيع الإنسان.

وخرء الفار يكون شيافا «٣» للصبيان، يحملونه إذا استوكى بطن أحدهم وإن كان من خرء الجرذان وكان عظيما كان الواحد منه هو الشياف.

ويصلح أيضا خرء الفار لداء الثعلب، وهو القرع الذي يعرض لشعر الرأس.

وخرء الحمام الأحمر يصلح، من المبولات للرمل والحصى، يقمح منه وزن درهم مع مثله من الدارصيني.

٢٠٧١-[شعر في الفيل]

وقال بعض المحدثين «٤» : [من السريع]." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٤/٧

(٢) الحيوان الجاحظ ٥٥/٧

"يا لحية طالت على نوكها ... كأنها لحية جبريل

لو كان ما ينصب من مائها ... نهرا إذا طم على النيل

أو كان ما يقطر من دهنها ... كيلا لوفى ألف قنديل

فلو تراها وهي قد سرحت ... حسبتها بندا على فيل «١»

وأنشد أبو عمرو الشيباني لبعض المولدين «٢» : [من المنسرح]

إذا تلاقى الفيول وازدحمت ... فكيف حال البعوض في الوسط

وأنشد علي بن محمد: [من المتقارب]

وما الفيل أحمله موقرا ... رصاصا بأثقل من معبد

ولا قرملي عليه الغبيط ... ينوء بعدلين من إثمد «٣»

وجاموسة أوقرت زئبقا ... بأثقل منه ولا أنكد

وقال آخر: [من السريع]

باب يرى ليس له داخل ... إلا خرا جمع في الزاويه

إن جئت فالفيل على هامتي ... ومثله نيط بأوصاليه

ووصف مرة بن محكان قدرا فقال «٤» : [من البسيط]

ترمي الصلاة بنبل غير طائشة ... وفقا إذا آنست من تحتها لهبا «٥»

زيافة مثل جوف الفيل مجفرة ... لو يقذف الرأل في حيزومها ذهبا «٦»

وقال بعض الأكرياء في امرأة كان حملها: [من الرجز]

بيضاء من رفقة عمران الأصم ... لا ثعل في سنها ولا قصم «٧»." (١)

"بهكنة لو تركب الفيل رزم ... كأنها يوم توافي بالحرم «١»

غمامة غراء عن غب رهم «٢»

وقال رؤبة بن العجاج «٣» : [من الرجز]

إن الردافى والكري الأرقبا ... يكفيك درء الفيل حتى تركبا «٤»

ثم قال «٥» : [من الرجز]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٦/٧

يشقى بي الغيران حتى أحسبا ... سيدا مغيرا أو لياحا مغربا «٦»

٢٠٧٢-[ما ورد في شأن الفيل من الأمثال في كليلة ودمنة]

ومما قرأه الناس من الأمثال في شأن الفيل التي وجدوها في كتاب كليلة ودمنة. فمن ذلك قوله «٧» : «أفلا ترى أن الكلب يبصبص بذنبه مرارا حتى تلقى له الكسرة، وإن الفيل المغتلم ليعرف قوته وفضله «٨» ، فإذا قدم إليه علفه مكرما لم يأكل حتى يمسح ويتملق» «٩» .

قال «١٠» : «وقيل في أعماله ثلاثة «١١» لا يستطيعها أحد إلا بمعونة من ارتفاع همة، وعظيم خطر، منها عمل السلطان «١٢» ، وتجارة البحر، ومناجزة العدو. وقالت العلماء في الرجل الفاضل [الرشيد] «١٣» : إنه لا ينبغي أن يرى إلا في مكانين، ولا." (١)

"يليق به غيرهما إما مع الملوك مكرما، وإما مع النساك متبتلا، كالفيل إنما بهاؤه وجماله في مكانين: إما في برية وحشيا «١» ، وإما مركبا للملوك» .

قال «٢» : «وقد قيل في أشياء ثلاثة فضل ما بينها متفاوت: فضل المقاتل على المقاتل، وفضل الفيل على الفيل، وفضل العالم على العالم» .

وقال في كلام آخر «٣» : «فإن لم تنجع الحيلة فهو إذا القدر الذي لا يدفع، فإن القدر هو الذي يسلب الأسد قوته حتى يدخله التابوت، وهو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل المغتلم، وهو الذي يسلط الحواء على الحية ذات الحمة فينزع حمتها ويلعب بها.

قال «٤» : «ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذي يغنيه، وطمحت عيناه إلى ما فوق ذلك، ولم ينظر إلى ما يتخوف أمامه، كان مثله مثل الذباب الذي ليس يرضى بالشجر والرياحين حتى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل المغتلم، فيضربه بأذنه فيهلك» .

وقال «٥» : «فأقام الجمل مع الأسد حتى إذا كان ذات يوم توجه الأسد نحو الصيد، فلقيه فيل فقاتله قتالا شديدا، وأفلت الأسد مثقلا يسيل دما، قد جرحه الفيل بأنيابه، فكان لا يستطيع أن يطلب صيدا، فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياما لا يجدون ما يعيشون به من فضول الأسد» .

وقال «٦» : «وكيف يرجو إخوانك عندك وفاء وكرما وأنت قد صنعت بملكك الذي كرمك وشرفك ما صنعت، بل مثلك في ذلك كما قال التاجر: إن أرضا يأكل جرذانها مائة من من حديد، غير مستنكر أن

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٧/٧

تخطف بزاتها الفيلة» .

قال «٧» : «وقال الجرذ للغراب: أشد العداوة عداوة الجوهر. وعداوة الجوهر." (١)

"عداوتان، منها عداوة متجازية كعداوة الفيل والأسد، فإنه ربما قتل الفيل الأسد، وربما قتل الأسد الفيل، ومنها عداوة إنما ضررها من أحد الجانبين على الآخر كعداوة ما بيني وبين السنور، فإن العداوة بيننا ليست لضر مني عليه، ولكن لضر منه علي» .

وقال «١» : «إن الكريم إذا عثر لم يستعن إلا بالكريم، كالفيل إذا وحل لم يستخرجه إلا الفيلة» .

٢٠٧٣-[ضروب العداوات]

وسنذكر عداوة الشيطان للإنسان، والإنسان للشيطان. وهما عداوتان مختلفتان- وعداوة الله للكافر، وعداوة الكافر لله، وهاتان العداوتان غير تينك، وهما في أنفسهما مختلفتان، وهما والتي قبلها مخالفة لعداوة العقرب للإنسان، وعداوة العقرب مخالفة لعداوة الحية، وعداوة الإنسان لهما مخالفة لعداوة كل منهما للإنسان. وعداوة الذئب والأسد، والأسد والإنسان خلاف عداوة العقرب والحية، وعداوة النمر للأسد والأسد للنمر مخالفة لجميع ما وصفنا. ومسالمة الببر للأسد غير مسالمة الخنفساء والعقرب. وشأن الحيات والوزغ خلاف شأن الخنافس والعقارب.

وعداوة الإنسان خلاف عداوة ذلك كله. وابن عرس أشد عداوة للجرذان من السنور، وعداوة البعير للبعير، والبرذون للبرذون، والحمار للحمار شكل واحد. وعداوة الذئب خلاف ذلك. والشاة أشد فرقا منه منها من الأسد والنمر والببر، وهي أقوى عليها من الذئب. وفرق الدجاج من ابن آوى أشد من فرقها من الثعلب، والحمام أشد فرقا من الشاهين منه من الصقر والبازي.

٢٠٧٤-[أسباب عداوات الناس]

وأسباب عداوات الناس ضروب: منها المشاكلة في الصناعة، ومنها التقارب في الجوار، ومنها التقارب في النسب، والكثرة من أسباب التقاطع في العشيرة والقبيلة، والساكن عدو للمسكن، والفقير عدو للغني وكذلك الماشي والراكب، وكذلك الفحل والخصي، و «بغضاء السوق موصولة بالملوك» ، وكذلك [المعتق عن

(١) الحيوان الجاحظ ٥٨/٧

دبر] «٢» ، والموصى له بالمال الرغيب، وكذلك الوارث والموروث، ولجميع هذا تفسير ولكنه يطول.." (١)

"٢٠٧٥-[عداوات الحيوان]

وذكر صاحب المنطق عداوة الغراب للحمار، والنحويون ينشدون في ذلك قول الشاعر «١» : [من الرجز]

عاديتنا لا زلت في تباب ... عداوة الحمار للغراب

ولا أدري من أين وقع هذا إليهم.

وذكر أيضا عداوة البوم للغراب. وكذلك عصفور الشوك للحمار «٢» ، وفي هذا كلام كثير قد ذكرنا بعضه في أول كتابنا هذا من الحيوان.

٢٠٧٦-[رجع إلى الأمثال في كليلة ودمنة]

ثم رجعنا إلى الإخبار عن الأمثال.

قال»

: وأكيس الأقوام من لا يلتمس الأمر بالقتال ما وجد عن القتال مذهبا؛ فإن القتال إنما النفقة فيه من الأنفس، وسائر الأشياء إنما النفقة فيها من الأموال. فلا يكونن قتال البوم من رأيك، فإن من يراكل «٤» الفيل يراكل الحين.

قال «٥» : فأجابه الجرذ فقال: إنه رب عداوة باطنة ظاهرها صداقة، وهي أشد ضررا من العداوة الظاهرة، ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس «٦» .

قال «٧» : واعلم أن كثيرا من العدو لا يستطاع بالشدة والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة، كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الأهلي.

وقال «٨» : إن العشب كما رأيت في اللين والضعف، وقد يجمع منه الكثير فيصنع منه الحبل القوي الذي يوثق به الفيل المغتلم.." (٢)

"قال «١» : وقالوا: نريد أحب بنيك إليك، وأكرمهم عليك، ونريد كال الكاتب صاحب سرك، والسيف الذي لا يوجد مثله، والفيل الأبيض الذي لا تلحقه الخيل الذي هو مركبك في القتال. ونريد

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٩/٧

(٢) الحيوان الجاحظ ٦٠/٧

الفيلين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذكر.

٢٠٧٧-[الفيلة في الحروب]

وقد سمعنا في هذا الحديث والإخبار عن أيام القادسية ويوم جسر مهران، وقس الناطف، وجلولاء، ويوم نهاوند، بالفيل الأبقع، والفيل الأسود، والفيل الأبيض، والناس لم يروا بالعراق فيلا أوبر، ولا فيلا أشعر.

٢٠٧٨-[الفيلة المستأنسة]

والفيلة التي كانت مع الفرس، حكمها حكم الفيلة التي كانت عند أمير المؤمنين المنصور، وعند سائر الخلفاء من بعده، وكلها جرد مغضبة، ولم نلق أحدا رآها وحشية قبل أن تصير في القرى والمواضع التي يذكرها.

٢٠٧٩-[تبدل حال الحيوان إذا أخرج من موطنه]

وقد علمنا أن الطائر الصيود من الجوارح، لو أقام في بلاده مائة عام لم يحدث لمنسره زوائد، وعير العانة إذا أقام في غير بلاده احتاج إلى الأخذ من حافره، وإلى أن يختلف به إلى البيطار، والطائر الوحشي من هذه المغنيات والنوائح، لو أقام عندنا دهرا طويلا لم يصوت إذا أخذناه وقد كرز «٢» . وكذلك المزاوجة والتعشيش والتفريخ.

٢٠٨٠-[التكاثر بالفيلة]

قال: وكل ملك كان يصل إلى أن تكون عنده فيلة فإنه كان لا يدع الاستكثار منها والتجمل بها، والتهويل بمكانها عنده، ولا يدع ركوبها في الحروب، وفي الأعياد، وفي يوم الزينة.

٢٠٨١-[الفيل في الشعر]

وقد كانت عند حمير والتبابعة والمقاول والعباهلة من ملوكهم، وأبي اليكسوم من ملوك الحبشة، وعند ملوك سبأ، مقربة مكرمة. يدل على ذلك الأشعار المعروفة،." (١)

"والأخبار الصحيحة. ألا ترى أن الأعشى ذكر مأرب وملوك سبأ وسيل العرم، فقال «١» :

[من المتقارب]

ففي ذاك للمؤتسي أسوة ... ومأرب عفى عليها العرم

رخام بنته له حمير ... إذا جاء ماؤهم لم يرم «٢»

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦١/٧

فأروى الحروث وأعنابها ... على ساعة ماؤهم قد قسم

وطار الفيول وفيالها ... بتيهاء فيها سراب يطم «٣»

وكان الأقيبل القيني مع الحجاج يقاتل ابن الزبير، فلما رأى البيت يرمى بالمنجنيق أنشأ يقول «٤» : [من الطويل]

ولم أر جيشا غر بالحج قبلنا ... ولم أر جيشا مثلنا كلهم خرس

دلفنا لبيت الله نرمي ستوره ... بأحجارنا نهب الولائد للعرس

دلفنا لهم يوم الثلاثاء من منى ... بجيش كصدر الفيل ليس له رأس

فلما فزع وعاذ بقبر مروان، وكتب له عبد الملك كتابا إلى الحجاج يخبره فيه، وفوض الأمر إليه، قال «٥» : [من البسيط]

وقد علمت لو ان العلم ينفعني ... أن انطلاقي إلى الحجاج تغرير

مستحقبا صحفا تدمى طوابعها ... وفي الصحائف حيات مناكير

لئن رحلت إلى الحجاج معتذرا ... إني لأحمق من تخدي به العير

٢٠٨٢-[لسان الفيل]

وكل حيوان في الأرض ذو لسان فأصل لسانه إلى داخل، وطرفه إلى خارج؛ إلا الفيل، فإن طرف لسانه إلى داخل، وأصله إلى خارج «٦» .

وتقول الهند: إن لسان الفيل مقلوب، ولولا أنه مقلوب ثم لقن الكلام لتكلم.." (١)

"٢٠٨٣-[بعض خصائص الحيوان]

وكل سمك يكون في الماء العذب فإن له لسانا ودماغا، إلا ما كان منها في الماء الملح، فإنه ليس لسمك البحر لسان ولا دماغ «١» .

وكل شيء يأكل بالمضغ دون الابتلاع فإنه إنما يحرك فكه الأسفل، إلا التمساح فإنه إنما يحرك فكه الأعلى «٢» .

وكل ذي عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشية والأهلية، فإنما الأشفار لجفونها الأعالي إلا الإنسان، فإن الأشفار للأعالي والأسافل.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦٢/٧

وكل حيوان ذي صدر فإنه ضيق الصدر، إلا الإنسان فإنه واسع الصدر وليس لشيء من ذكورة جميع الحيوان وإناثها ثدي في صدره إلا الإنسان والفيل «٣» . وقال ابن مقبل «٤» : [من البسيط]

وليلة مثل ظهر الفيل غيرها ... طلس النجوم إذا اغبر الدياميم «٥»

٢٠٨٤-[ضخامة الفيل وظرفه]

والفيل أضخم الحيوان وهو مع ضخمه أملح وأظرف وأحكى وهو يفوق في ذلك كل خفيف الجسم، رشيق الطبيعة.

وإنما الحكاية من جميع الحيوان في الكلب والقرد والدب والشاة المكية.

وليس عند الببغاء إلا حكاية صور الأصوات، فصار مع غلظه وضخمه وفخامته أرشق مذهبا، وأدق ظرفا، وأظهر طربا. وهذا من أعجب العجب. وما ظنكم بعظم خلق ربما كان في نابيه أكثر من ثلاثمائة من «٦»

.

٢٠٨٥-[قول المتعصبين على الفيل]

فقال من يعارضهم: قد أجمعوا على أن أعظم الحيوان خلقا السمكة والسرطان.." (١)

"وحكوا عن عظم بعض الحيات، حتى ألحقوه بهما، وأكثروا في تعظيم شأن التنين؛ فليس لكم أن تدعوا للفيل ما ادعيتم.

٢٠٨٦-[رد صاحب الفيل على خصمه]

قال صاحب الهند والمعبر عن خصال الفيل «١» : أما الفيل وعلو سمكه، وعظم جفرته، واتساع صهوته، وطول خرطومه، وسعة أذنه، وكبر غرموله، مع خفة وطئه، وطول عمره، وثقل حمله، وقلة اكتراثه لما وضع على ظهره، فقد عاين ذلك من الجماعات من لا يستطيع الرد عليها إلا جاهل أو معاند. وأما ما ادعيتم من عظم الحية وأنا متى مسحنا طولها وثخنها، وأخذنا وزنها كانت أكثر من الفيل، فإنا لم نسمع هذا إلا في أحاديث الرقائين، وأكاذيب الحوائين، وتزيد البحريين.

وأما التنين فإنما سبيل الإيمان به سبيل الإيمان بعنقاء مغرب. وما رأيت مجلسا قط جرى فيه ذكر التنين إلا وهم ينكرونه ويكذبون المخبر عنه، إلا أنا في الفرط ربما رأينا بعض الشاميين يزعم أن التنين إعصار فيه نار يخرج من قبل البحر في بعض الزمان، فلا يمر بشيء إلا أحرقه، فسمى ذلك ناس «التنين» ، ثم جعلوه

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦٣/٧

في صورة حية.

وأما السرطان فلم نر أحدا قط ذكر أنه عاينه، فإن كنا إلى قول بعض البحريين نرجع، فقد زعم هؤلاء أنهم ربما قربوا إلى بعض جزائر البحر، وفيها الغياض والأودية واللخاقيق «٢» ، وأنهم في بعض ذلك أوقدوا نارا عظيمة، فلما وصلت إلى ظهر السرطان هاج بهم وبكل ما عليه من النبات، حتى لم ينج منهم إلا الشريد. وهذا الحديث قد طم على الخرافات والترهات «٣» وحديث الخلوة.

وأما السمك فلعمري إن السمكة التي يقال لها «البال» لفاحشة العظم. وقد عاينوا ذلك عيانا، وقتلوه يقينا. ولكن أحسبوا أن الشأن في البال على ما ذكرتم، فهل علمتم أن فيه من الحس والمعرفة، واللقن والحكاية، والطرب وحسن المواتاة وشدة القتال، والتمهد تحت الملوك، وغير ذلك من الخصال، كما وجدنا ذلك وأكثر منه في **الفيل**.." (١)

"وهل رغبت في صيده الملوك واحتالت له التجار، أو تمنى الظفر بأجزائه بعض الأطباء. وهل يصلح لدواء أو غذاء أو لبس، إنما غاية البحريين أن يسلموا من عبثه إن هجموا عليه نائما أو غافلا، حتى ينفر ويفزع وينبه بقرع العصا، واصطكاك الخشب.

وإنما قدمنا خصال **الفيل** على خصال الحيوان الذي في كفه ومنقاره الصنعة العجيبة، أو يكون فيه من طريف المعرفة، وغريب الحس، وثقوب البصر، أو بعض ما فيه من الجمال والحسن، ومن التفاريج ومن التحاسين، والوشي والتلاوين، بالتأليف العجيب، والتنضيد الغريب، أو بعض ما في حنجرته من الأصوات الملحنة، والمخارج الموزونة، والأغاني الداخلة في الإيقاع، الخارجة من سبيل الخطأ، مما يجمع الطرب والشجا، ومما يفوق النوائح ويروق كل مغن، حتى يضرب بحسن تخريجه وصفاء صوته وشجا مخرجه المثل، حتى يشبه به صوت المزمار والوتر.

وأما بعض ما يعرف بالمكر والحيل، والكيس والروغان، وبالفطنة وبالخديعة، والرفق والتكسب، والعلم بما يعيشه والحذر مما يعطبه، وتأتيه لذلك وحذقه به؛ وأما بعض ما يكون في طريق الثقافة يوم الثقافة والبصر بالمشاولة «١» ، والصبر على المطاولة، والعزم والروغان، والكر والجولان، ووضع تلك التدابير في مواضعها حتى لا ترد له طعنة ولا تخطئ له وثبة، وأما بعض ما يعرف بالنظر في العاقبة وبإحكام شأن المعيشة والأخذ لنفسه بالثقة، وبالتقدم في حال المهلة والادخار ليوم الحاجة، والأجناس التي تدخر لأنفسها

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦٤/٧

ليوم العجز عن الطلب والتكسب- فمثل الذرة، والنملة، والجرذ والفأرة، وكنحو العنكبوت والنحل.

فإذا كان ليس للفيل إلا عظمه وإن كان العظم قد يدخل في باب من أبواب المفاخرة، فلا ينبغي لأحد أن يناهد «٢» به الأبدان التي لها الخصال الشريفة، ويناضل به ذوات المفاخر العظيمة. فما ظنك ببدن قد جمع مع العظم من الخصال الشريفة ما يفني الطوامير الكثيرة، ويستغرق الأجلاد الواسعة. وقد علمت أن من جهل هذه السمكة بما يعيشها ويصلحها أنها شديدة الطلب والشهوة لأكل العنبر. والعنبر أقتل للبال من الدفلى للدواب، فإذا أصابوه ميتا استخرجوا من جوفه عنبرا كثيرا فاسدا.

وما فيه من النفع إلا أن دهنه يصلح لتمرين سفن البحريين.." (١)

"٢٠٨٧-[تعصب غانم الهندي على الفيل]

فسمعني غانم العبد يوما وأنا أحكي هذا الكلام، وكان من أموق «١» الناس وأرقعهم رقاعة، مع تيه شديد وعجب ورضا عن نفسه، وسخط على الناس. فمن حمقه أنه هندي وهو يتعصب على الفيل، فقال لي: ما تقول الهند في الحوت الذي يحمل الأرض، أليس أعم نفعا وأعلى أمرا؟ قلت له: يا هالك، إن مدار هذا الكلام إنما يقع على الأقسام الأربعة من بين جميع الحيوان المذكورة في الماء وفي الأرض وفي الهواء، كالذي ينساح من أجناس الحيات والديدان، وكالذي يمشي من الدواب والناس، وكالذي يطير من أحرار الطير وبغاثها وخشاشها وهمجها، وكالذي يعوم كالسمك وكل ما يعايش السمك.

فأما الحوت الذي تكون الأرض على ظهره فقد علمنا أن في الملائكة من هو أعظم من هذا الحوت مرارا. ولولا مكان من قد حضرنا لكان ممن لا يستأهل الجواب، وهذا مقدار معرفته.

٢٠٨٨-[قوة الفيل]

قالوا «٢» : والفيل أقوى من جميع الحيوان إن حمل الأثقال. ومن قوة عظمه وعصبه أنه يمر خلف القاعد مع عظم بدنه، فلا يشعر بوطئه، ولا يحس بممره لاحتمال بعض بدنه لبعض. وهذه أعجوبة أخرى.

٢٠٨٩-[طول مدة حمل الفيلة]

وليس في حوامل إناث الحيوان أطول مدة حبل من الفيل. والكركدن، فإنه مذكور في هذا الباب، والفيل يزيد عليه في قول بعضهم «٣» .

فأما الهند ففتنتهم بالكركدن أشد من فتنتهم بالفيل.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦٥/٧

فأما ما كان دون ذلك من أجناس الحيوان فأطولها حملا الحافر والخف، ولا يزيدان على السنة إلا أن تسحب الأنثى وتجر أياما. فأما الظلف فعلى ضربين، فما كان منها من البقر فإن مدة حملها وحمل النساء تسعة أشهر، وما كان من الغنم فإن حملها خمسة أشهر.

وقد ذكرنا حال أجناس الحيوان في ذلك فيما سلف من كتابنا هذا.." (١)

"٢٠٩٠-[صولة الفيل]

قالوا: والفيلة هولها في العين، فاحذر أن تتخذ ظهورها كالمناظر والمسالح والأرصاد.

وللفيل قتال وضرب بخرطومه، وخبط بقوائمه. وكانت الأكاسرة ربما قتلت الرجل بوطء الفيلة، وكانت قد دربت على ذلك وعلمته، فإذا ألقوا إليها الرجل تركت العلف وقصدت نحوه فداسته. ولذلك أنشد العباس بن يعقوب العامري، لناهض بن ثومة العامري قوله: [من الطويل]

أنا الشاعر الخطار من دون عامر ... وذو الضغم إذ بعض المحامين ناهش

بخبط كخبط الفيل حتى تركته ... أميما به مستدميات مقارش «١»

وأنشد الأصمعي وأبو عمرو لتميم بن مقبل «٢» : [من الطويل]

بني عامر ما تأمرون بشاعر ... تخير آيات الكتاب هجائيا

أأعفو كما يعفو الكريم فإنني ... أرى الشعب فيما بيننا متدانيا

أم اخبط خبط الفيل هامة رأسه ... بجرد فلا أبقي من الرأس باقيا «٣»

٢٠٩١-[بعض من رمي تحت أرجل الفيلة]

وكانت الأكاسرة- وهي الكسور «٤» - تؤدبها وتعودها وطء الناس وخبطهم إذا ألقي تحت قوائمها بعض أهل الجنايات، فكان ممن رمي به تحت أرجل الفيلة النعمان بن المنذر. وقال في ذلك الشاعر: [من الخفيف]

إن ذا التاج لا أبا لك أضحى ... وذرى بيته بجوز الفيول

إن كسرى عدا على الملك النعمان حتى سقاه أم البليل»

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦٦/٧

٢٠٩٢-[التخويف بالفيل]

وذكر الهيثم بن عدي، عن أبي يعقوب الثقفي، عن عبد الملك بن عمير قال:." (١)

"رأيت في ديوان معاوية بعد موته كتابا من ملك الصين فيه: «من ملك الصين الذي على مربطه ألف فيل، وبنيت داره بلبن الذهب والفضة، والذي تخدمه بنات ألف ملك، والذي له نهران يسقيان الألوة «١» . إلى معاوية» .

قالوا: ولما أراد كسرى قتل زيوشت المغني، لقتله فهلبذ المغني، وأمر أن يرمى به تحت الفيلة وقال: قتلت أحسن الناس غناء، وأجودهم إمتاعا للملك؛ حسدا له. فلما سحبوه نحو الفيلة التفت إلى كسرى وقال: إذا قتلت زيوشت المغني، وقد قتل زيوشت فهلبذ فمن يطربك؟ فقال كسرى: المدة التي بقيت لك هي التي أنطقتك، خلوا سبيله.

٢٠٩٣-[تأديب الهند الفيلة]

وقال صفوان بن صفوان الأنصاري، وكان عند داود بن يزيد بالمولتان: الهند تؤدب الفيلة بأنواع من التأديب، وبضروب من التقويم، فمنها آداب الحروب، حتى ربما ربطوا السيف الهذام «٢» الرغيب، الشديد المتن، الحديد الغرب، التام الطول، الطويل السيلان «٣» ، في طرف خرطوم الفيل، وعلموه كيف يضرب به قدما، يمينا وشمالا، وكيف يرفعه بخرطومه حتى يكون فوق رؤوس الفيالين القعود على ظهره.

٢٠٩٤-[شعر هارون في الفيل]

قال «٤» : وأنشدني هارون بن فلان «٥» المولى، مولى الأزد «٦» ، قصيدته التي ذكر فيها خروجه في الحرب إلى فيل في هذه الصفة، فمشى إليه، فلما كان حيث يناله السيف وثب وثبة أعجله بها عن الضربة، ولصق بصدر الفيل، وتعلق بأصول نابيه- وهما عندهم قرناه- فجال به الفيل جولة كاد يحطمه من شدة ما جال به، وكان رجلا شديد الخلق، رابط الجأش. قال: فاعتمدت وأنا في تلك الحال- وأصول الأنياب جوف- فانقلعا من أصلهما، وأدبر الفيل، وصار القرنان في يدي، وكانت الهزيمة وغنم المسلمون غنائم كثيرة. وقلت في ذلك: [من الطويل]." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦٧/٧

(٢) الحيوان الجاحظ ٦٨/٧

"مشيت إليه وادعا متمهلا ... وقد وصلوا خرطومه بحسام

فقلت لنفسي: إنه الفيل ضارب ... بأبيض من ماء الحديد هذام «١»

فإن تنكلي عنه فعذرك واضح ... لدى كل منخوب الفؤاد عبام «٢»

وعند شجاع القوم أكلف فاحم ... كظلمة ليل جللت بقتام

[ولما رأيت السيف في رأس هضبة ... كما لاح برق من خلال غمام] «٣»

فناهشته حتى لصقت بصدره ... فلما هوى لازمت أي لزام

وعذت بقرنيه أريد لبانه ... وذلك من عادات كل محامي

فجال وهجيراه صوت مخضرم ... وأبت بقرني يذبل وشمام «٤»

وقال هارون: [من الطويل]

ولما أتاني أنهم يعقدونه ... بقائم سيف فاضل الطول والعرض

مررت ولم أحفل بذلك منهم ... إذا كان أنف الفيل في عفر الأرض

وحين رأيت السيف يهتز قائما ... ويلمع لمع الصبح بالبلد المفضي «٥»

وصار كمخراق بكف حزور ... يصرفه في الرفع طورا وفي الخفض «٦»

فأقبل يفري كل شيء سما له ... وصرت كأني فوق مزلقة دحض «٧»

وأهوي لجاري فاغتنمت ذهوله ... فلاذ بقرنيه أخو ثقة محض

فجال وجال القرن في كف ماجد ... كثير مراس الحرب مجتنب الخفض

فطاح وولى هاربا لا يهيده ... رطانة هندي برفع ولا خفض «٨»." (١)

"٢٠٩٥-[نابا **الفيل]**

والهند تزعم أن نابي الفيل يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنك ويخرجا أعقفين «١» ، وإنما يجعلهما نابين من لا يفهم الأمور. قالوا: والدليل على ذلك أن لهما أصلين في موضع مخارج القرون، يوجد ذلك عند سلخ جلده، ولأن القرن لا يكون إلا مصمت الأعلى مجوف الأسفل وكذلك صفة هذا الذي يسميه من لا علم له نابا. ومع ذلك إنا لا نجد الفيل يعض كعض الأسد للأكل، ولا كعض الجمل الصؤول للقتل، ولا كعض الأفعى لإخراج السم، ولا تراه يصنع به ويستعمله إلا على شبيه بما تستعمله ذوات القرن عند

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦٩/٧

القتال والغضب.
فقال لهم بعض من يرد عليهم: أما قولكم إن القرن لا يكون إلا مجوف الأصل، فهذا قرن الأيل مصمت من أوله إلى آخره، وهو ينصل في كل سنة، فإذا نبت حديثا لم يظهر حتى يستحكم في يبسه وصلابته. وإذا علم أنه قد بلغ ذلك ظهر. وأكثر القرون الجوف يكون في أجوافها قرون، وليس ذلك لقرن الفيل.
قالوا: ولم نجد هذا القرن في لون القرون، ووجدناه بسائر أسنانه وأضراسه أشبه، للبياض واليبس. وليس كذلك صفة القرون.
وتقول الهند: فم الأيل صغير، وهو أفقم، ولا يجوز أن يكون مثل ذلك اللحي والفك ينبت فيه ومنه نابان يكون فيهما ثلاثمائة من «٢» . وقد رأيت قرونا كثيرة الأجناس، بيضا، وبرشا، وصهبا. وهذه أيضا من أعاجيب الفيل.
وقرن الكركدن أغلظ من مقدار ذراع، وليس طوله على قدر غلظه، وهو أصلب وأكرم من قرني الفيل.
٢٠٩٦-[حجم أعضاء التناسل لدى الحيوان]
ويقال: إن أكبر أيور الحيوان أير الفيل، وأصغرها قضيب الظبي «٣» . وقضيب البط لا يذكر مع هذه الأشكال، وليس شيء على قدره ومقدار جسمه أعظم أيرا من البغل.
وقد علمنا أن للضب أيرين، وكذلك الحرذون والسقنقور، وعرفنا مقدار ذلك، ولكنه لا يدخل في هذا الباب لضعف لا يخفى.." (١)
"٢٠٩٧-[عجائب خرطوم الفيل]
ولو لم يكن من أعاجيب الفيل إلا خرطومه الذي هو أنفه وهو يده، وبه يوصل الطعام والشراب إلى جوفه، وهو شيء بين الغضروف واللحم والعصب، وبه يقاتل ويضرب، ومنه يصيح، وليس صياحه في مقدار جرم بدنه. ويضرب به الأرض ويرفعه في السماء ويصرفه كيف شاء، وهو مقتل من مقاتله. والهند تربط في طرفه سيفا شديد المتن فيقاتل به، مع ما في ذلك من التهويل على من عاينه «١» .
٢٠٩٨-[سباحة الفيل والجاموس والبعير]
وهو مع عظم بدنه جيد السباحة إلا أنه يخرج خرطومه ويرفعه في الهواء صعدا لأنه أنفه. ألا ترى أن الجاموس يغيب جميع بدنه في الماء إلا منخريه.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧٠/٧

والبعير قبيح السباحة: لأنه لا يسبح إلا على جنبه فهو في ذلك بطيء ثقيل.

والبعير مما يخاير «٢» بينه وبين الفيل، فلذلك ذكرناه.

٢٠٩٩-[ما يغرق من الحيوان]

وقد علمنا أن الإنسان يغرق في الماء ما لم يتعلم السباحة. فأما الفرس الأعسر والقرد فإنهما يغرقان البتة، والعقرب تقوم وسط الماء لا طافية ولا لازقة بالأرض.

٢١٠٠-[أشراف السباع وساداتها]

وأشراف السباع وساداتها وكبارها ورؤساؤها ثلاثة: الكركدن والفيل والجاموس. قال: ولعل بعض من اعتاد الاعتراض على الكتب يقول: وأين الخيل والإبل، وفيها من خصال الشرف والمنافع والغناء في السفر والحضر، وفي الحرب والسلم، وفي الزينة والبهاء، وفي العدة والعتاد، ما ليس عند الكركدن ولا عند الفيل ولا عند الجاموس.

قال القوم: ليس إلى هذا الباب ذهبنا، ولا إليه قصدنا، ولا ذلك الباب مما يجوز أن ندخله في هذا الباب. ولكنا ذهبنا إلى المحاماة والدفع عن الأنفس والقتال دون الأولاد، وإلى الامتناع من الأضداد بالحيلة اللطيفة، وبالبطش الشديد، وليس عند الخيل والإبل إذا صافت الأسد والنمور والببور، ما عند الجاموس والفيل. فأما الكركدن فإن كل شيء من الحيوان يقصر عن غايته التقصير الفاحش.." (١)

"فيومئذ قامت شماط بقدرها ... وقام عسيب القفر يثني ويخطب

وقام صبي دردق في قماطه ... عليهم بأصناف اللسانين معرب «١»

فثبت زرارة بن أعين قول أبي السري في العنقاء، وزادنا تثبيت الكبريت الأحمر ولا أعلم في الأرض قوما يثبتون العنقاء على الحقيقة غيرهم.

٢١٠٣-[الكركدن]

قال: والذي يثبت الكركدن أن داود النبي صلى الله عليه وسلم ذكره في الزبور حتى سماه.

وقد ذكره صاحب المنطق (في كتاب الحيوان) إلا أنه سماه بالحمار الهندي، وجعل له قرنا واحدا في وسط جبهته. وكذلك أجمع عليه أهل الهند كبيرهم وصغيرهم.

وإنما صار الشك يعرض في أمره من قبل أن الأنثى منها تكون نزورا «٢» ، وأيام حملها ليست بأقل من

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٧١

أيام حمل الفيلة «٣» فلذلك قل عدد هذا الجنس.

وتزعم الهند أن الكركدن إذا كانت ببلاد، لم يرع شيء من الحيوان شيئا من أكناف تلك البلاد، حتى يكون بينه وبينها مائة فرسخ من جميع جهات الأرض؛ هيبة له، وخضوعا له، وهربا منه.

وقد قالوا في ولدها وهو في بطنها قولا لولا أنه ظاهر على ألسنة الهند لكان أكثر الناس، بل كثير من العلماء، يدخلونه في باب الخرافة وذلك أنهم يزعمون أن أيام حملها إذا كادت أن تتم، وإذا نضجت وسحبت وجرت وجرى وقت الولادة، فربما أخرج الولد رأسه من ظبيتها «٤» فأكل من أطراف الشجر، فإذا شبع أدخل رأسه، حتى إذا تمت أيامه وضاق به مكانه وأنكرته الرحم، وضعته مطيقا قويا على الكسب والحضر والدفع عن نفسه، بل لا يعرض له شيء من الحيوان والسباع.

٢١٠٤-[ولد الفيل]

وقد زعم صاحب المنطق أن ولد الفيل يخرج من بطن أمه نابت الأسنان، لطول لبثه في بطنها.." [١]

"وهذا جائز في ولد الفيل غير منكر، لأن جماعة نساء معروفات الآباء والأبناء، قد ولدن أولادهن ولهم أسنان نابتة. كالذي رووا في شأن مالك بن أنس، ومحمد بن عجلان وغيرهما.

٢١٠٥-[أعاجيب الولادة]

وقد زعم ناس من أهل البصرة أن خاقان بن عبد الله بن الأهتم استوفى في بطن أمه ثلاثة عشر شهرا، وقد مدح بذلك وهجي، وليس هذا بالمستنكر، وإن كنت لم أر قط قابلة تقر بشيء من هذا الباب وكذلك الأطباء. وقد رووه كما علمت، ولكن العجب كل العجب ما ذكروا من إخراج ولد الكركدن رأسه واعتلافه، ثم إدخاله رأسه بعد الشبع والبطنة. ولا بد- أكرمك الله- لما أكل من نجو فإن كان بقي ذلك الولد يأكل ولا يروث فهذا عجب، وإن كان يروث في جوفها فهذا أعجب.

وإنما جعلناه يروث حيث سموه حمارا، وهذا مما ينبغي لنا أن نذكره في خصال الحمير إذا بلغنا ذلك الباب.

ولا أقر أن الولد يخرج رأسه من فرج أمه حتى يأكل شبعه، ثم يدخل رأسه من فرج أمه، ولست أراه محالا ولا ممتنعا في القدرة، ولا ممتنعا في الطبيعة، وأرى جوازه موهوما غير مستحيل، إلا أن قلبي ليس يقبله، وليس في كونه ظلم ولا عبث ولا خطأ ولا تقصير في شيء من الصفات المحمودة، ولم نجد القرآن ينكره،

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٧٣

ولا الإجماع يدفعه، والله هو القادر دون خلقه، ولست أبت بإنكاره وإن كان قلبي شديد الميل إلى رده، وهذا مما لا يعلمه الناس بالقياس، ولا يعرفونه إلا بالعيان الظاهر، والخبر المتظاهر.

٢١٠٦-[عجيبة الدساس]

وليس الخبر عنه مثل الخبر عن الدساس التي تلد ولا تبيض. وإنما أنكر ذلك ناس لأن الدساس ليس بأشرف كالخفاش، بل هو من الممسوح «١» كسائر الطير.

وكاللواتي يبضن من ذوات الأربع من المائيات والأرضيات.

٢١٠٧-[عجائب الدلفين واللخم والكوسج]

وليس الخبر عن الكركدن أيضا كالخبر عن الدلفين أنها تلد وعن اللخم مثل ذلك، وأن الكوسج يتولد من بين اللخم وسمكة أخرى، وهذا كله غير مستحيل، إلا." (١)

"أني لا أجعل الشيء الجائز كونه كالشيء الذي تثبته الأدلة ويخرجه البرهان من باب الإنكار. والواجب في مثل هذا الوقف، وإن كان القلب إلى نقض ذلك أميل.

والميل أيضا يكون في طبقات، وكذلك الظن قد يكون داخلا في باب الإيجاب، وربما قصر عن ذلك شيئا.

٢١٠٨-[زعم ولادة السمك]

وقد زعم ناس من أهل العلم أن السمك كله يلد، وأنهم إنما سموا ذلك الحب بيضا على التشبيه والتمثيل، لأنه لا قشر له هناك ولا مح ولا بياض، ولا غرقئ «١» ؛ وأن السمكة لا تخرج أبدا إلا فارغة البطن أو محشوة، ولم نر الحب الذي بقرب مبالها أعظم، ولم نرها ألقت إحدى تلك الطوامير «٢» وبقت الأخرى. وإنما غلط في ذلك ناس من قبل ضيق السبيل والمسلك، فظنوا أن خرق المبال يضيق عن عظم ذلك الجسم العظيم المجتمع من الحب الصغار. قالوا: فإنما تخرج تلك الطوامير واحدا فواحدا، وأولا فأولا.

٢١٠٩-[عجائب الولادة]

وما ذلك بأعجب ولا أضيق من حياء الناقة والسقب والحائل يخرجان منه خروجا سلسا إذا أذن الله بذلك. وكذلك المرأة وولدها، **والفيلة**، والجاموسة، والرمكة، والحجر والأتان، والشاة في ذلك كله مثل السمكة.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٧٤

وقالوا: لا بد للبيض من حضن، ومتى حضنت السمكة بيضها لا تلتفت إلى بيضها وفراخها.

٢١١٠-[زعم العوام في الكركدن]

والعوام تضرب المثل في الشدة والقوة بالكركدن، وتزعم أنه ربما شطح **الفيل** فرفعه بقرنه الواتد في وسط جبهته، فلا يشعر بمكانه ولا يحس به حتى ينقطع على الأيام» .

وهذا القول بالخرافة أشبه.

٢١١١-[مزاعم في ضروب من الحيوان]

وأعجب من القول في ولد الكركدن ما يخبرنا به ناس من أهل النظر والطب." (١)

"وأصناف سمك البحر، وأجناس ما يعايش سمك البحر لا تكون في أوساط اللجج وفي تلك الأهواز العظام، مثل لجة سقوطرا، وهركند، وصنجى. وكذلك أهل البحر إذا عاينوا نباتا أو طيرا، أيقنوا بقرب الأرض إلا أن ذلك القريب قد سمي بعيدا، فلذلك سلم ذلك الغريق بمعونة ذلك الحيوان «١» .

٢١١٥-[مسالمة الأسد للببر ومعاداته للنمر]

فأما الأسد والببر فمتسالمان، وأما الأسد والنمر فمتعاديان والظفر بينهما سجال. والنمر وإن كان ينتصف من الأسد فإن قوته على سائر الحيوان دون قوته على الأسد، وبدنه في ذلك أحمل لوقع السلاح، ولا يعرض له الببر، وقد أيقنا أنهما ليسا من بابته، فلا يعرض لهما، لسلامة ناحيته وقلة شره، وهما لا يعرضان له لما يعرفان من أنفسهما من العجز عنه. وأما البهائم الثلاث اللواتي ذكرناها فإنها فوق الأسد والنمر.

والببر هندي أيضا مثل **الفيل**، وأما الكركدن فلا يقوم له سبع ولا بهيمة، ولا يطمع فيه، ولا يروم ذلك منه.

٢١١٦-[مبارزة الجاموس للأسد]

وأما الجاموس والأسد فخبرني محمد بن عبد الملك أن أمير المؤمنين المعتصم بالله، أبرز للأسد جاموسين فغلباه، ثم أبرز له جاموسة ومعها ولدها فغلبته وحمت ولدها منه، وحصنته، ثم أبرز له جاموسا وحده فواثبه ثم أدبر عنه «٢» .

هذا وفي طبع الأسد الجرأة عليه، لأنه يعد الجاموس من طعامه، والجاموس يعرف نفسه بذلك، فمع الأسد من الجرأة عليه على حسب ذلك ومع الجاموس من الخوف على قدر ذلك. وفي معرفة الأسد أن له في

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٧٥

فمه من السلاح ما ليس لشيء سواه، وفي معرفة الجاموس بعدم ذلك السلاح منه، فمعه من الجرأة عليه بمقدار ما مع الجاموس من التهيب له، فيعلم أنه قد أعطي في كفه ومخالبه من السلاح ما ليس لشيء سواه. ويعلم الأسد والجاموس جميعا أنه ليس في فم الجاموس ويده وظلفه من السلاح قليل ولا كثير، فمع الأسد من الجراءة عليه، ومع الجاموس من الخوف منه، على حسب ذلك. ويعلم الأسد أن بدنه يموج في إهابه، وأن له من القوة على." (١)

"الوثوب والضبر «١» والحضر، والطلب والهرب، ما ليس في الجاموس، بل ليس ذلك عند الفهد في وثوبه، ولا عند السمع في سرعة مره، ولا عند الأرنب في صعداء ولا هبوط، ولا يبلغه نقزان الظبي إذا جمع جراميزه، ولا ركض الخيل العتاق إذا أجيد إضمارها. والجاموس يعرف كل ذلك منه.

ومع الجاموس من النكوص عنه بقدر ما مع الأسد من الإقدام عليه، ويعلم أنه ليس له إلا قرنه وأن قرنه ليس في حدة قرون بقر الوحش، فضلا عن حدة أطراف مخالب الأسد وأنيابه وأن قرنه مبتذل، لا يصان عن شيء. ومخالب الأسد في أكمام وصوان «٢» .

وإذا قوي الجاموس مع هذه الأسباب المجبنة على الأسد مع تلك الأسباب المشجعة حتى يقتله أو يعرد «٣» عنه، كان قد تقدمه تقدما فاحشا، وقد علاه علوا ظاهرا. فلذلك قدمنا الجاموس وهو بهيمة، وقدمنا رؤساء البهائم على رؤساء السباع.

هذا سوى ما فيها من المرافق والمنافع والمعاون.

والجاموس أجزع خلق الله من عض جرجسة «٤» وبعوضة، وأشده هربا منهما إلى الماء. وهو يمشي إلى الأسد رخي البال، رابط الجأش، ثابت الجنان. فأما **الفيل** فلم يولد الناس عليه وعلى الكركدن ما ولدوا من إفراط القوة والنجدة والشهامة، إلا والأمر بينهما متقارب عندهم.

٢١١٧-[مغالبة **الفيل** للأسد]

والهند أصحاب الببور والفيول، كما أن النوبة أصحاب الزرافات دون غيرهم من الأمم. وأهل غانة إنما صار لباسهم جلود النمور لكثرة النمور بها. إلا أنها على حال موجودة في كثير من البلدان.

وقد ذكروا بأجمعهم قوة **الفيل** الوحشي على الأسد، وقالوا في **الفيلة** الأهلية إذا لقيت عندنا بالعراق الأسد وجمعنا بينهما. قالوا: أما واحدة فإن ذكور **الفيلة** لا تكاد تعيش عندكم، وأنيابها التي هي أكبر سلاحها لا

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٧٧

تنبت في بلادكم، ولا تعظم ولا تزيد على ما كانت عليه ما أقامت في أرضكم، وهي أيضا لا تتناتج عندكم، وذلك." (١)

"من شدة مخالفة البلدة لطبائعها ونقضها لقواها. وإنما أسرع إليها الموت عندكم للذي يعتريها من الآفات والأعراض في دوركم، فاجتمعت عليها خصال، أول ذلك أنها مع الوحش وفي صميم بلادها أجرأ وأقوى، وأشهم نفسا وأمضى، فلما اصطدناها بالحيل، وصيرناها مقصورة أهلية بعد أن كانت وحشية وفي غير غذائها، لأنها كانت تشرب إذا احتاجت، وتأكل إذا احتاجت وتأخذ من ذلك على مقادير ما تعرف من موقع الحاجة، فلما صارت إلى قيام العبيد عليها، والأجراء بشأنها، والوكلاء بما يصلحها دخل ذلك من النقض والخور، والخطأ والتقصير، على حسب ما تجد في سائر الأشياء، ثم لم نرض بذلك حتى نقلناها من تلك البلدة على إنكارها لتلك اللدة، فصيرناها إلى الضد بعد أن كانت في الخلاف.

وقد علمنا أن سبيلها سبيل سائر الحيوان، فإن الإبل تموت ببلاد الروم وتهلك وتسوء حالها، والعقارب تموت في مدينة حمص «١» ، والتماسيح تموت إن نقلت إلى دجلة والفرات، والناس يصيبهم الجلاء فيموتون ويتهافتون. وقد علمنا أن الزنج إذا أخرجوا من بلادهم فما يحصل بالبصرة عندنا منهم إلا اليسير. وكذلك لو نقلوا إليكم بزر الفلفل والساج والصندل والعود، وجميع تلك الأهضام «٢» ، فما امتناع نبات العاج ببلادكم إلا كامتناع نبات الآبنوس، وإن كان ينبت في حيوان والآخر في أرض.

فلا يفتخرن مفتخر في الأسد في هذه البلدة إذا قاوم **الفيل**. والأسد هاهنا في بلاده وفي الموضع الذي تتوفر أموره عليه، لأن أسد العراق هي الغاية، وأقواها أسد السواد ثم أسد الكوفة. ولأن **الفيلة** عندكم أيضا ترى عندكم السنانير، وقد جعل الله في طبع **الفيل** الهرب من السنور والوحشة منه، كما أن بعض شجعانكم يمشي إلى الأسد، ويقبض على الثعبان، ولا يستطيع النظر إلى الفأر والجرذان، حتى يهرب منها كل الهرب، ويعتريه من النفضة واصفرار اللون ما لا يعتري المصبور على السيف وهو يلاحظ بـريقه عند قفاه «٣» .

٢١١٨-[خوف عبد الله بن خازم من الجرذ]

وذكر علي بن محمد السميري قال «٤» : بينما عبد الله بن خازم السلمي عند عبيد." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٧٨

(٢) الحيوان الجاحظ ٧/٧٩

"الله بن زياد، إذ أدخل على عبد الله جرذ أبيض ليعجب منه، فأقبل عبيد الله على عبد الله فقال: هل رأيت يا أبا صالح أعجب من هذا الجرذ قط؟ وإذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ، واصفر حتى صار كأنه جرادة ذكر، فقال عبيد الله: أبو صالح يعصي الرحمن، ويتهاون بالشيطان، ويقبض على الثعبان، ويمشي إلى الأسد، ويلقى الرماح بوجهه، وقد اعتراه من جرذ ما ترون؟! أشهد أن الله على كل شيء قدير.

٢١١٩-[خوف الفيل من السنور]

وإذا عاين الفيل الأسد رأى فيه شبه السنور، فيظن أنه سنور عظيم فلا يبلغ منه مقدار تلك المناسبة، وذلك الشبه، ومقدار ذلك الظن ما يبلغ رؤية السنور نفسه.

وليس هربه منه من جهة أنه طعام له، وأنه إن ساوره خافه على نفسه، وإن كان في المعنى يرجع إلى أنه طعام لصغار السباع وكبارها. وهل قتل أسد قط فيلا، ومتى أكله؟! وإنه مع ذلك لربما ركله الركلة، فإما أن يقتله، وإما أن يذهب عنه هاربا في الأرض، وإما أن يجليه.

وأية حجة على الفيل في أن يرى سنورا فينفر منه؟! فالأسد يشار إليه بشعلة من نار، أو يضرب له بالطست فيهرب منه، فإنما هذا كنحو تفزع الفرس من كل شيء يراه في الماء وهو عطشان فيأباه.

٢١٢٠-[حب الفرس للماء الكدر]

ويزعم «١» ناس من أصحاب الخيل أن الفرس ليس يضرب بيديه في الماء الصافي ليثوره، لأن الماء الكدر أحب إليه، وما هو إلا كالثور الذي يحب الصافي ويختاره، ولكنه إذا وقف على الماء الصافي رأى فيه ظله وظل غيره من الأشخاص، فيفزعه ذلك، فلمعرفته بأن الماء الكدر لا تتصور فيه الصور يضرب بيديه. هذا قول هؤلاء. وأما صاحب المنطق وغيره ممن يدعي معرفة شأن الحيوان فإنه يزعم أن الفرس بالماء الكدر أشد عجبا منه بالماء الصافي، كما أن الإبل لا يعجبها الماء إلا أن يكون غليظا، وذلك هو الماء النمير عندهم. وإنما تصلح الإبل عندهم على الماء الذي تصلح عليه الخيل.

1212-[التداوي بأضراس خيل الماء وأعفاجها]

ويزعم من أقام ببلاد السودان أن الذين يسكنون شاطئ النيل من الحبشة." (١)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٨٠/٧

"والنوبة، أنهم يشربون الماء الكدر، ويأكلون السمك النيء فيعتريهم طحال شديد «١» ، فإذا شدوا على بطونهم ضرسا من أضراس خيل الماء وجدوه صالحا لبعض ما يعرض من ذلك. ويزعمون أن أعفاج هذا الفرس تبرئ من الصرع الذي يكون في الأهلة.

٢١٢٢-[دفاع صاحب الأسد]

وقال بعض من ينصر الأسد: إن الأسد في الهند أضعف، بل هي ضعيفة جدا، والفيل في بلادهم أقوى، والوحشي منها أجرأ، والمغتلم لا يقوم له إلا الكركدن؛ وإنه ليهجم عليه فيحجم عنه حتى تذهب عنه سكرة الغلمة، فيرجع إلى معرفة حال الكركدن فلا يطور طواره «٢» ، ولا يحل بأداني أرضه.

وأما الفيل فإذا كان غير هائج والأسد في غير أيام هياجه ثم يكون الأسد عراقيا ويكون سواديا ويكون من أجمة أبزيقيا فإن الفيل لا يقوم له.

٢١٢٣-[قول صاحب الفيل]

وقال صاحب الفيل: الفيل لا يعاين أسدا أبزيقيا حتى تفسخه البلدة، وتهدمه الوحشة، ويمرضه الغذاء، ويفسده الماء. وهو لا يصل إلى ذلك المكان حتى يجمع بينه وبين ذلك الأسد، وحتى يسمع تجاوب السنانير وتضاغيها «٣» - وهو أسمع من قراد- فيغب «٤» ذلك في صدره، وتتزايد تلك الوحشة في نفسه، فمتى رأى أسدا قائما فربما دعته الوحشة منه، والبغض المجعول فيه، إلى الصدود والذهاب عنه.

فيظن كثير من الناس أن ذهابه هرب، وأن صدوده جبن، وإنما هو من الوحشة منه، والكراهة لمنظرته. وربما اضطره الأسد بخرقه حتى ينقض حلمه، ويغلب وقاره، فيخبطه خبطة لا يفلح بعدها أبدا.

٢١٢٤-[فخر صاحب فرس الماء]

قال صاحب الفرس: زعمتم أن الأسد في الأرض كالعقاب في الهواء، وكالتمساح في الماء، وأن تمساحا وأسدا اعتلجا على شريعة فقتل كل واحد منهما." (١)

"والأرضة فيأكلها، ويأكل اللحم، والدجاج تأكل اللحم والديدان، وتحسو الدم وتلقط الحب. والغراب لا يدع شيئا إلا أكله.

وما خرج من حد المشترك وهو كنحو الذئب والضبع، وكنحو الشاهين والصقر، فإن هذه وأشباهها لا تعرف إلا اللحم. والحمام وضروب من الطير لا تعرف إلا الحب والنبات. والمشترك أجمع مما هو غير مشترك.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٨١/٧

والسمكة تأكل الطين والنبات، وتأكل الجيف التي تصيب في الماء، وتصاد بضروب من الحيوان تجعل لها في الشصوص «١» ، ثم ينصبون لكل ضرب من السمك بضرب من الطعم.

والجري يأكل الجرذان ويصيدها، وهو آكل لها من السنانير والحيات والكلاب السلوقية، ويأكل الجري جميع جيف الموتى. والسمك يأكل السمك ويأكل من كل حب ونبات يسقط في الماء.

وإن استفهم مستفهم، أو اعترض معترض فقال: وكيف يأكل الجري الجرذان، والجرذان أرضية بيوتية، والجري مائي؟ قيل له: يخبرنا جميع من يبيت في السفن وفي المشارع، في فيض البصرة عندنا، أن جرذان الأنابير «٢» تخرج أرسالا بالليل كأنها بنات عرس، والجري قد كمن لهن وهو فاتح فاه، فإذا دنا الجرذ من الماء فعب فيه التهمه ليس دون ذلك شيء، بشجر فم واسع»

يدخل في مثله الضب الهرم. وإنما يضع بخطمه على الشريعة.

وسنذكر شيئا من الطرف والحكم والأشعار، إذ كنا قد ذكرنا من الكلام في الحيوان صدرا صالحا، وأبوابا جامعة، ثم نعود في ذكر الفيل إن شاء الله، والله الموفق.

٢١٢٧-[شيء من الطرف والحكم والأشعار]

قال الشاعر «٤» : [من الطويل]

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا ... مع الغيث ما نلقى ومن هو غالب." (١)

"بأعيانهم هم الذين زعموا أن النمر الأنثى تضع في مشيمة واحدة جروا وفي عنقه أفعى قد تطوقت به، وإذا لم يأتنا في تحقيق هذه الأخبار شعر شائع، أو خبر مستفيض، لم نلتفت لفته، وقد أقررنا أن للسقنقور أيرين، وكذلك الحرذون والضب، حين وجدناه ظاهرا على ألسنة الشعراء وحكاية الأطباء.

٢١٢٩-[خرطوم الفيل]

والخرطوم للفيل هو أنفه، ويقوم مقام يده ومقام عنقه «١» ، والخرق الذي هو فيه لا ينفذ، وإنما هو وعاء إذا ملأه الفيل من طعام أو ماء أولجه في فيه، لأنه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى. وإنما صار ولد البختي من البختية جزور لحم لقصر عنقه، ولعجزه عن تناول الماء والمرعى.

٢١٣٠-[خرطوم البعوضة]

وللبعوضة خرطوم، وهي تشبه بالفيل إلا أن خرطومها أجوف فإذا طعن به في جوف الإنسان والبهيمة

---

(١) الحيوان الجاحظ ٨٥/٧

فاستقى به الدم من جوفه قذفت به إلى جوفها، فهو لها كالبلعوم والحلقوم.

وللذبابة خرطوم تخرجه إذا أرادت الدم، وتدخله إذا رويت. فأما من سمى خطم الخنزير والكلب والذئب خرطوما فإنما ذلك على التشبيه. وكذلك يقولون لكل طويل [الخطم] «٢» قصير اللحيين.

وقد يقال للخطم خرطوم على قوله: سنسمه على الخرطوم

«٣» .

وأنشدنا ابن الأعرابي لفتى من بني عامر: [من البسيط]

ولا أقوم على شيخي فأشتمه ... ولا أمر على تلك الخراطيم

جعل سادة عشيرته في النادي والمجالس كالخراطيم والمقاديم والهوادي، وعلى ذلك قالوا: بنو فلان أنف بني فلان ورؤوسهم وخراطيمهم، ومعنى العامري الذي ذهب إليه في شعره كأنه عظم المشيخة أن يمر بهم، وقد قال الشاعر «٤» : [من الوافر]

هم الأنف المقدم والسنام." (١)

"والفيل والببر، والطاوس والببغا، والدجاج السندي، والكركدن، مما خص الله به الهند. وقد عدد ذلك مطيع بن إياس، حين خاطب جارية له كانت تسمى «روقة» ، فقال «١» : [من الخفيف]

روق أي روق كيف فيك أقول ... سادسنا دوني وأرمائيل «٢»

وبعيد من بينه حيثما كا ... ن وبين الحبيب قنابيل «٣»

روق يا روق لو ترين محلي ... ببلاد معروفها مجهول

ببلاد بها تبيض الطواوى ... س وفيها يزاوج الزنديبل

وبها الببغاء والصفر والعو ... د له في ذرى الأراك مقيل «٤»

والخموع العرجاء والأيل الأق ... رن والليث في الغياض النسول «٥»

وقال أبو الأصلع الهندي، يفخر بالهند وما أخرجت بلاد الهند: [من الهزج]

لقد يعذلني صحبي ... وما ذلك بالأمثل

وفي مدحتي الهند ... وسهم الهند في المقتل

وفيه الساج والعاج ... وفيه الفيل والدغفل

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٠٣/٧

وإن التوتيا فيه ... كمثل الجبل الأطول

وفيه الدارصيني ... وفيه ينبت الفلفل

والمتشابه عندهم من الحيوان الفيل، والخنزير، والبعوضة، والجاموس. وقال رؤبة «٦» : [من الرجز]

ليث يدق الأسد الهموسا ... والأقهبين الفيل والجاموسا «٧»." (١)

"٢١٣١-[هجاء أبي الطروق لامرأته]

ولما هجا أبو الطروق الضبي امرأته، وكان اسمها شغفر بالقبح والشناعة فقال «١» : [من الرجز]

جاموسة وفيلة وخنزر ... وكلهن في الجمال شغفر

جعل الخنزير خنزرا، فجمعها كما ترى للتشابه. وقال الآخر: [من الطويل]

كأن الذي يبدو لنا من لثامها ... جحافل عير أو مشافر فيل

٢١٣٢-[شعر في الفيل]

والفيل يوصف بالفقم، ولذلك قال الأعرابي: [من الرجز]

قد قادني أصحبي المعمم ... ولم أكن أخدع فيما أعلم «٢»

إذ صفق الباب العريض الأعظم ... وأدني الفيل لنا وترجموا

وقيل إن الفيل فيل مرجم ... خبعثن قد تم منه المحزم «٣»

أجرد أعلى الجسم منه أصحم ... يجر أرحاء ثقالا تحطم «٤»

ما تحتها من قرضها وتهشم ... وحنك حين يمد أفقم «٥»

ومشفر حين يمد سرطم ... يرده في الجوف حين يطعم «٦»

لو كان عندي سبب أو سلم ... نجيت نفسي جاهدا لا أظلم

وقال آخر: [من الرجز]

من يركب الفيل فهذا الفيل ... إن الذي يركبه محمول

على تهاويل لها تهويل ... كالطود إلا أنه يجول

وأذن كأنها منديل." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٠٤/٧

(٢) الحيوان الجاحظ ١٠٥/٧

"وقال عمارة بن عقيل يضرب المثل بقوة الفيل: [من البسيط]

إذا أتانا أمير لم يقل لهم ... هيدا وجالت بنا منه الأحابيل

وعض مجهودنا الأقصى وحمله ... من المظالم ما لا يحمل الفيل

وقال أبو دهبل «١» يمدح أبا الفيل الأشعري: [من البسيط]

إن أبا الفيل لا تحصى فضائله ... قد عم بالعرف كل العجم والعرب

ونظر ابن شهلة المديني إلى خرطوم الفيل وإلى غرموله فقال: [من الطويل]

ولم أر خرطومين في جسم واحد ... قد اعتدلا في مشرب ومبال

فقد غلط لأن الفيل لا يشرب بخرطومه ولكن به يوصل الماء إلى فمه. فشبه غرموله بالخرطوم، وغرموله يشبه بالجعبة والقنديل والبربخ.

وقال المخبل «٢» في تعظيم شأن الفيل: [من الطويل]

أتهزأ مني أم عمرة أن رأت ... نهارا وليلا بلياني فأسرعا

فإن أك لاقيت الدهاريس منهما ... فقد أفنيا النعمان قبلي وتبعا

ولا يلبث الدهر المفرق بينه ... على الفيل حتى يستدير فيصرعا

وقال مروان بن محمد وهو أبو الشمقمق- وحدثني صديق لي قال سألت أبا الشمقمق عن اسمه ونسبه. فقال: أنا مروان بن محمد، مولى مروان بن محمد «٣» :

[من البسيط]

يا قوم إني رأيت الفيل بعدكم ... فبارك الله لي في رؤية الفيل

رأيت بيتا له شيء يحركه ... فكدت أصنع شيئا في السراويل

وقالت دودة لأمها: [من البسيط]

يا أم إني رأيت الفيل من كثب ... لا بارك الله لي في رؤية الفيل

لما بصرت بأير الفيل أذهلني ... عن الحمير وعن تلك الأباطيل." (١)

"٢١٣٣-[خطبة بدوي فيها ذكر الفيل]

وقال الأصمعي: جنى قوم من أهل اليمامة جناية فأرسل إليهم السلطان جندا من بخارية ابن زياد، فقام رجل

(١) الحيوان الجاحظ ١٠٦/٧

من أهل البادية يذمر أصحابه فقال: «يا معشر العرب، ويا بني المحصنات، قاتلوا عن أحسابكم ونسائكم. والله لئن ظهر هؤلاء القوم عليكم لا يدعون بها لبنة حمراء «١» ، ولا نخلة خضراء، إلا وضعوها بالأرض. ولا أغركم من نشاب «٢» معهم، في جعاب كأنها أيور **الفيلة**، ينزعون في قسي كأنها العتل «٣» تئط إحداهن أطيط الزرنوق «٤» ، يمغط «٥» أحدهم فيها حتى يتفرق شعر إبطيه، ثم يرسل نشابة كأنها رشاء «٦» منقطع، فما بين أحدكم وبين أن تفضخ عينه «٧» ، أو يصدع قلبه منزلة» .

قال: فخلع قلوبهم فطاروا رعبا.

٢١٣٤-[الفيل والزندبيل]

قالوا «٨» : **الفيلة** ضربان: فيل وزندبيل. وقد اختلفوا في أشعارهم وأخبارهم.

فبعضهم يقول كالبخت والعراب، والجواميس والبقر، والبراذين والخيل، والفأر والجرذان، والذر والنمل.

وبعضهم يقول: إنما ذهبوا إلى الذكر والأنثى.

قال خالد القناص، وفي قصيدته تلك المزاوجة والمخمسة، التي ذكر فيها الصيد فأطنب فيها، فقال حين صار إلى ذكر **الفيل** «٩» : [من الرجز]

ذاك الذي مشفره طويل ... وهو من الأفيال زندبيل

فذهب إلى العظم. وقال الذكواني «١٠» : [من الرجز]

وفيلة كالطود زندبيل." (١)

"٢١٣٧-[هياج **الفيل]**

قال: وإذا اغتلم **الفيل** قتل **الفيلة** والفيالين وكل من لقيه من سائر الناس، ولم يقم له شيء، حتى لا يكون لسواسه هم إلا الهرب، وإلا الاحتيال لأنفسهم.

وتزعم «١» الفرس أن فيلا من فيلة كسرى اغتلم، فأقبل نحو الناس فلم يقم له شيء، حتى دنا من مجلس كسرى فأقشع «٢» عنه جنده، وأسلمته صنائعه، وقصد إلى كسرى ولم يبق معه إلا رجل واحد من فرسانه كان أخصهم به حالا، وأرفعهم مكانا، فلما رأى قربه من الملك شد عليه بطبرزين «٣» كان في يده فضرب به جبهته ضربة غاب لها جميع الحديدة في جبهته، فصدف عنها وارتدع، وأبى كسرى أن يزول من مكانه، فلما أيقن بالسلامة قال لذلك الرجل: ما أنا بما وهب الله لي من الحياة على يدك بأشد سرورا مني بالذي

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٠٧/٧

رأيت من هذا الجلد والوفاء والصبر في رجل من صنائعي، وحين لم تخطئ فراستي، ولم يفل رأيي «٤» فهل رأيت أحدا قط أشد منك؟ قال: نعم.

قال: فحدثني عنه. قال: على أن تؤمنني. فأمنه فحدث عن بهرام جوبين بحديث شق على الملك وكرهه، إذ كان عدوه على تلك الصفة.

قال: إذا اغتلم الفيل وصال وغضب وخمط «٥» خلاه الفيالون والرواض، فربما عاد وحشيا.

٢١٣٨-[أهلي الفيلة ووحشيها]

والفيلة من الأجناس التي يكون فيها الأهلي والوحشي، كالسنانير والظباء والحمير وما أشبه ذلك. وأنشد الكرماني لشاعر المولتان قوله: [من البسيط]

فكنت في طلبي من عنده فرجا ... كراكب الفيل وحشيا ومغتلما

وهذه القصيدة هي التي يقول فيها:

قد كنت صعدت عن بغبور مغتربا ... حتى لقيت بها حلف الندى حكما «٦»

قرم كأن ضياء الشمس سنته ... لو ناطق الشمس ألقت نحوه الكلما." (١)

"٢١٣٩-[خصال كسرى]

وتقول الفرس: أعطي كسرى أبرويز ثمان عشرة خصلة لم يعطها ملك قط ولا يعطاها أحد أبدا، من ذلك أنه اجتمع له تسعمائة وخمسون فيلا، وهذا شيء لم يجتمع عند ملك قط. ومن ذلك أنه أنزى الذكورة على الإناث. وأن فيلة منها وضعت عنده، وهي لا تتلاقح بالعراق، فكانت أول فيلة بالعراق وآخر فيلة تضع.

قالو: ولقي رستم الآزري المسلمين يوم القادسية ومعه من الفيلة عشرون ومائة فيل، وكن من بقايا فيلة كسرى أبرويز.

قالوا «١» : ومن خصاله أن الناس لم يروا قط أمد قامة، ولا أتم ألواحا، ولا أبرع جمالا منه، فلما مات فرسه الشبديز كان لا يحمله إلا فيل من فيلته، وكان يجمع وطاءة ظهر الفيل وثبات قوائمه، ولين مشيته، وبعد خطوه، وكان ألطفها بدنا، وأعدلها جسما.

٢١٤٠-[أكثر خلفاء المسلمين فيلة]

قالوا: ولم يجتمع لأحد من ملوك المسلمين من الفيلة ما اجتمع عند أمير المؤمنين المنصور، اجتمع عنده

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٠٩/٧

أربعون فيلا، فيها عشرون فحلا.

٢١٤١-[شرف الفيل]

قالوا «٢» : والفيل أشرف مراكب الملوك. وأكثرها تصرفا، ولذلك سأل وهرز الأسوار عن صاحب الحبشة، حين صافهم في الحرب، فقيل له: ها هو ذاك على الفيل. فقال: لا أرميه وهو على مركب الملوك. ثم سأل عنه فقيل له: قد نزل عنه وركب الفرس. قال: لا أرميه وهو على مركب الحماة. قيل: قد نزل عنه وركب الحمار. قال: قد نزل عن مركبه لحمار! فدعا بعصابة رفع بها حاجبيه- وكان قد أسن حتى سقط جاجباه على عينيه- ثم رماه فقتله.

٢١٤٢-[ذكاء الفيل]

وكان سهل بن هارون يتعجب من نظر الفيل إلى الإنسان، وإلى كل شيء يمر به. وهو الذي يقول «٣» : [من الطويل]." (١)

"ولما رأيت الفيل ينظر قاصدا ... ظننت بأن الفيل يلزمه الفرض

قال أبو عثمان: وقد رأيت أنا في عين الفيل من صحة الفهم والتأمل إذا نظر بها، وما شبهت نظره إلى الإنسان إلا بنظر ملك عظيم الكبر راجح الحلم. وإذا أردت أن ترى من الفيل ما يضحك، وتراه في أسخف حالاته وأجهله فألق إليه جوزة، فإنه يريد أن يأخذ بطرف خرطومه، فإذا دنا منها تنفس، فإذا تنفس طارت الجوزة من بين يديه، ثم يدنو ثانية ليأخذها فيتنفس أخرى، فتبعد عنه، فلا يزال ذلك دأبه.

٢١٤٣-[فضل الفيل على الفرس في الحرب]

قالوا: ويفضل الفيل الفرس في الحرب أن الفيل يحمي الجماعة كلهم، ويقاتل ويرمي ويزج بالمزاريق «١» ، وله من الهول ما ليس للفرس، وهو أحسن مطاوعة، ولا يعرف بجماح ولا طماح ولا حران.

والخيول العتاق ربما قتلت الفرسان بالحران مرة وبالإقدام مرة، وبسوء الطاعة وشدة الجزع، وربما شب الفرس بفارسه حتى يلقيه بين الحوافر والسيوف، للسهم يصيبه والحجر يقع به.

وما يشبه ظهر الفرس من ظهره، وظهر الفيل منظرة من المناظر ومسلحة من المسالح.

٢١٤٤-[عمر الفيل]

وفي الفيلة عجب آخر، وذلك أن قصر الأعمار مقرون بالإبل والبراذين وبكل خلق عظيم. وكل شيء يعايش

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/١١٠

الناس في دورهم وقراهم ومنازلهم فالناس أطول أعمارا منها، كالجمل، والفرس والبرذون، والبغل والحمار، والثور والشاة، والكلب والدجاج، وكل صغير وكبير، إلا **الفيل** فإنه أطول عمرا.

والفيل أعظم من جميع الحيوان جسما وأكثر أكلا، وهو يعيش مائة السنة ومائتي السنة.

وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان أنه قد ظهر فيل عاش أربعمائة سنة.

فالفيل في هذا الوجه يشارك الضباب والحيات والنسور، وإذا كان كذلك فهو فوق الورشان وعير العانة- وهو من المعمرين وفوق المعمرين- وهو مع ذلك أعظم الحيوان بدنا، وأطولها عمرا.." (١)

"٢١٤٥-[الأسد **والفيل**]

وقال بعض من يستفهم ويحب التعلم: ما بال الأسد إذا رأى **الفيل** علم أنه طعام له، وإذا رأى النمر والببر لم يكونا عنده كذلك؟ وكيف وهو أعظم وأضخم وأشنع وأهول؟ فإن كان الأسد إنما اجترأ عليه لأنه من لحم ودم، واللحم طعامه والدم شرابه. فالببر والنمر من لحم ودم، وهما أقل من هؤلاء وأقمأ جسما.

قال القوم: ومتى قدر الأسد في **الفيل** أنه إذا قاتله غلبه، وإذا غلبه قتله، وإذا قتله أكله؟ وقد نجد الببر فوق الأسد وهو لا يعرض له. والأسد فوق الكلب وهو يشتهي لحمه، ويشتهي لحم الفهد بأكثر مما يشتهي لحم الضبع والذئب، وليست علته المواثبة التي ذهبتم إليها.

٢١٤٦-[معرفة الحيوان]

فأما علم جميع الحيوان بمواضع ما يعيشها، فمن علم البعوضة أن من وراء ظاهر جلد الجاموس دما، وإن ذلك الدم غذاء لها، وأنها متى طعنت في ذلك الجلد الغليظ الشثن «١» ، الشديد الصلب، أن خرطومها ينفذ فيه على غير معاناة «٢» .

ولو أن رجلا منا طعن جلده بشوكة لانكسرت الشوكة قبل أن تصل إلى موضع الدم. وهذا باب يدرك بالحس وبالطبع وبالشبه وبالخلقة. والذي سخر لخرطوم البعوضة جلد الجاموس، هو الذي سخر الصخرة لذنب الجرادة، وهو الذي سخر قمقم النحاس لإبرة العقرب.

٢١٤٧-[علة عدم تلاقح **الفيلة** بالعراق]

وقال بعض خصماء الهند: لو كانت **الفيلة** لا تتلاقح عندنا بالعراق لأنها هندية لتغير الهواء والأرض، فعقر ذلك أرحامها، وأعقم أصلابها لكان ينبغي للطواويس أن لا تتزاوج عندنا ولا تبيض ولا تفرخ. ونحن قد

---

(١) الحيوان الجاحظ ١١١/٧

نصيد البلابل والدباسي، والوارشين، والفواخت والقمارى والقبج والدراج، فلا تتسافد عندنا في البيوت، وهي من أطيار بساتيننا وضياعنا، ولا تتلاقح إذا اصطدناها كرارزة «٣» ، بل لا تصوت ولا تغني ولا تنوح، وتبقى عندنا وحشية كمدة ما عاشت، فإن أخذناها فراخا زاوجت وعششت." (١)

"٢١٥٢-[استنتاج الذئاب والأسد بالعراق]

ولو أطلقوا الذئاب والأسد في مروج العراق، وأقاموا لها حاجاتها لتسافدت وتلاقحت. فلعلهم لو تقدموا في اصطناع أولاد **الفيلة** واقتنائها صغارا أن تأنس حتى تتسافد وتتلاقح. وقد زعمتم أن كسرى أبرويز استنتج دغفلا واحدا «١» .

٢١٥٣-[احتجاج الهندي]

قال الهندي: تكفينا هذه الحجة، وهي بيننا وبينكم. أو ليس قد جهد في ذلك جميع الملوك من جميع الأمم في قديم الدهر، فلم يستنتجوا إلا واحدا. وعلى أن هذه الأحاديث من أحاديث الفرس، وهم أصحاب نفج «٢» وتزيد ولا سيما في كل شيء مما يدخل في باب العصبية، ويزيد في أقدار الأكاسرة، وإن كانوا كذلك فهم أظناء، والمتهم لا شهادة له. ولكن هل رأيتم قط هنديا أقر بذلك، أو هل أقرت بقايا سائر الأمم للفرس بهذا الأمر للفيل المعروف بهذا الاسم.

٢١٥٤-[استطراد لغوي] «٣»

ويقال رجل فيل إذا كان في رأيه فيالة، والفيالة. الخطأ والفساد. وهم يسمون الرجل بفيل. منهم فيل مولى زياد. ويكنون بأبي **الفيل**، منهم أبو **الفيل** الأشعري الذي امتدحه أبو دهبل.

وقال: الراجز غيلان يقال له راكب **الفيل**: ومنهم عنبسة **الفيل**، وكذلك يقال لابنه معدان وله حديث. وقال الفرزدق: [من الطويل]

لقد كان في معدان **والفيل** راجر ... لعنبسة الراوي علي القصائدا

وقال الأصمعي: إذا كان الرجل نبيلا جبانا قيل هذا فيل، وأنشد: [من الطويل]

يقولون للفيل الجبان كأنه ... أزب خصي نفرته القعاقع

---

(١) الحيوان الجاحظ ١١٢/٧

وقال سلمة بن عياش: قال لي رؤبة: «ما كنت [أحب أن] «٤» أرى في رأيك فيالة» .

ويقول الرجل لصاحبه: لم يفل رأيك. وهو رأي فائل، ورجل فيل. وبالكوفة." (١)

"باب الفيل، ودار الفيل في السبابجة، وكذلك حمام فيل، وفي حمام فيل يقول بعض السلف: [من الوافر]

لعمر أبيك ما حمام كسرى ... على الثلثين من حمام فيل

وقال الجارود بن أبي سبرة: [من الوافر]

وما إرقاصنا خلف الموالي ... كسنتنا على عهد الرسول

وأبو الفيل محمد بن إبراهيم الرافقي كان فارس أهل العراق.

وفيلويه السقطي هو الذي كان يجري لأمه كل أضحى درهما. فحدثتني امرأة قالت قلت لأم فيلويه: أو ما كان يجري فيلويه في كل أضحى إلا درهما؟ قالت: إي والله، وربما أدخل أضحى في أضحى «١» !

٢١٥٥-[مثالب الفيل]

وقال بعض من يخالف الهند: الفيل لا ينتفع بلحمه ولا بلبنه، ولا بسمنه ولا يزبده، ولا بشعره ولا بوبره ولا بصوفه، عظيم المؤونة في النفقة، شديد التشزن «٢» على الرواض، وإن اغتلم لم تف جميع منافعه في جميع دهره بمضرة ساعة واحدة.

وهو مرتفع في الثمن، وإن أخطؤوا في تدبير مطمه ومشربه، وتعلمه وتلقنه هلك سريعا، ولا يتصرف كتصرف الدواب، ولا يركب في الحوائج والأسواق وفي الجنائز والزيارات.

ولو أن إنسانا عاد مريضا أو اتبع جنازة على فيل لصار شهرة، وترك الميت آية.

٢١٥٦-[رؤيا الفيل]

وسئل ابن سيرين عن رجل رأى فيما يرى النائم كأنه راكب على فيل، فقال:

أمر جسيم لا منفعة له.

قالوا: وقال رجل للحجاج بن يوسف: رأيت في المنام رجلا من عمالك قدم فيلا فضرب عنقه، فقال: إن صدقت رؤياك هلك داهر بن بصبهرى.

(١) الحيوان الجاحظ ١١٤/٧

٢١٥٧-[حكم أكل لحمه]

وسئل الشعبي عن أكل لحم الفيل، فقال: ليس هو من بهيمة الأنعام.." (١)

"٢١٥٨-[خرطوم الفيل]

وخرطومه، الذي هو سلاحه والذي به يبطش وبه يعيش، من مقاتله.

وقال زهرة بن جؤية يوم القادسية: أما لهذه الدابة مقتل؟ قالوا: بلى، خرطومه، فشد عليهم حتى خالطهم، ودنا من الفيل، فحمل كل واحد منهما على صاحبه فضرب خرطومه فبرك وأدبر القوم.

٢١٥٩-[بعض صفة الفيل]

قال: والفيل أفقم قصير العنق، مقلوب اللسان، مشوه الخلق، فاحش القبح.

ولم يفلح ذو أربع قط قصير العنق في طلب ولا هرب. ولولا أن مسلوخ النور يجول في إهابه، ولولا سعته وغببه، لما خطا مع قصر عنقه، ولذلك قال الأعرابي «١» : «ومن جعل الأوقص كالأعنق والمطبق كالضابع» .

وقال الشاعر في غبب الثور «٢» ، وهو إسحاق بن حسان الخريمي «٣» : [من المتقارب]

وأغلب فضفاض جلد اللبان ... يدافع غبغبه بالوظيف

وليس يؤتى البعير في حضره مع طول عنقه إلا من ضيق جلده. والفيل ضئيل الصوت، وذلك من أشد عيوبه. والفيل إذا بلغ في الغلمة أشد المبالغ أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى تنضم أيطلاه ويتورم رأسه. وقد وصف الراجز الجمل الهائج فقال: [من الرجز]

سام كأن رأسه فيه ورم ... إذ ضم إطليه هياج وقطم «٤»

وآض بعد البدن ذا لحم زيم «٥»

ولو لم يكن في الفيلة من العيب إلا أن عدة أيام حملها كعمر بعض البهائم، لكان ذلك عيبا.

وقد ترك أهل المدينة غراس العجوة، لما كانت لا تطعم إلا بعد أربعين سنة.." (٢)

"٢١٦٠-[قدرته على حمل الأثقال]

قال: وليس شيء يحمل من عدد الأرطال ما يحمل الفيل، لأن الذي يفضل فيما بين حمل الفيل وحمل

---

(١) الحيوان الجاحظ ١١٥/٧

(٢) الحيوان الجاحظ ١١٦/٧

البختي أكثر من قدر ما يفضل بين جسم الفيل على جسم البختي.

وقد قال الأعرابي الذي أدخل على كسرى ليعجب من جفائه وجهله، حين قال له: أي شيء أبعد صوتا؟ قال: الجمل. قال: فأي شيء أطيب لحما؟ قال: الجمل.

قال: فأي شيء أنهض بالحمل؟ قال: الجمل. قال كسرى: كيف يكون الجمل أبعد صوتا ونحن نسمع صوت الكركي من كذا وكذا ميلا؟ قال الأعرابي: ضع الكركي في مكان الجمل، وضع الجمل في مكان الكركي حتى يعرف أيهما أبعد صوتا. قال:

وكيف يكون لحم الجمل أطيب من لحم البط والدجاج والفراخ والدراج والنواهض والجداء؟ قال الأعرابي: يطبخ لحم الدجاج بماء وملح، ويطبخ لحم الجمل بماء وملح، حتى يعرف فضل ما بين اللحمين. قال كسرى: فكيف تزعم أن الجمل أحمل للثقل من الفيل والفيل يحمل كذا وكذا رطلا؟ قال الأعرابي: ليبرك الفيل ويبرك الجمل، وليحمل على الفيل حمل الجمل، فإن نهض به فهو أحمل للأثقال.

قال القوم: ليس في استطاعة الجمال النهوض بالأحمال ما يوجب لها فضيلة على حمل ما هو أثقل. ولعمري، إن للجمل بلين أرساغه وطول عنقه لفضيلة في النهوض بعد البروك، فأما نفس الثقل فالذي بينهما أكثر من أن يقع بينهما الخيار.

قالوا: وبفارس ثيران تحمل حمل الجمل باركة ثم تنهض به. فهذا باب الذم.

٢١٦١-[مناقب الفيل]

فأما باب الحمد فقد حدثنا عن شريك، عن جابر الجعفي، قال: رأيت الشعبي خارجا فقلت له: إلى أين؟ قال: أنظر إلى الفيل.

قال: وسألت أبا عبيدة فقلت: ما لون الفيل؟ قال: جون.

٢١٦٢-[ما يحث به الفيل]

ومن أعاجيب الفيل أن سوطه الذي به يحث ويصرف، محجن حديد طرفه في جبهته، والطرف الآخر في يد راكبه، فإذا راد منه شيئا غمز تلك الحديدة في لحمه، على قدر إرادته لوجوه التصرف «١» .." (١)

"٢١٦٣-[قصة الفيل]

وقد ذكر ذلك أبو قيس بن الأسلت في الجاهلية. وهذا الشعر حجة في صرف الله الفيل والطير الأبابيل،

---

(١) الحيوان الجاحظ ١١٧/٧

وصد أبي يكسوم عن البيت. وسنذكر من ذلك طرفا إن شاء الله تعالى. قال أبو قيس «١» : [من المتقارب]

ومن صنعه يوم فيل الحبو ... ش إذ كلما بعثوه رزم «٢»

محاجنهم تحت أقرابه ... وقد كلموا أنفه فانخرم

وقد جعلوا سوطه معولا ... إذا يمموه قفاه كلم

فأرسل من فوقهم حاصبا ... يلفهم مثل لف القزم

وقال أيضا صيفي بن عامر، وهو أبو قيس بن الأسلت «٣» ، وهو رجل يمان من أهل يثرب، وليس بمكي ولا تهام «٤» ولا قرشي ولا حليف قرشي، وهو جاهلي: [من الكامل]

قوموا فصلوا ربكم وتعوذوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب «٥»

فعندكم منه بلاء مصدق ... غداة أبي يكسوم هادي الكتائب

فلما أجازوا بطن نعمان ردهم ... جنود الإله بين ساف وحاصب

فولوا سراعا نادمين ولم يؤب ... إلى أهله ملحبش غير عصائب

ويدل على صحة هذا الخبر قول طفيل الغنوي، وهو جاهلي، وهذه الأشعار صحيحة معروفة لا يرتاب بها أحد من الرواة، وإنما قال ذلك طفيل لأن غنيا كانت تنزل تهامة، فأخرجتها كنانة فيمن أخرجت، فهو قوله «٦» : [من البسيط]

ترعى مذانب وسمي أطاع له ... بالجزع حيث عصى أصحابه **الفيل** «٧»." (١)

"قال أبو الصلت «١» ، واسمه ربيعة، وهو أبو أمية بن أبي الصلت، وهو ثقفي طائفي، وهو جاهلي، وثقيف يومئذ أضداد بالبلدة وبالمال وبالحدائق والجنان، ولهم اللات والغبغب، وبيت له سدنة يضاهئون بذلك قريشا. فقال مع اجتماع هذه الأسباب التي توجب الحسد والمنافسة: [من الخفيف]

إن آيات ربنا بينات ... ما يماري فيهن إلا الكفور

حبس **الفيل** بالمغمس حتى ... ظل يحبو كأنه معقور

واضعا حلقة الجران كما قط ... ر صخر من كبكب محدور

وقال بعضهم «٢» لأبرهة الأشرم: [من الرجز]

أين المفر والإله الطالب ... والأشرم المغلوب غير الغالب

---

(١) الحيوان الجاحظ ١١٨/٧

وقال عبد المطلب «٣» يوم الفيل وهو على حراء: [من مجزوء الكامل]

لاهم إن المرء يم ... نع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم أبدا محالك

إن كنت تاركهم وقب ... لتنا فأمر ما بدا لك

وقال نفيل بن حبيب الخثعمي «٤» ، وهو جاهلي شهد الفيل وصنع الله في ذلك اليوم: [من الوافر]

ألا ردي جمالك يا ردينا ... نعمناكم مع الإصباح عينا

فإنك لو رأيت ولن تريه ... لدى جنب المحصب ما رأينا

أكل الناس يسأل عن نفيل ... كأن علي للحبشان دينا

حمدت الله أن عاينت طيرا ... وحصب حجارة تلقى علينا." (١)

"وقال المغيرة بن عبد الله المخرومي «١» : [من الرجز]

أنت حبست الفيل بالمغمس ... حبسته كأنه مكردس

محتبس تزهق فيه الأنفس

قال الله تبارك وتعالى: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول

«٢» . وأنزل هذه السورة وقريش يومئذ مجلبون في الرد على النبي صلى الله عليه وسلم، وما شيء أحب إليهم من أن يروا له سقطة أو عثرة أو كذبة، أو بعض ما يتعلق به مثلهم، فلولا أنه كان أذكرهم أمرا لا يتدافعونه ولا يستطيع العدو إنكاره، للذي يرى من إطباق الجميع عليه، لوجدوا أكبر المقال. فهذا باب يكثر الكلام فيه، وقد أتينا عليه في (كتاب الحجة) .

وقال: ألم تر كيف فعل ربك بعاد

«٣» ، مثل قوله: ألم تر إلى ربك كيف مد الظل

«٤» ، وقال: ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون

«٥» . وهذا كله ليس من رؤية العين لنا.

٢١٦٤-[استطراد لغوي]

---

(١) الحيوان الجاحظ ١١٩/٧

وباب آخر من هذا، وهو قوله: وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون

«٦» .

ويقول الرجل: رأيت الرجل قال كذا وكذا، وسمعت الله قال كذا، وفلان يرى السيف، وفلان يرى رأي أبي حنيفة، وقد رأيت عقله حسنا. وقال ابن مقبل «٧» : [من الطويل]

سل الدار من جنبي حبر فواهب ... بحيث يرى هضب القليب المضيح

وإذا قابل الجبل الجبل فهو يراه، إذ قام منه مقام الناظر الذي ينظر إليه.

وتقول العرب: دار فلان تنظر إلى دار فلان، ودور بني فلان تتناظر.." (١)

"وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا بريء من كل مسلم مع مشرك» قيل: ولم يا رسول الله؟ قال: «لا تتراءى ناراهما» «١» .

ويقولون: إذا استقمت تلقاء وجهك فنظر إليك الجبل فخذ عن يمينك. وقال الكميت «٢» : [من المتقارب]

وفي ضبن حقف يرى حقفه ... خطاف وسرحة والأحدل

٢١٦٥-[جسامة الفيل]

قال أبو عثمان: خرجت يوم عيد، فلما صرت بعيسا باذ «٣» إذا أنا بتل مجلل بقطوع ومقطعات «٤» ، وإذا رجال جلوس، عليهم أسلحتهم فسألت بعض من يشهد العيد فقلت: ما بال هذه المسلحة في هذا المكان وقد أحاط الناس بذلك التل؟ فقال لي: هذا الفيل! فقصدت نحوه وما لي هم إلا النظر إلى أذنيه فرجعت عنه بعد طول تأمل وأنا أتوهم عامة أعضائه بل جميع أعضائه إلا أذنيه، وما كانت لي في ذلك علة إلا شغل قلبي بكل شيء هجمت عليه منه، وكله كان شاغلا لي عن أذنه التي إليها كان قصدي، فذاكرت في ذلك سهل بن هارون، فذكر لي أنه ابتلي بمثلها، وأنشدني في ذلك بيتين من شعره، وهما قوله: [من الوافر]

أتيت الفيل محتسبا بقصدي ... لأبصر أذنه ويطول فكري

فلم أر أذنه ورأيت خلقا ... يقرب بين نسياني وذكري

٢١٦٦-[أعجب الأشياء]

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٢٠/٧

قال: وقال رجل مرة: أخزى الله الفيل فما أقبحه. فقال بكر بن عبد الله المزني: لا تشتم شيئا جعله الله آية في الجاهلية، وإرهاصا للنبوة.

وقال سعدان الأعمى النحوي: قلت للأصمعي: أي شيء رأيت أعجب؟ قال: الفيل.

وقيل لابن الجهم: أي أمور الدنيا أعجب؟ قال: الشم.

وقيل لإبراهيم النظام: أي أمور الدنيا أعجب؟ قال: الروح.." (١)

"وقيل لأبي عقيل بن درست: أي أمور الدنيا أعجب؟ قال: النوم واليقظة.

وقيل لأبي شمر: أي أمور الدنيا أعجب؟ قال: النسيان والذكر.

وقيل لسلم الخلال: أي أمور الدنيا أعجب؟ قال: النار.

وقيل لبطليموس: أي أمور الدنيا أعجب؟ قال: بدن الفلك. وقال مرة أخرى: الضياء.

وقيل لأبي علي عمر بن فائد الأسواري: أي شيء مما رأيت أعجب؟ قال: الآجال والأرزاق.

وكان إبراهيم بن سيار النظام شديد التعجب من الفيل.

وكان معبد بن عمر يقول: إن السرطان والنعامة أكثر عجائب من الفيل «١» .

وهذا كله تفسير.

٢١٦٧-[قول الخضر في بعض الدواب]

أبو عقيل السواق، عن مقاتل بن سليمان، قال «٢» : قال موسى للخضر: أي الدواب أحب إليك، وأيها أبغض؟ قال: أحب الفرس والحمار والبعير؛ لأنها من مراكب الأنبياء، وأبغض الفيل والجاموس والثور.

فأما البعير فمركب هود وصالح وشعيب والنبيين عليهم السلام. وأما الفرس فمركب أولي العزم من الرسل وكل من أمره الله بحمل السلاح وقتال الكفار. وأما الحمار فمركب عيسى بن مريم وعزيز وبلعم. وكيف لا أحب شيئا أحياه الله بعد موته قبل الحشر.

قال «٣» : ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشي إلى سلم بن قتيبة على حمار يريد المسجد قال: قعدة نبي وبذلة جبار.

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٢١/٧

وأبغض الفيل لأنه أبو الخنزير، وأبغض الثور لأنه يشبه الجاموس، وأبغض الجاموس لأنه يشبه الفيل.

وأنشدني في هذا المعنى جعفر ابن أخت واصل، في منزل الفضل بن عاصم الباخرزي: [من البسيط]." (١)

"ما أبغض الخضر فيلا منذ كان ولا ... أحب عيرا وذاكم غاية الكذب

وكيف يبغض شيئا فيه معتبر ... وكان في الفلك فراجا من الكرب

والفيل أقبل شيء لو تلقنه ... حاجات نفسك من جد ومن لعب

ولو تتوج فينا واحد فرأى ... زي الملوك لقد أوفى على الركب

يغضي ويركع تعظيما لهيبته ... وليس يعدله النشوان في الطرب

وليس يجذل إلا كل ذي فخر ... حر ومنبته من خالص الذهب

مثل الزنوج فإن الله فضلهم ... بالجود ... والتطويل في الخطب

قال: أنشدنيها يونس لابن رباح الشاررنجي. فمدح الفيل كما ترى بالطرب والحكاية، وأنه قد أدب وعلم السجود للملوك.

٢١٦٨-[سجود الفيل للملك]

وزعموا أن أول شيء يؤدبونه به السجود للملك؛ قالوا «١» : خرج كسرى أبرويز ذات يوم لبعض الأعياد، وقد صفوا له ألف فيل، وقد أحدق به وبها ثلاثون ألف فارس، فلما بصرت به الفيلة سجدت له، فما رفعت رأسها حتى جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون.

وقد شهد ذلك المشهد جميع أصناف الدواب: الخيل فما دونها، وليس فيها شيء يفصل بين الملوك والرعية، فلما رأى ذلك كسرى قال: ليت أن الفيل كان فارسيا ولم يكن هنديا، انظروا إليها وإلى سائر الدواب، وفضلوها بقدر ما ترون من فهمها وأدبها.

وأما ما ذكر به الزنج من طول الخطب فكذلك هم في بلادهم وعند نوائبهم، ولكن معانيهم لا ترتفع عن أقدار الدواب إلا بما لا يذكر.

٢١٦٩-[ما قيل في تعظيم شأن الفيل]

وأنشدوا في تعظيم شأن الفيل وصحة نظره وجودة تحديقه وتأمله، وسكون طرفه، والشعر لبعض المتكلمين «٢» : [من الطويل]

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٢٢/٧

إذا ما رأيت الفيل ينظر قاصدا ... ظننت بأن الفيل يلزمه الفرض

وقد قيل إن الشعر لسهل بن هارون.." (١)

"٢١٧٠-[مثل النون والضب]

وقال عبد الأعلى القاص: يقال في المثل: إن النون قال للضب حين رأى إنسانا في الأرض: إني قد رأيت عجبا. قال: وما هو؟ قال: رأيت خلقا يمشي على رجليه، ويتناول الطعام بيديه فيهوي به إلى فيه. قال: إن كان ما تقول حقا فإنه سيخرجني من قعر البحر وينزلك من وكرك من رأس الجبل.

٢١٧١-[تناول الفيل والقرد طعامه]

والفيل أعجب منه، لأن يده أنفه، وأيدي البهائم والسباع على حال عاملة شيئا، والقرد يأكل بيديه وينقي الجوزة ويتفلى ويفلي أنثاه. وليس شيء يكرع بأنفه ويوصل الطعام إلى فيه بأنفه غير الفيل.

٢١٧٢-[إطعام الدب ولدها] «١»

والدب الأنثى تقيم أولادها تحت شجرة الجوز، ثم تصعد الشجرة فتجمع الجوز في كفها، ثم تضرب باليمنى على اليسرى فتحطم ذلك الجوز فترمي به إلى أولادها، فلا تزال كذلك حتى إذا شبعن نزلت.

٢١٧٣-[قوة الدب] «٢»

وربما قطع الدب من الشجرة الغصن العبل الضخم الذي لا يقطعه صاحب الفأس إلا بالجهد الشديد، ثم يشد به على الفارس قابضا عليه في موضع مقبض العصا فلا يصيب شيئا إلا هتكه.

٢١٧٤-[كثرة تصرف يدي الفيل]

قال صاحب المنطق: ليس شيء من ذوات الأربع إلا وتصرف يديه في الجهات أقل من تصرف يدي الفيل.

٢١٧٥-[شعر في وصف جلد الفيل والجاموس]

وقال أبو عثمان: ويوصف جلد الفيل، وجلد الجاموس بالقوة، قال جميل «٣» :

[من الطويل]." (٢)

"إذا ما علت نشزا تمد زمامها ... كما امتد نهي الأصلف المترقق «١»

وما يبتغي مني العداة تفاقدوا ... ومن جلد جاموس سمين مطرق «٢»

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٢٣/٧

(٢) الحيوان الجاحظ ١٢٤/٧

وأبيض من ماء الحديد اصطفيته ... له بعد إخلاص الضريبة رونق

٢١٧٦-[شعر فيه ذكر الفيل]

وقال كعب بن زهير «٣» في اعتذاره إلى النبي صلى الله عليه وسلم: [من البسيط]

لقد أقوم مقاما لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد إلا أن يكون له ... من الرسول بأمر الله تنويل

وذكر أمية بن أبي الصلت سفينة نوح فقال «٤» : [من الخفيف]

تصرخ الطير والبرية فيها ... مع قوي السباع والأفيال

حين فيها من كل ما عاش زوج ... بين ظهري غوارب كالجبال

وقال أمية «٥» أيضا: [من الخفيف]

خلق النحل معصرات تراها ... تعصف اليابسات والمخضورا

والتماسيح والثياتل والأي ... ل شتى والريم واليعفورا

وصوارا من النواشط عينا ... ونعاما خواضبا وحميرا

وأسودا عواديا وفيولا ... وسباعا والنمر والخنزيرا

٢١٧٧-[طيب عرق الفيل]

وتزعم الهند أن جبهة الفيل في بعض الزمان تعرق عرقا غليظا غير سائل، يكون أطيب رائحة من المسك. وهذا شيء يعتريه كل عام. وموضع ذلك الينبوع في جبهته «٦» .." (١)

"٢١٧٨-[فأرة المسك والإبل]

والناس يجدون ريح المسك في بيوتهم في بعض الأحايين، وهي ريح فارة يقال لها فارة المسك. والذي يكون في ناحية خراسان الذي له فأر المسك ليس بالفأر «١» ، وهو بالخشف «٢» حين تضعه الظبية أشبه «٣» .

وتقول العرب في فارة الإبل صادرة «٤» : إن أرج ذلك العرق أطيب من المسك الأذفر في ذلك الزمان، وفي ذلك الوقت من الليل والنهار.

قال الراعي «٥» : [من الطويل]

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٢٥/٧

لها فارة ذفراء كل عشية ... كما فتق الكافور بالمسك فاتقه

قال الأصمعي «٦» قلت لأبي مهدية، أو قيل لأبي مهدية: كيف تقول لا طيب إلا المسك؟ قال: فأين أنت من البان. قال: فقيل له: فقل: لا طيب إلا المسك والبان. قال: فأين أنت عن أدهان بحجر. قالوا له: فقل: لا طيب إلا المسك والبان وأدهان بحجر. قال: فأين أنتم عن فارة الإبل صادرة؟.

قالوا «٧» : وربما وجد الناس في بيوتهم الجرذ يضرب إلى السواد، يجدون من بدنه إذا عدا إلى جحره رائحة تشبه رائحة المسك، وبعض الناس يزعم أن هذا الجنس هو الذي يخبأ الدنانير والدراهم والحلي، كما يصنع العقعق والغراب.

وهذا الجرذ غير فارة المسك التي تكون بخراسان، وتلك بالخشف الصغير أشبه، وإنما يأخذون سرته وهي ملأى من دم عبيط.

٢١٧٩-[الآية في الفيل]

قالوا: وقد جعل الله الفيل من أكبر الآيات وأعظم البرهانات للبيت الحرام." (١)

"ولقبلة الإسلام، وتأسيسا لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وتعظيما لشأنه ولما أجرى من ذلك على يدي جده عبد المطلب، حين غدت الحبشة لتهدم البيت الحرام وتذل العرب، فلم يذكر الله منهم ملكا ولا سوقة باسم ولا نسب ولا لقب وذكر الفيل باسمه المعروف، وأضاف السورة التي ذكر فيها الفيل إلى الفيل، وجعل فيه من الآية أنهم كانوا إذا قصدوا به نحو البيت تعاصى وبرك، وإذا خلوه وسومه «١» صد عنه وصدف. وفي أضعاف ذلك التقم أذنه نفيل بن حبيب، وقال: «ابرك محمود» ، وكان ذلك اسمه.

٢١٨٠-[الطعن في قصة الفيل]

وقد طعن في ذلك ناس فقالوا: قد يستقيم أن ينصرف عنه ويحرد دونه، كل ذلك بتصريف الله له. وكيف يجوز أن يفهم كلام العرب ويعرف معنى قول نفيل؟

فإن قلتم: قد يفهم الفيل عن الفيال جميع الأدب والتقويم، وجميع ما يريد منه عند الحط والرحيل والمقام والمسير. قلنا: قد يفهم بالهندية كما يعرف الكلب اسمه، ويعرف قولهم اخسأ. وقد يعرف السنور اسمه ويعرف الدعاء والزجر، وكذلك الطفل والمجنون، وكذلك الحمار والفرس إذا كن قد عودن تلك الإشارة، وسماع تلك الألفاظ. فأما الفيل وهو هندي جلبه إلى تلك البلدة حبشي، فخرج من عجمة إلى عجمة،

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٢٦/٧

كيف يفهم مع ذلك لسان العرب وسرار نفيل بن حبيب بالعربية؟

قلنا: قد يستقيم أن يكون قال له كلاما بالهندية كان قد تعود سماعه من الفيالين، فيكون ترجمته بالعربية هذا الكلام الذي حكوه، وقد يكون الذي أنطق الذئب لأهبان بن أوس؛ وجعل عود المنبر يحن إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أن يصور لوهم الفيل إرادة نفيل بن حبيب. وقد يستقيم مع لقن الفيل وذكائه وحكايته ومؤاتاته، أن يعرف ذلك كله وأكثر منه، لطول مقامه في أرض الحبشة واليمن، وليس يبعد أن يكون بأرض الحبشة جماعة كثيرة من العرب من وافد وباغ وتاجر، وغير ذلك من الأصناف، فيسمع ذلك منهم الفيل فيعرفه، وليس هذا المقدار بمستنكر من الفيل، مع الذي قد أجمعوا عليه من فهم الفيل ومعرفته.

وكان منكه المتطبب الهندي صحيح الإسلام، وكان إسلامه بعد المناظرة والاستقصاء والتثبت، قالوا: فسمع مرة من رجل وهو يقرأ: أفلا ينظرون إلى الإبل." (١)

"كيف خلقت

«١» ، وسمع بعض الجهال يقول: فكيف لو رأى الفيل؟ فعذله قوم، فقال منكه: لا تعذلوه فإنه لا شك أن خلق الفيل أعجب، فقيل له: فكيف لم يضرب به الله تعالى المثل دون البعير؟ فقال أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، فقلت له:

ليس الفيل بأعجب من البعير. واجعله يعجب من البعير. وهو إنما خاطب العرب، وهم الحجة على جميع أهل اللغات، ثم تصير تلك المخاطبة لجميع الأمم بعد الترجمة على ألسنة هؤلاء العرب، الذين بهم بدأت المخاطبة لجميع الأمم. وكيف يجوز أن يعجب جماعة الأمم من شيء لم يروه قط، ولا كان على ظهرها يوم نزلت هذه السورة رجل واحد كان قد شهد الفيل والحبشة. وعلى أن الفيل وافى مكة وما بها أحد إلا عبد المطلب في نفير من بقية الناس، ولا كانوا حيث يتأملون الفيل.

وقد قال ناس: كان الناس رجلين، رجل قد سمع بهذا الخبر من رجالات قريش الذين يجترون إلى أنفسهم بذلك التعظيم، كما كانت السدنة تكذب للأوثان والأصنام والأنصاب، لتجتر بذلك المنافع، ورجل لم يكن عنده علم بأن هذا الخبر باطل فلم يتقدم على إنكار ذلك الخبر، وجميع قريش تثبته.

قيل لهم: إن مكة لم تزل دار خزاعة وبقايا جرهم وبقايا الأمم البائدة، وكانت كنانة منها النسأة، وكانت مر بن أد من رهط صوفة والربيط منها أصحاب المزدلفة، وإليهم كانت السدانة، وكانت عدوان وأبو سيارة عميلة

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٢٧/٧

بن أعزل، تدفع بالناس، وقد كان بين خزاعة وبقايا جرهم ما كان حتى انتزعوا البيت منهم، وقد كان بين ثقيف وقريش لقرب الدار والمصاهرة، والتشابه في الثروة والمشاكلة في المجاورة تحاسد وتنافر، وقد كان هنالك فيهم المولى والحلفاء والقطان والنازلة، ومن يحج في كل عام، وكان البيت مزورا على وجه الدهر، يأتونه رجالا وركبانا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، وبشق الأنفس، كما قال الله تعالى: فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم

«٢» ، وكانوا بقرب سوق عكاظ وذي المجاز، وهما سوقان معروفان، وما زالتا قائمين حتى جاء الإسلام، فلا يجوز أن يكون السالب والمسلوب، والمفتخر به والمفتخر عليه، والحاسد والمحسود، والمتدين به والمنكر له، مع اختلاف الطبائع." (١)

"وكثرة العلل، يجمعون كلهم على قبول هذه الآية وتصديق هذه السورة، وكلهم مطبق على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، والكفر به.

والمحلون من العرب ممن كان لا يرى للحرم ولا للشهر الحرام حرمة: طيئ كلها، وخثعم كلها، وكثير من أحياء قضاعة ويشكر والحارث بن كعب، وهؤلاء كلهم أعداء في الدين والنسب. هذا مع ما كان في العرب من النصارى الدين يخالفون دين مشركي العرب كل الخلاف، كتغلب، وشيبان، وعبد القيس، وقضاعة، وغسان، وسليح، والعباد، وتنوخ، وعاملة، ولخم، وجذام، وكثير من بلحارث بن كعب، وهم خلطاء وأعداء، يغاورون ويسبون، ويسبى منهم، وفيهم الثؤور «١» والأوتار والطوائل، وهي العرب وألسنتها الحداد، وأشعارها التي إنما هي مياسم، وهممها البعيدة، وطلبها للطوائل، وذمها لكل دقيق وجليل من الحسن والقبيح، في الأشعار والأرجاز والأسجاع، والمزدوج والمنثور، فهل سمعنا بأحد من جميع هؤلاء الذين ذكرنا أنكر شأن الفيل، أو عرض فيه بحرف واحد.

٢١٨١-[كلام الفيل والذئب]

ورزين العروضي- وهو أبو زهير- لم أر قط أطيب منه احتجاجا، ولا أطيب عبارة قال في شعر له يهجو ولد عقبة بن جعفر، فكان في احتجاجه عليهم وتقريعه لهم أن قال «٢» : [من البسيط]

تهتم علينا بأن الذئب كلمكم ... فقد لعمري أبوكم كلم الذيبا

فكيف لو كلم الليث الهصور إذا ... تركتم الناس مأكولا ومشروبا

(١) الحيوان الجاحظ ١٢٨/٧

هذا السنيدي لا أصل ولا طرف ... يكلم الفيل تصعيدا وتصويبا

ولو كان ولد أهبان بن أوس ادعوا أن أباهم كلم الذئب، كانوا مجانين وإنما ادعوا أن الذئب كلم أباهم، وأنه ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه صدقه.

والفيل ليس يكلم السندي، ولم يدع ذلك السندي قط، وربما كان السندي هو المكلم له، والفيل هو الفهم عنه. فذهب رزين العروضي من الغلط في كل مذهب.." (١)

"من ذلك، فإن من الكفر ما يكون عند المسألة، والجواب أسرع انتشارا وأظهر انتقاضا، ومنه ما يكون أمتن شيئا، وإن كان مصير الجميع إلى الانتقاض وإلى الفساد.

ومنه شيء يحتاج من المعالجة إلى أكثر وأطول، وإنما يتفاضل العلماء عند هذه الحال، وقد يكون أن ينقدح في قلوب الناس عداوات وأضغان سببها التحاسد الذي يقع بين الجيران والمتفقين في الصناعة، وربما كانت العداوة من جهة العصبية، فإن عامة من ارتاب بالإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية والتمادي فيه، وطول الجدال المؤدي إلى القتال، فإذا أبغض شيئا أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة. فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وكانوا السلف والقدوة.

٢١٨٤-[أثر الغلمة في الجسم والعمر]

وتزعم الهند أن شدة غلمة الفيل وطول أيامه فيها وهجرانه الطعام والشراب، وبقية تلك الطبيعة، وعمل ذلك العرق الساري، هو الذي يمنع الفيل أن يصير في جسمه مرتين، لأن ذلك من أمتن أسباب الهزال. وإذا تقادم ذلك في بدن وغب فيه، عمل في العظم والعصب، بعد الشحم واللحم. وإذا كان رفع الصوت والصياح وكثرة الكلام والغضب والحدة، إنما صار يورث الهزال لأن البدن يسخن عن ذلك، وإذا شاعت فيه الحرارة أحرقت وأكلت وشربت، ولذلك صار الخصي من الديوك والأنعام أسمن.

وزعموا أنه ليس فيما يعايش الناس من أصناف الحيوان أقصر عمرا من العصفور، ولا أطول عمرا من البغل. وللأمور أسباب، فليس يقع الظن إلا على قلة سفاد البغل وكثرة سفاد العصفور.

قالوا: ونجد العمر الطويل أمرا خاصا في الرهبان، فنظن أيضا أن تركها الجماع من أسباب ذلك «١» .

قالوا: وإذا اغتلم الذكر من الحيوان فهو أخبث ما يكون لحما، وإذا كثر سفاده تضاعف فيه ذلك، وصار

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٢٩/٧

لحمه أيبس ودمه أقل.

قال الشاعر «٢» : [من الرجز]." (١)

"٢١٨٥-[أثر الخصاء في اللحم]

قالوا: وإنما صار الخصي من كل جنس أسمن لأنه لا يسفد ولا يهيج.

٢١٨٦-[السقنقور]

قالوا «١» : والسقنقور إنما ينفع أكله إذا اصطادوه في أيام هيجه وسفاده؛ لأن العاجز عن النساء يتعالج بأكل لحمه، فصار لحم الهائج أهيج له.

٢١٨٧-[أبو نواس والحرامي الكاتب]

أقبل أبو نواس ومعه الحرامي الكاتب، وكان أطيب الخلق، وقد كانا قبل ذلك قد نظرا إلى **الفيلة** فأبصرا غرمول فيل منها، وعلم الحرامي أن غرمول **الفيل** يوصف بالجعبة، فوصف لنا غرموله، وأنشدنا فيه شعرا لنفسه: [من الرجز]

كأنه لما بدا للسفد ... جعبة تركي عليها لبد

قلنا له: أقويت واجتلبت ذكر اللبد عن غير حاجة، قال: فإني قد قلت غير هذا. قلنا: فأنشدنا. فقال: [من الرجز]

كأنه لما دنا للشد ... شمعة قيل لفقت في لبد

قلنا: فلا نرى لك بدا من اللبد على حال؟ قال: قال أبو نواس: فإني أقول عنك بيتين. قال: فهاتهما. فقال: [من الرجز]

كأنه لما دنا للوثبه ... أيور أعيار جمعن ضربه

قال الحرامي لأبي نواس: هبهما لي على أن لا تدعيهما، فعسى أن أنتحلهما.

قلت له: وما ترجو من هذا الضرب من الأشعار؟ قال: قد رأيت غرموله، فما عذري عند **الفيل** إن لم أقل فيه شيئا.

٢١٨٨-[فهم **الفيل** الهندية]

وحدثني صديق لي قال: رأيت الفيالين على ظهر فيل من هذه **الفيلة**، وأقبل صبي يريد السندي الراكب،

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٣١/٧

فكلم الفيل بالهندية فوقف، ثم كلمه فمد يده رافعها في الهواء حتى ركبها الغلام، ثم رفع يده حتى مد السندي يده، فأخذ بيد الصبي.

٢١٨٩-[أخلاف الحيوان وأطباؤه]

وللبقر والجواميس أربعة أخلاف في مؤخر بطونها، وللشاة خلفان، وللناقة." (١)

"أربعة في مؤخر البطن. وللمرأة والرجل والفيل ثديان في الصدر، وثدي الفيل يصغر جدا إذا قرنته إلى بدنه. وللسنور ثمانية أطباء، وكذلك الكلبة في جميع بطونهما.

والخنزيرة كثيرة الأطباء. وللفهدة في بطنها أربعة أطباء. وللبؤة طبيان لا يصغران عن مقدار بدنها. والبقرة والأتان والرمكة والحجر في ذلك سواء، إلا أنها من الحافر أطباء، ومن الظلف أخلاف. والسباع في ذلك والحافر سواء.

٢١٩٠-[عضو الفيل]

وقال صاحب المنطق: غرمول الفيل يصغر عن مقدار بدنه، وخصيته لاحقة بكليته لا ترى، ولذلك يكون سريع السفاد.

وزعم الهندي صاحب «كتاب الباه» أن أعظم الأيور أير الفيل، وأصغرها أير الظبي.

٢١٩١-[الفيل في كتاب الحيوان]

وما أعجب ما قرأت في كتاب الحيوان لصاحب المنطق، وجدته قد ذكر رأس الفيل وقصر عنقه، ولم يذكر انقلاب لسانه. وذلك أعجب ما فيه، ولم يذكر في كم يضع، ولا مقدار وزن أعظم الأنياب وكيف يخرج من بطن أمه نابت الأسنان.

٢١٩٢-[خصائص الفيلة]

والفيلة لا تلد التؤام. قال: وهي تفذ وتفرد. قال: وقال بعض العلماء: لا يقال أفذت ولا أفردت إلا لما يجوز أن يتئم.

قال: وأمراضها أقل من أمراض غيرها، إلا أن النفخ والرياح يعرض لها كثيرا ويؤذيها أذى شديدا، وعامة أمراضها من ذلك، حتى ربما منعها البول وغير ذلك.

قال: وإذا أكلت التراب ضرها ذلك، ولا سيما إذا أكثرت منه فعاودته.

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٣٣/٧

٢١٩٣-[علاج الفيلة]

قال: وربما ابتلعت منه الحجارة. قال: وإذا أصابها استطلاق سقيت الماء الحار وعلفت الحشيش المعسول. وإذا أتعبوها اعتراها السهر، فتعالج عند ذلك بأن تدلك أكتافها بزيت وماء حار. قال: وبعضها يشرب الزيت شربا ذريعا.

٢١٩٤-[تذليل الفيل]

قال: وإذا تصعب الفيل وكان في حدثان ما اقتطعوه من الوحش فإنهم ينزون عليه فيلا مثله، ويحتالون له في ذلك؛ فما أكثر ما يجدونه بعد ذلك قد لأن.." (١)

"قال: وهو مادام راكبه عليه فهو ألين من كل ذي أربع، وأحسن طاعة، ولكن لبعضها صعوبة عند نزوله عنه، فإذا شدوا مقاديم قوائمها بالحبال شدا قويا لانت.

قال: وهي على صعوبتها تأنس سريعا وتلقن سريعا، فأول ما يعلم السجود للملك، فإذا عرفه فكلما رآه سجد له.

٢١٩٥-[صدق حس الفيل]

فأما صدق الحس فهو يفوق في ذلك جميع الحيوان، وهو والجمل سواء إذا علما، لأن الأنثى إذا لقحت لم يعاودها للضراب. فهذه فضيلة مذكورة في حس الجمل، وقد شاركه الفيل فيها وباينه في خصال أخر.

٢١٩٦-[بعض خصائص الفيل]

وإناث الفيلة وذكورها متقاربة في السن، وكذلك النساء والرجال، وهو بحري الطباع، ونشأ في الدفاء، وهو أجرد الجلد، فلذلك يشتد جزعه من البرد. فإن كان أجرد الجلد، فما قولهم في أحاديثهم: طلبوا من الملك الفيل الأبيض والفيل الأبقع، وجاء فلان على الفيل الأسود.

٢١٩٧-[حقد الفيل]

قال: وأخبرني رجل من البحريين لم أر فيهم أقصد ولا أسد ولا أقل تكلفا منه، قال: لم أجدهم يشكون أن فيالا ضرب فيلا فأوجعه فألح عليه، وأنهم عند ذلك نهوه وخوفوه وقالوا: لا تنم حيث ينالك؛ فإنه من الحيوان الذي يحقد ويطالب. ولما أراد ذلك السائس القائلة شده إلى أصل شجرة وأحكم وثاقه، ثم تنحى عنه بمقدار ذراع ونام، ولذلك السائس جمة. قال: فتناول الفيل بخرطومه غصنا كان مطروحا، فوطئ على طرفه

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٣٤/٧

حتى تشعث، ثم أخذه بخرطومه، فوضع ذلك الطرف على جمة الهندي، ثم لواها بخرطومه، فلما ظن أنها قد تشبكت به وانعقدت، جذب العود جذبة فإذا الهندي تحت قوائمه، فخبطه خبطة كانت نفسه فيها.

فإن كان الحديث حقا في أصل مخرجه فكفاك بالفيل معرفة ومكيدة. وإن كان باطلا فإنهم لم ينحلوا الفيل هذه النحلة دون غيره من الدواب إلا وفيه عندهم ما يحتمل ذلك ويليق به.

٢١٩٨-[طيب عرق الفيل]

قال: والعرق الذي يسيل من جبهته في زمن من الزمان يضارع المسك في طيبه، ولا يعرض له وهو في غير بلاده.." (١)

"٢١٩٩-[أثر المدن في روائح الأشياء]

وقد علمنا أن لرائحة الطيب فضيلة إذا كان بالمدينة، وأن الناس إذا وجدوا ريح النوى المنقع بالعراق هربوا منه. وأشراف أهل المدينة ينتابون المواضع التي يكون فيها ذلك، التماسا لطيب تلك الرائحة.

ويزعم تجار التبت ممن قد دخل الصين والزابج «١» ، وقلب تلك الجزائر، ونقب في البلاد، أن كل من أقام بقصبة تبت اعتراه سرور لا يدري ما سببه، ولا يزال مبتسما ضاحكا من غير عجب حتى يخرج منها.

ويزعمون أن شيراز من بين قرى فارس، لها فغمة طيبة. ومن مشى واختلف في طرقات مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجد منها عرفا طيبا وبنة عجيبة لا تخفى على أحد، ولا يستطيع أن يسميها «٢» .

ولو أدخلت كل غالية وكل عطر، من المعجونات وغير المعجونات، قصبة الأهواز أو قصبة أنطاكية لوجدته قد تغير وفسد، إذا أقام فيها الشهرين والثلاثة.

٢٢٠٠-[أثر بعض التمر في العرق]

وأجمع أهل البحرين أن لهم تمرا يسمى النابجي، وأن من فضخه وجعله نبيذا ثم شربه وعليه ثوب أبيض، صبغه عرقه، حتى كأنه ثوب أتحمي «٣» .

٢٢٠١-[استعمال الفيلة]

وزعم لي بعض البحريين أنها بالهند تكون نقالة وعوامل كعوامل البقر والإبل.

والنقالة التي تكون في الكلاء «٤» والسوق. وأنها تذل لذلك وتسامح وتطاوع، وأن لها غلات من هذا الوجه.

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٣٥/٧

وزعم لي أن أحد هذه الفيلة التي رأيناها بسر من رأى، أنه كان لقصار بأرض سندان «٥» ، يحمل عليه الثياب إلى الموضع الذي يغسلها فيه. ولا أعلمه إلا الفيل الذي بعث به ماهان أو زكريا بن عطية.." (١)

"٢٢٠٢-[العاج]

قالوا: وعظام الفيل كلها عاج، إلا أن جوهر الناب أثمن وأكرم. وأكثر ما ترى من العاج الذي في القباب والحجال والفلك والمداهن إنما هو من عظام الفيل، يعرف ذلك بالرزانة والملاسة.

والعاج متجر كبير، ويتصرف في وجوه كثيرة، ولولا قدره لما فخر الأحنف بن قيس فيما فخر به على أهل الكوفة، حيث قال: «نحن أكثر منكم عاجا وساجا، وديباجا، وخراجا» . ويقال إنه من كلام خالد بن صفوان، ويقال إنه من كلام أبي بكر الهذلي.

٢٢٠٣-[موت الذباب]

وإذا خفق بأذنه الفيل فأصاب ذبابا أو يعسوبا أو زنبورا لم يفلح. والفرس الكريم تقع الذبابة على موقي عينيه، فيصفق «١» بأحد جفنيه، فتخر الذبابة ميتة. وقال ابن مقبل «٢» : [من الطويل]

كأن اصطفاق مأقييه بطرفه ... صفاق أديم بالأديم يقابله

ويصيح الحمار فتصعق منه الذبابة فتموت. قال العبشمي: [من الرجز]

من الحمير صعقا ذبانه ... بكل ميثاء كتغريد المغن

وقال عقبة بن مكدم التغلبي: [من الخفيف]

وترى طرفها حديدا بعيدا ... أعوجيا يطن رأس الذباب

وقال ابن مقبل «٣» : [من الطويل]

ترى النعرات الخضر تحت لبانه ... فرادى وشتى أصعقتها صواهله «٤»

وأنشد في غير هذا الباب «٥» : [من الطويل]." (٢)

"وإني لقاض بين شيبان وائل ... ويشكر، إني بالقضاء بصير

وجدنا بني شيبان خرطوم وائل ... ويشكر خنزير أدن قصير «١»

وليس هذا موضع هذين البيتين. وأنشد «٢» : [من الكامل]

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٣٦/٧

(٢) الحيوان الجاحظ ١٣٧/٧

أمسى المضاء ورهطه في غبطة ... ليسوا كما كان المضاء يقول

لا تخرأ الذبان فوق رؤوسهم ... فاليوم تخرأ فوقها وتبول

٢٢٠٤-[قول زياد في بناء داره]

أبو الحسن قال: قال زياد ودخل داره، وكان بناها له فيل مولاه، فلم يرض بناءها، فقال: ادعوا لي فيلا. فلم يجدوه. فقال: ليتها في بطن فيل، وفيل في البحر.

٢٢٠٤-[قصة فيل مولى زياد]

وكان فيل مولى زياد شديد اللكنة، وأهدى بعضهم إلى زياد حمار وحش، فقال فيل «٣» : أصلح الله الأمير، قد أهدوا لنا همار وهش! فقال: أي شيء تقول ويلك؟ قال: أهدوا لنا أيرا. يريد عيرا فقال زياد: الأول أمثل.

٢٢٠٦-[العيثوم]

وكان أبو مالك يقول: العيثوم الفيل الأنثى. وذهب إلى قول الشاعر «٤» : [من الكامل]

وطئت عليك بخفها العيثوم

ويدل قول علقمة بن عبدة على أن العيثوم من صفات الفيل العظيم الضخم.

وقال «٥» : [من البسيط]." (١)

"تتبع جونا إذا ما هيجت زجلت ... كأن دفا على العلياء مهزوم

إذا تزغم من حافاتها ربع ... حنت شعاميم من أوساطها كوم»

يهدي بها أسجح الخدين مختبر ... من الجمال شديد الخلق عيثوم «٢»

٢٢٠٧-[ضرب المثل ببعد ما بين الجنسين]

وقد أكثروا في ضرب المثل ببعد ما بين الجنسين. وقال عبد الرحمن بن الحكم «٣» : [من الوافر]

أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زاني

وأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان

فجعل معاوية من نسل الفيل لشرفه، وجعل زيادا من نسل الحمار لضعته ولعمري لقد باعد؛ لأن الغنم وإن كانت من النعم من ذوات الجرة والكروش فإن ما بين الغنم والإبل بعيد.

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٣٨/٧

وكذلك قول الكميت «٤» : [من الوافر]

وما خلت الضباب معطفات ... على الحيتان من شبه الحسول

قال: فهذا أبعد وأبعد، لأنه وإن ذهب إلى أن ولد نزار عرب فهم في معنى الضباب وساكني الصحارى، وأولئك عجم، فجعلهم كالسمك الذي يعيش في الماء. ألا ترى أن معاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن معاوية، لما قتلته ضبة دست في استه سمكة.

قال جرير «٥» : [من البسيط]

ما بين تيم وإسماعيل من نسب ... إلا قرابة بين الزنج والروم

فقال قطرب: الصقالبة أبعد. قيل له: إن جريرا لا يفصل بين الصقالبة والروم.." (١)

"وعلى معنى الكميت قال الآخر «١» : «حتى يؤلف بين الضب والنون» وتقول العرب «٢» : «لا يكون ذاك حتى يجمع بين الأروى والنعام» لأن الأروى جبلية والنعام سهلية. وقد قال الكميت «٣» : [من الوافر]

يؤلف بين ضفدعة وضب ... ويعجب أن نبر بني أبينا

وهذا هو معناه الأول. وأبعد من هذا قول الشاعر «٤» :

حتى يؤلف بين الثلج والنار

٢٢٠٨-[قصة الجارية وأمها]

وقال أبو الحسن المدائني: قال أبو دهمان الغلابي عن الوقاصي. قال وحدثني بذلك الغيداقي عن الوقاصي قال: قالت جارية لأمها ليلة زفافها: يا أمه، إن كان أير زوجي مثل أير الفيل كيف أحتال حتى أنتفع به؟ قال: فقالت الأم: أي بنية قد سألت عن هذه المسألة أمي فذكرت أنها سألت عنها أمها فقالت: لا يجوز إلا أن يجعلك الله مثل امرأة الفيل. قال: فسكتت حولا ثم قالت لأمها يا أمه، فإني إن سألت ربي أن يجعلني مثل امرأة الفيل أتطمعين أن يفعل ذلك؟ قالت: يا بنية، قد سألت عن هذه المسألة أمي فذكرت أنها سألت عنها أمها فقالت: لا يجوز ذلك إلا أن يجعل الله جميع نساء الرجال مثل نساء الفيلة. قال: فسكتت عنها حولا ثم قالت: فإن سألت ربي أن يجعل نساء جميع الرجال مثل نساء الفيلة أتطمعين أن يفعل ذلك؟

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٣٩/٧

قالت: يا بنية، قد سألت عن مثل هذه أمي فذكرت أنها سألت أمها عنها فقالت: لا يجوز ذلك إلا أن يجعل الله جميع رجال النساء مثل رجال نساء **الفيلة**. قال:

فسكتت عنها حولا ثم قالت فإن سألت ربي أن يجعل جميع رجال النساء مثل جميع رجال نساء **الفيلة** أتطمعين أن يفعل ذلك؟ قال: يا بنية، قد سألت عن هذه المسألة أمي فذكرت أنها قد سألت أمها عنها، وأنها قالت: يا بنية، إن الله إن جعل جميع." (١)

"الناس فيلة لم تجد امرأة **الفيل** مع عظم بدنها من اللذة إلا مثل ما تجدين أنت اليوم مع زوجك من اللذة، ثم تذهب عنك لذة الشم والتقبيل والضم والتقليب، والعطر والصبغ، والحلي والمشطة والعتاب والتفدية وجميع ما لك اليوم. قال: فسكتت حولا ثم قالت: يا أمه، إن سألت ربي أن يجعل أير **الفيل** أعظم أتطمعين أن يفعل ذلك؟ قالت الأم: أي بنية، قد سألت عن هذه المسألة أمي فذكرت أنها سألت عنها أمها، وأنها قالت: أي بنية، إن الله إن جعل أير **الفيل** أعظم، جعل حر امرأة **الفيل** أوسع وأعظم، فيعود الأمر كله إلى الأمر الأول. قال: فسكتت عنها حولا ثم قالت: يا أمه، فإن سألت ربي أن يجعل أير **الفيل** أشد غلمة فيصير عدد أكوامه أكثر أتطمعين أن يفعل ذلك؟ قالت: أي بنية، قد سألت عن هذه المسألة أمي فذكرت أنها سألت أمها عنها، وأنها قالت: أي بنية سلي الله أن يجعل زوجك أشد غلمة مما هو عليه، ولكن لا تسأليه ذلك حتى تسأليه أن يزيدك في غلمتك. قالت: يا أمه، فإن سألت ربي أن يجعله في غلمة التيس أتطمعين أن يفعل ذلك؟ قالت: أي بنية، قد سألت عن مثل هذه المسألة أمي فذكرت أنها سألت عنها أمها، وأنها قالت: لا يجوز أن يجعله في غلمة التيس حتى يجعله تيسا، قالت: يا أمه فإن سألت ربي أن يجعله تيسا أتطمعين في ذلك. قالت: أي بنية، إنه لا يجعله تيسا حتى يجعلك عنزا. قال:

أي أمه، فإن سألته أن يجعله تيسا ويجعلني عنزا أتطمعين أن يفعل ذلك؟ قالت: أي بنية قد سألت عن هذه المسألة أمي فذكرت أنها زارت أمها لتسألها عن هذه المسألة فوجدتها في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، وما أشك أن يومي قد دنا.

فلم تلبث الأم إلا أياما حتى ماتت.

معناها في تسويف اللذة ودفعها بالحيلة.." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٤٠/٧

(٢) الحيوان الجاحظ ١٤١/٧

"٢٢٠٩-[القول في الزرافة]

قالوا: والزرافة تكون في أرض النوبة فقط. قالوا: وهي تسمى بالفارسية أشتركاو بلنك كأنه قال: بعير، بقرة، نمر. لأن كاو هو البقرة، وأشتر هو الجمل، وبلنك هو النمر.

فزعموا أن الزرافة ولد النمرة من الجمل. فلو زعمتم أن الجمل يكوم الضبع ويكوم بعض ما له ظلف ما كان إلا كذلك. والمسافدة في أجناس المخلب والخف والحافر أعم، فلو جعلوا الفحل هو النمر، والأنثى هي الناقة، كان ذلك أقرب في الوهم.

وليس كل ذكر يكوم أنثى يلحقها. وقد يكوم الإنسان الدابة بشهوة منهما جميعا ولا يكون تلاقح كما اتفقا في المسافدة. وإن الراعي يكوم الغنم وغير الغنم.

وانظر، كم من ضرب ادعوا مما لا يعرف: فواحدة أن بهيمة ذكرا اشتهى سبعا أنثى، وهو من أصعب السباع. ثم الثانية أنه ألقح، والثالثة أن أرحام النمور لا تتسع لأولاد الإبل.

قالوا: نمورهم عظام وإبلهم لطاف. وقد تتسع أرحام القلاص العربيّة لفوالج «١» كرمان، فتجيء بهذه الجمازات «٢» . ولولا أنه فسر لجاز أن يكون النمر يكوم الناقة فتتسع أرحامها لذلك.

قالوا: وفي أعالي بلاد النوبة تجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة، في حمارة القيظ إلى شرائع المياه، فتتسافد هناك فيلقح منها ما يلقح، ويمتنع ما يمتنع، فيجيء من ذلك خلق كثير مختلف الصورة والشكل والقدر، منها الزرافة.

وللزرافة خطم الجمل، والجلد للنمر، والأظلاف والقرن للأيل، والذنب للظبي، والأسنان للبقر، فإن كانت أمها ناقة فقد كامها نمر وظبي وأيل في تلك الشرائع.

وهذا القول يدل على جهل شديد.

والزرافة طويلة الرجلين، منحنية إلى مآخيرها، وليس لرجليها ركبتان، وإنما الركبتان ليديها؛ وكذلك البهائم كلها. وعساه إنما أراد الثفنات. والإنسان ركبتاه في رجليه.." (١)

"ويقولون: «أشتر مرك» للنعامة، على التشبيه بالبعير والطائر، يريدون تشابه الخلق، لا على الولادة. ويقولون للجاموس «كاوماش» على أن الجاموس يشبه الكبش والثور، لا على الولادة، لأن كاو بقرة، وماش اسم للضأن.

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٤٣/٧

وقال آخر: تضع أم الزرافة ولدها من بعض السباع، ولا يشعر الناس بذلك الذكر. قالوا: كاوماش على شبه الجواميس بالضأن، لأن البقر والضأن لا يقع بينهما تلاقح. والتفليس «١» الذي في الزرافة لا يشبه الذي في النمر، وهو بالببر أشبه، وما النمر بأحق به من هذا الوجه من الفهد.

٢٢١٠-[تسافد الأجناس المختلفة]

وقد يمكن أن تسمح الضبع للذئب، والذئبة للذبخ، والكلبة للذئب وكذلك الثعلب والهرة، وكذلك الطير وأجناس الحمام كالورداني والورشان والحمام، وكالشهري من بين الحجر والبرذون، والرمكة والفرس، والبغل من بين الرمكة والحمار.

فأما بروك الجمل على النمرة، والجمل لا بد أن تكون طروقته باركة، فكيف تبرك النمرة للجمل، والسباع إنما تتسافد وتتلاقح قائمة، وكذلك الظلف والحافر، والمخلب، والخف. والإنسان والتمساح يتبطنان الأنثى. والطير كله إنما يتسافد ويتلاقح بالأستاه من خلف وهي قائمة.

٢٢١١-[شواذ السفاد]

وزعموا أن الغراب يزاق. والحمر والقبج ربما ألقحا الإناث إذا كانا على علاوة الريح «٢» . ولا تكون الولادة إلا في موضع إلقاء النطفة والشيء الذي يلقح منه.

وأما السمكة فقد عاين قوم معارضة الذكر للأنثى، فإذا سبح الذكر إلى جنب الأنثى عقف ذنبه وعقفت ذنبها، فيلتقي المبالان فتكون الولادة من حيث يكون التلقيح، لا يجوز غير ذلك.

والذين يزعمون «٣» أن الحجلة تلقح من الحجل إذا كانت في سفالة الريح، من." (١)

"شيء ينفصل من الذكر. فإنما شبهوا الحجل بالنخل، فإن النخلة ربما لقحت من ريح كافور الفحال «١» إذا كانت تحت الريح.

٢٢١٢-[المخايرة بين ذوات القرون والجم]

قال: وسئل الشرقي عن مخايرة ما بين ذوات القرون والجم فقال: الإبل والخيل من الخف والحافر. والبرثن والمخلب والقدم التي هي للإنسان. قال: فمن خصال ذي القرن أن منه وإليه ينسب ذو القرنين الملك المذكور في القرآن، ويزعم بعضهم أنه الإسكندر. وقال أمية بن أبي الصلت «٢» : [من الكامل]

رجل وثور تحت رجل يمينه ... والنسر للأخرى وليث مرصد

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٤٤/٧

٢٢١٣-[استطراد لغوي]

ويقال ضربه على قرنه. وقرن من دم، كما يقال قرن من عرق «٣» . والقرن: أمة بعد أمة. والقرن: شيء يصيب فروج النساء يشبه العفلة «٤» .

٢٢١٤-[ذوات القرون]

والفيل من ذوات القرون، وفي الحيات والأفاعي ما لها قرون، وإنما ذلك الذي تسمع أنه قرن إنما هو شيء يقولونه على التشبيه، لأنه من جنس الجلد والغضروف.

ولو كان من جنس القرون لكانت الحية صلبة الرأس، والحية أضعف خلق الله رأسا، ورأسه هو مقتله؛ لأن كل شيء له قرن فرأسه أصلب وسلاحه أتم. والقرن سلاح عتيد غير مجتلب ولا مصنوع، وهو لذوات القرون في الرؤوس. وللكركدن قرن في جبهته، والجاموس أوثق بقرنه من الأسد بمخلبه ونابه.

وتقول المجوس: يجيء بشوتن على بقرة ذات قرون «٥» .

وظهرت الآية في شأن داود وطالوت في القرن. وشبور اليهود من قرن.

والبوق في الحروب مذ كانت الحرب إنما كان قرنا.." (١)

"أنفسها وأولادها من كلاب القناص ومن السباع التي تطيف بها، بالقرون. قال الطرماح «١» : [من الرمل]

أكل السبع طلاها فما ... تسأل الأشباح غير انهزام

٢٢٢٠-[قصة في سفاد الخنزير]

وقال ابن النوشجاني «٢» : أقبلت من خراسان في بعض طرق الجبال فرأيت أكثر من ميلين متصلين في مواضع كثيرة من الأرض، أثر ست أرجل، فقلت في نفسي: ما أعرف دابة لها ست أرجل! فاضطرني الأمر إلى أن سألت المكاري، فزعم أن الخنزير الذكر في زمان الهيج يركب الخنزيرة وهي ترتع أو تذهب نحو مبيتها، فلا يقطع سفاده أميالا، ويداه على ظهرها ورجلاه خلف رجليها، فمن رأى تلك الآثار، رأى ست أرجل، لا يدري كيف ذلك.

٢٢٢١-[ما يعرف بطول السفاد]

قال: فالخنزير في ذلك على شبيه بحال الذباب الذكر إذا سقط على ظهر الأنثى، في طول السفاد.

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٤٥/٧

وإن الجمل في ذلك لعجيب الشأن، فأما العدد فالعصفور، ويحكى أن للورل في ذلك ما ليس لشيء، يعني في القوة، وأنشد أبو عبيدة: [من الرجز]

في عظم أير **الفيل** في رهز الفرس ... وطول عيس جمل إذا دحس «٣»

٢٢٢٢-[فرس الماء]

قال عمرو بن سعيد: فرس الماء يأكل التمساح. قال «٤» : ويكون في النيل خيول، وفي تلك البحور- يعني تلك الخلجان- مثل خيول البر، وهي تأكل التماسيح أكلا شديدا، وليس للتماسيح في وسط الماء سلطان شديد إلا على ما احتمله بذنبه من الشريعة.

قال: وفرس الماء يؤذن بطلوع النيل، بأثر وطء حافره، فحيث وجد أهل مصر أثر تلك الأرجل عرفوا أن ماء النيل سينتهي في طلوعه إلى ذلك المكان.." (١)

"فهرس أبواب المصحف السابع

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٤٧/٧

بعض الأخبار العجيبة ١٠٢

باب الظلف ١٤٢." [(١)]

"إبراهيم بن هانئ:

أحد معاصري الجاحظ، قال فيه الجاحظ: كان ماجنا خليعا كثير العبث متمردا (البيان والتبيين ٩٣/١، البخلاء ١٢٦، ٣٧٠) .

إبراهيم بن هرمة:

إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي، أبو إسحاق شاعر غزل من سكان المدينة، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم، (الأعلام ٥٠/١، البداية والنهاية ١٦٩/١٠) .

إبراهيم بن يحيى:

هو إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد بن هانئ الشجري. يروي عنه وعن أبيه البخاري في غير الصحيح. (تهذيب التهذيب ١٧٦/١) .

أبرهة الأشرم:

كان ملك اليمن، وهو الذي أراد هدم الكعبة، فسار إليها ومعه **الفيل**، فأهلك الله جيشه بالطير الأبابيل، ووقعت في جسده الأكلة، فحمل إلى اليمن، فهلك بها. (المعارف ٦٣٨) .

إبط الشمال (عريب) :

هو معاوية بن حذيفة بن بدر الفزاري، وإبط الشمال يعني الفؤاد.

(معجم الشعراء ٣١١، البيان والتبيين ١٨١/١) .

الأبلق الأسدي:

هو عراف نجد، وفيه يقول عروة بن حزام:

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد إن هما شفياني

(مروج الذهب ٣١١/٢، مقدمة ابن خلدون ٩٤) .

أبي بن خلف:

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٥٦/٧

هو أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، كان أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم في الشعب يوم أحد، وهو يقول أي محمد!! لا نجوت إن نجوت!! فقال القوم يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال: دعوه، فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث ابن الصمة، وطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا (أي تقلب فجعل يتدحرج) (سيرة ابن هشام، يوم أحد) .

أبي بن كعب:

أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حبرا من أحبار اليهود، في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أقرأ أمتي أبي بن كعب» مات بالمدينة سنة ٢١ هـ. (الأعلام ٨٢/١، صفة الصفوة ١٨٨/١) .

أحمد بن حائط:

هو صاحب مذهب الحائطية، وكان من أصحاب النظام، وأخذ عنه وأتى في مذهبه بمنكرات عجيبة، ومما قاله: إن في كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها، وإن في كل أمة منها رسولا من نوعها. (الملل والنحل ٨٠/١، ٨١؛ الفرق ٢٥٥- ٢٩٥) .

أحمد بن الخاركي:

أحمد بن إسحاق، شاعر من شعراء عصر المأمون، وهو منسوب إلى خارك، وهي جزيرة من جزر البحر الفارسي. وكان كثير الشعر، هاجى الفضل الرقاشي هجاء كثيرا. (طبقات ابن المعتز ٣٠٦، البخلاء ٣٧٠) .

أحمد بن أبي داود:

أحمد بن أبي داود فرج بن جرير، كان موصوفا بالجود والسخاء وحسن." (١)

"(الثاء)

ثعلبة بن صعير المازني:

ثعلبة بن صعير بن خزاعي المازني التميمي المري، شاعر جاهلي من شعراء المفضليات، له فيها قصيدة من الطوال، (الأعلام ٩٩/٢) .

ثمامة بن أشرس:

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤٣٦/٧

أبو معن، ثمامة بن أشرس النميري، من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين، والجاحظ من تلاميذه، توفي سنة ٢١٣ هـ. (الأعلام ٢/١٠٠) .

ثوب بن شحمة:

شاعر جاهلي، قال الجاحظ عنه: كان ثوب هذا أكرم نفسا عندهم من أن يطعم خبيثا ولو مات عندهم جوعا، وله قصص؛ ولقد أسر حاتم الطائي وظل عنده زمانا. (البخلاء ٢٣٦، التاج «ثوب») .

(الجيم)

جابر الجعفي:

أبو عبد الله، جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، تابعي، من فقهاء الشيعة كان واسع الرواية، توفي سنة ١٢٨ هـ. (الأعلام ٢/١٠٥، تهذيب التهذيب ٢/٤٦) .

جابر بن حني:

جابر بن حني بن حارثة التغلبي، شاعر جاهلي من أهل اليمن، طاف أنحاء نجد وبادية العراق، توفي نحو سنة ٦٠ ق. هـ. (الأعلام ٢/١٠٣، سمط اللآلي ٤٨٢) .

جابر بن عبد الله:

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، الخزرجي الأنصاري السلمي، صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم توفي سنة ٧٨ هـ. (الأعلام ٢/١٠٤) .

الجارود بن أبي سبرة:

وهو يكنى أبا نوفل، من أبين الناس وأحسنهم حديثا، وكان راوية علامة وشاعرا مفلقا، وكان من رجال الشيعة ولما استنطقه الحجاج قال: ما ظننت أن بالعراق مثل هذا، توفي سنة ١٢٠ هـ. (تقريب التهذيب ١٢٨) .

الجارود بن المعلي العبدي:

اسمه بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدي، من عبد القيس صحابي جليل، وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم في وفد عبد القيس سنة عشر للهجرة، وكان نصرانيا فأسلم وحسن إسلامه، وكان له موقف حسن في الردة، ولقب بالجارود لأنه فر بإبله إلى أخواله بني شيبان من بكر بن وائل، وبإبله داء، ففشا ذلك الداء في إبل أخواله، فأهلكها، توفي سنة ٢١ هـ، في خلافة عمر رضي الله عنه. (الإصابة ١٠٣٨، المعارف ١٤٧، الميداني ١/١٧٣، السيرة ٩٤٤، ٩٤٥) .

جالينوس:

الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني، إمام الأطباء في عصره؛ ورئيس الطبيعيين في وقته، ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان.

(عيون الأنباء ١٠٩) .

جبار بن سلمى:

هو جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر بن كلاب، أحد الصحابة، أسلم بعد وقعة بئر معونة لسبب طريف، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين (الإصابة ١٠٥، السيرة ٦٥٠- ٩٣٩، البيان ٥٤/١، شروح سقط الزند ٥٠٠) .." (١)

"أبو عبيدة:

معمر بن المثنى التيمي، بالولاء، البصري، أبو عبيدة النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة، قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، له نحو ٢٠٠ مؤلف، منها نقائض جرير والفرزدق، توفي سنة ٢٠٩ هـ. (الأعلام ٢٧٢/٧) .

عتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو:

أبو ورقاء الرياحي اليربوعي التميمي، قائد، من الأبطال، ولاه مصعب بن الزبير إمارة أصبهان، توفي سنة ٧٧ هـ. (الأعلام ٢٠٠/٤) .

أبو العتاهية:

إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العتري، أبو إسحاق، الشهير بأبي العتاهية شاعر مكثر، كان ينظم ١٥٠ بيتا في اليوم، توفي سنة ٢١١ هـ. (الأعلام ٣٢١/١) .

عتيبة بن الحارث بن شهاب التميمي:

فارس تميم في الجاهلية، كان يلقب سم الفرسان، قال ابن أبي الحديد: أبطال الجاهلية ثلاثة، عامر بن الطفيل وبسطام بن قيس وعتيبة بن الحارث، وكانوا يقولون لو أن القمر سقط من السماء ما التقفه غير عتيبة. (الأعلام ٢٠١/٤) .

أبو عثمان:

---

(١) الحيوان الجاحظ ٤٤٥/٧

عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، فلج في آخر عمره، كان مشوه الخلقة، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، توفي سنة ٢٥٥ هـ. (الأعلام ٧٤/٥) .

عثمان بن حيان بن معبد المري:

أبو المغراء، من الغزاة، من أهل دمشق، غزا قيصرة من أرض الروم، هو ثقة عند أهل الحديث، توفي سنة ١٥٠ هـ. (الأعلام ٢٠٥/٤) .

عثمان بن أبي العاص:

ابن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف، صحابي من أهل الطائف أسلم في وفد ثقيف، هو الذي منع ثقيفا عن الردة، توفي سنة ٥١ هـ. (الأعلام ٢٠٧/٤) .

عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش، ثالث الخلفاء الراشدين، ذو النورين، أحد العشرة المبشرين بالجنة، من أعظم أعماله في الإسلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله، توفي سنة ٣٥ هـ. (الأعلام ١٠2/٤) .

عثمان بن مظعون:

عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب، صحابي كان من حكماء العرب في الجاهلية، يحرم الخمر، رقمه ١٣ في الإسلام، هو أول من مات في المدينة من المهاجرين سنة ٢ هـ. (الأعلام ٢١٤/٤) .

عثمان بن مقسم البري:

أبو سلمة الكندي، بالولاء، أحد أئمة الأعلام في الحديث، على ضعف فيه، كان صاحب بدعة، قدريا، ينكر الميزان يوم القيامة، ويقول إنما هو العدل، توفي سنة ١٦٣ هـ. (الأعلام ٢١٤/٤، ٢١٥) .

العجاج:

عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء، راجز مجيد، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أسلم، توفي نحو سنة ٩٠ هـ. (الأعلام ٨٦/٤) .

العجير السلولي:

العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب، من بني سلول، من شعراء الدولة الأموية، كنيته أبو الفرزدق، وأبو الفيل، توفي نحو سنة، ٩٠ هـ. (الأعلام ٤/٢١٧) .." [١]

"في زحفه على مكة، تنسب له أبيات في يوم الفيل. (الأعلام ٨/٤٥) .

النمر بن تولب:

النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي، شاعر مخضرم، لم يمدح ولم يهج أحدا، كان من ذوي النعمة والوجاهة، جوادا وهابا لماله، توفي نحو ١٤ هـ. (الأعلام ٨/٤٨) .

نهشل بن حري:

نهشل بن حري بن ضمرة الدارمي، شاعر مخضرم، كان من خير بيوت بني دارم، أسلم ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم كان مع علي في وقعة صفين، توفي نحو ٤٥ هـ. (الأعلام ٨/٤٩) .

(الهاء)

هارون الرشيد:

هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم، توفي سنة ١٩٣ هـ. (الأعلام ٨/٦٢) .

هاشم بن عبد مناف:

هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، من قريش، ومن بنيه الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه عمرو وغلب عليه لقب هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة، وهو أول من سن الرحلتين لقريش، توفي نحو سنة ١٢٧ ق. هـ. (الأعلام ٨/٦٦) .

هدبة:

هدبة بن خشرم بن كرز، من بني عامر بن ثعلبة، شاعر فصيح، كنيته أبو عمير، كان راوية للحطيئة، توفي نحو سنة ٥٠ هـ. (الأعلام ٨/٧٨) .

هرثمة بن أعين:

أمير، من القادة الشجعان، له عناية بالعمران، بنى في أرمينية، وأفريقية وغيرهما، توفي سنة ٢٠٠ هـ. (الأعلام ٨/٨١) .

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٤٦٨

هرم:

هرم بن هني بن بلي، من قضاعة، جد جاهلي، من نسله النعمان بن عصر البلوي الهرمي صحابي من أهل بدر. (الأعلام ٨/٨٣) .

هشام بن الحكم:

هشام بن الحكم الشيباني، بالولاء، أبو محمد، متكلم مناظر، كان شيخ الإمامية في وقته، توفي نحو سنة ١٩٠ هـ. (الأعلام ٨/٨٥) .

أبو هريرة:

عبد الرحمن بن صخر الدوسي، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له، أسلم سنة ٧ هـ، روى ٥٣٧٤ حديثا، توفي سنة ٥٩ هـ. (الأعلام ٣/٣٠٨) .

هشام بن حسان:

هشام بن حسان الأزدي، أبو عبد الله القردوسي، محدث من أهل البصرة توفي سنة ١٤٧ هـ. (الأعلام ٨/٨٥) .

هشام بن عبد الملك:

هشام بن عبد الملك بن مروان، من ملوك الدولة الأموية، ولد في دمشق، توفي سنة ١٢٥ هـ. (الأعلام ٨/٨٦) .

هشام بن محمد بن السائب الكلبي:

هشام بن محمد، أبو النضر، ابن السائب بن بشر الكلبي مؤرخ، عالم بأنساب وأخبار وأيام العرب، توفي سنة ٢٠٤ هـ. (الأعلام ٨/٨٧) .

هشام بن المغيرة:

هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي، من سادات العرب في الجاهلية، كانت قريش وكنانة ومن والاهم يؤرخون بثلاثة أشياء: بناء الكعبة وعام **الفيل** ثم بموت هشام. (الأعلام ٨/٨٨) .." [١]

" نهاية النعمان في سجن كسرى

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٤٨٣

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده وبعث به إلى سجن كان له بخانقين فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه

وقال حماد الراوية والكوفيون بل مات بساباط في حبسه

وقال ابن الكلبي ألقاه تحت أرجل **الفيلة** فوطئته حتى مات واحتجوا بقول الأعشى

(فذاك وما أنجى من الموت ربه ... بساباط حتى مات وهو محزرق)

قال المحزرق المضيق عليه

وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين وقالوا لم يزل محبوسا مدة طويلة وإنه إنما مات بعد ذلك لحين قبيل الإسلام وغضبت له العرب حينئذ وكان قتله سبب وقعة ذي قار ." (١)

" قال بشار لي اثنا عشر ألف بيت جيدة فقيل له كيف قال لي اثنتا عشرة ألف قصيدة أما في كل قصيدة منها بيت جيد

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره كان بشار شاعرا خطيبا صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المفتنين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه قال الشعر في حياة جرير وتعرض له وحكى عنه أنه قال هجوت جريرا فأعرض عني ولو هاجاني لكنت أشعر الناس

قال الجاحظ وكان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين وذكر ذلك في شعره فقال

(الأرض مظلمة والنار مشرقة ... والنار معبودة مذ كانت النار)

قال وبلغه عن أبي حذيفة واصل بن عطاء إنكار لقوله وهتف به فقال يهجوه

(ما لي أشايع غزالا له عنق ... كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا)

(عنق **الزرافة** ما بالي وبالكم ... تكفرون رجالا كفروا رجلا)

قال فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على إلحاده خطب به واصل وكان ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢/١٢٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣/١٣٧

" قال وبعث بالرقعة إلى الرجل فدعا بوكيله وقال له ويلك تعلم أني أفتدي من بشار بما أعطيه وتوقعني في لسانه إذهب فاشتر أضحية وإن قدرت أن تكون مثل **الفيل** فافعل وابلغ بها ما بلغت وابعث بها إليه

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي قال حدثني عمي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال

رأيت بشارا المرعث يرثي بنية له وهو يقول

(يا بنت من لم يك يهوى بنتا ... ما كنت إلا خمسة أو ستا)

(حتى حللت في الحشى وحتى ... فتت قلبي من جوى فانفتا)

(لأنت خير من غلام بتا ... يصبح سكران ويمسي بهتا)

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال

كان نافع بن عقبة بن سلم جوادا ممدحا وكان بشار منقطعا إلى أبيه فلما مات أبوه وفد إليه وقد ولي أبيه فمدحه بقوله

(ولنافع فضل على أكفائه ... إن الكريم أحق بالتفضيل)

(يا نافع الشبرات حين تناوحت ... هوج الرياح وأعقبت بوبول)

(أشبهت عقبة غير ما متشبه ... ونشأت في حلم وحسن قبول)

(ووليت فينا أشهرا فكفيتنا ... عنت المريب وسلة التضليل)

(تدعى هلالا في الزمان ونافعا ... والسلم نعم أبوة المأمول)

فأعطاه مثل ما كان أبوه يعطيه في كل سنة إذا وفد عليه ." (١)

" بقية ثمود ويلكم وهل نجا من ثمود إلا خيارهم ومن آمن بصالح فبقي معه عليه السلام ثم قال قال الله تعالى (وثمود فما أبقى)

فبلغ ذلك الحسن البصري فتضاحك ثم قال حكم لكع لنفسه إنما قال عز و جل (فما أبقى) أي لم يبقهم بل أهلكهم

فرفع ذلك إلى الحجاج فطلبه فتوارى عنه حتى هلك الحجاج

وهذا كان سبب تواريه منه

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣/٢٢٧

ذكر ابن الكلبي أنه بلغه عن الحسن

وكان حماد الراوية يذكر أن أبا رغال أبو ثقيف كلها وأنه من بقية ثمود وأنه كان ملكا بالطائف فكان يظلم رعيته

فمر بامرأة ترضع صبيا يتيما بلبن عنز لها فأخذها منها وكانت سنة مجدبة فبقي الصبي بلا مرضعة فمات فرماه الله بقارعة فأهلكه فرجمت العرب قبره وهو بين مكة والطائف

وقيل بل كان قائد **الفيل** ودليل الحبشة لما غزوا الكعبة فهلك فيمن هلك منهم فدفن بين مكة والطائف فمر النبي بقبره فأمر برجمه فرجم فكان ذلك سنة

قال ابن الكلبي وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال

كان ثقيف والنخع من إياد فثقيف قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم بن أقصى بن دعمي بن إياد

والنخع بن عمرو بن الطمنان بن عبد مناة بن يقدم بن ." (١)

" انقطع ليزيد فجفاه هشام

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال حدثني محمد بن عبد الرحمن العبدي عن حميد بن محمد الكوفي عن إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي عن محمد بن أنس وأخبرني الحسن بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية وخبر حماد بن إسحاق أتم واللفظ له

قال حماد الراوية كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرا فلما لم أسمع أحد يذكرني سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة ثم جلست عند باب **الفيل** فإذا للشرطين قد وقفا علي فقالا لي يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر فقلت في نفسي من هذا كنت أحذر ثم قلت للشريطيين هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبدا ثم أصير معكما إليه فقالا ما إلى ذلك من سبيل فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى إلي كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤/٢٩٩

من يأتيك به غير مروع ولا متعتع وادفع إليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق ." (١)

" من هو الأشعر الأخطل أم جرير أم الفرزدق

وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ومحله في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة فجعلها ابن سلام أول طبقات الإسلام ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل ولكل واحد منهم طبقة تفضله عن الجماعة

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عبيدة قال

جاء رجل إلى يونس فقال له من أشعر الثلاثة قال الأخطل قلنا من الثلاثة قال أي ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم قلنا عمن تروي هذا قال عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء وعنبسة الفيل وميمون الأقرن الذين ماشوا الكلام وطرقوه أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عبيدة عن يونس فذكر مثله وزاد فيه لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نحويون فقلت للرجل سله وبأي شيء فضلوه قال بأنه كان أكثرهم عدد طوال جياد ليس فيها سقط ولا فحش وأشدهم تهذيبا للشعر فقال ابو وهب الدقاق أما إن حمادا وجنادا كانا لا يفضلانه فقال وما حماد وجناد لا نحويان ولا بدويان ولا يبصران الكسور ولا يفصحان وأنا ." (٢)

" ذكروا الفرزدق وجريرا في حلقة المدائني فقلت لصباح بن خاقان أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما قال هات فأنشدته

(ألم يأتها أن الأراقم فلقت ... جماجم قيس بين راذان والحضر)

(جماجم قوم لم يعافوا ظلامة ... ولم يعرفوا أين الوفاء من الغدر)

قال فسكت

قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة أن يونس سئل عن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أشعر قال أجمعت العلماء على الأخطل فقلت لرجل إلى جنبه سله ومن هم فقال من شئت ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨٤/٦

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٩٣/٨

العلاء وعيسى بن عمر وعنبسة الفيل وميمون الأقرن هؤلاء طرقوا الكلام وماشوه لا كمن تحكمون عنه لا بدويين ولا نحويين فقلت للرجل سله وبأي شيء فضل على هؤلاء قال بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياد ليس فيها فحش ولا سقط قال أبو عبيدة فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عشرا بهذه الصفة وإلى جانبها عشرا إن لم تكن مثلها فليست بدونها ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثا قال إسحاق فسألت أبا عبيدة عن العشر فقال

(عفا واسط من آل رضوى فنبتل ...) و

(تأبد الربع من سلمى بأحفار ...) ." (١)

" أنت لا تحتمل المئونة وليس عندك معتمد فلم يزل به حتى انتجعه فأتى الباب فقال يا شقراء فخرجت إليه امرأة فقال لأمه هذا أبو مالك قد أتاني فباعت غزلا لها واشترت له لحما ونبيذا وريحانا فدخل خصا لها فأكل معه وشرب وقال في ذلك

(وبيت كظهر الفيل جل متاعه ... أباريقه والشارب المتقطر)

(ترى فيه أثلام الأصيص كأنها ... إذا بال فيها الشيخ جفر معور)

(لعمرك ما لاقيت يوم معيشة ... من الدهر إلا يوم شقراء أقصر)

(حوارية لا يدخل الذم بيتها ... مطهرة يأوي إليها مطهر)

وذكر هارون بن الزيات هذا الخبر عن حماد عن أبيه أنه كان نازلا على عكرمة الفياض وأنه خرج من عنده يوما فمر بفتيان يشربون ومعهم قينة يقال لها شقراء وذكر الخبر مثل ما قبله وزاد فيه فأقام عندهم أربعة أيام وظن عكرمة أنه غضب فانصرف عنه فلما أتاه اخبره بخبره فبعث إلى الفتيان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف فمضى بها إليهم وقال استعينوا بهذه على أمركم ولم يزل ينادمهم حتى رحل

اجتماع الشعراء الثلاثة عند بشر بن مروان

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال

اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان وكان بشر يغري بين الشعراء فقال للأخطل احكم بين الفرزدق وجرير فقال اعفني أيها الأمير ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٠٢/٨

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٢٦/٨

" ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره

هو فيما ذكر الكلبي والقحذمي وغيرهما قيس بن ذريح بن سنة ابن حذافة بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة وهو علي ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وذكر أبو شراعة القيسي أنه قيس بن ذريح بن الحباب بن سنة وسائر النسب متفق واحتج بقول قيس

(فإن يك تهيامي بلبنى غواية ... فقد يا ذريح بن الحباب غويت)

وذكر القحذمي أن أمه بنت سنة بن الذاهل بن عامر الخزاعي وهذا هو الصحيح وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سنة شاعر وهو الذي يقول

(ضربوا الفيل بالمغمس حتى ... ظل يحبو كأنه محموم)

وفيه يقول قيس

(أنبئت أن لخالي هجمة حبسا ... كأنهن بجنب المشعر النصل) ." (١)

" (حلت خويلة في دار مجاورة ... أهل المدينة فيها الديك والفيل)

(يقارعون رؤوس العجم ضاحية ... منهم فوارس لا عزل ولا ميل)

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال أرثى بيت قالته العرب قول عبدة بن الطبيب

(فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما)

وتمام هذه الأبيات أنشدناه علي بن سليمان الأخفش عن السكري والمبرد والأحول لعبدة يرثي قيسا

(عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما)

(تحية من أوليته منك نعمة ... إذا زار عن شحط بلادك سلما)

(وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما)

كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنانداني عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٩/٢١٠

قال رجل لخالد بن صفوان كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو فقال لا تقل ذاك فوالله ما أبى من عي ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة كما يرى تركه مروءة وشرفا قال ." [1]

" (فلما أحسوا النوم جاءوا كأنهم ... سباع أصابت هجمة بسليل)

(فقلدت سوار بن عمرو بن مالك ... بأسمر جسر القذتين طميل)

(فخر كأن الفيل ألقى جرانه ... عليه بريان القواء أسيل)

(وظل رعاع المتن من وقع حاجز ... يخر ولو نهنهت غير قليل)

(لأبت كما آبا ولو كنت قارنا ... لجئت وما مالكت طول ذميلي)

(فسرك ندماناك لما تتابعا ... وأنك لم ترجع بعوص قتيل)

(ستأتي إلى فهم غنيمة خلسة ... وفي الأزد نوح ويلة بعويل)

فقال حاجز بن أبي الأزدي يجيبه

(سألت فلم تكلمني الرسوم ...)

وهي في أشعار الأزد

فأجابه تأبط شرا

(لقد قال الخلي وقال خلسا ... بظهر الليل شد به العكوم)

(لطيف من سعاد عناك منها ... مراعاة النجوم ومن يهيم) ." [2]

" (وظل ثلاثا يسأل الحي ما يرى ... يؤامرهم فينا له أملان)

(فإن كنت هذا الدهر لا بد شاكرا ... فلا تثقن بالشكر في غطفان)

تأريخ يوم جبلة وما قيل فيه من الشعر

قال وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مولد النبي بتسع عشرة سنة

وولد النبي عام الفيل ثم أوحى الله إليه بعد أربعين سنة وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وقدم عامر بن الطفيل في السنة التي قبض فيها قال وهو ابن ثمانين سنة

وقال المعقر بن أوس بن حمار البارقي حليف بني نمير بن عامر

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣١/١٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٦٤/١٠

(أمن آل شعثاء الخمول البواكر ... مع الليل أم زالت قبيل الأباعر)

(وحلت سليمى في هضاب وأيكة ... فليس عليها يوم ذلك قادر)

(وأتت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر)

(وصبحها أملاكها بكتيبة ... عليها إذا أمست من الله ناظر)

(معاوية بن الجون ذبيان حوله ... وحسان في جمع الرباب مكاثر)

(فمروا بأطناب البيوت فردهم ... رجال بأطراف الرماح مساعر)

(وقد جمعوا جمعا كأن زهاءه ... جراد هوى في هبوة متطاير) ." (١)

" **الفيل** إذ رأيت أعرابيا قد جاء يسحب أهداما له حتى إذا توسط المسجد خر ساجدا ثم رمى ببصره فرأى الكميت والطرماح فقصدهما فقلت من هذا الحائن الذي وقع بين هذين الأسدين وعجبت من سجدته في غير موضع سجود وغير وقت صلاة فقصدته ثم سلمت عليهم ثم جلست أمامهم فالتفت إلى الكميت فقال أسمعني شيئا يا أبا المستهل فأنشده قوله

(أبت هذه النفس إلا أدكارا ...)

حتى أتى على آخرها فقال له أحسنت والله يا أبا المستهل في ترقيص هذه القوافي ونظم عقدها ثم التفت إلى الطرماح فقال أسمعني شيئا يا أبا ضبينة فأنشده كلمته التي يقول فيها

(أساءك تقويض الخليط المباين ... نعم والنوى قطاعة للقرائن)

فقال لله در هذا الكلام ما أحسن إجابته لرويتك إن كدت لأطيل لك ." (٢)

" (أله عن بضعها فإن دقاقا ... شؤم حرها قد سار في الآفاق)

(لم تضاجع بعلا فهب سليما ... بل جريحا وجرحه غير راقي)

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني الهدادي الشاعر قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظة عن ابن حمدون ورواية الكوكبي أتم قال كتبت دقاق إلى أبي تصف هنها صفة أعجزه الجواب عنها فقال له صديق له ابعث إلى بعض المخنثين حتى يصف متاعك فيكون جوابها فأحضر بعضهم وأخبره الخبر اكتب إليها عندي القوق البوق الأصلع المزبوق الأقرع المفروق المنتفخ العروق يسد

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٦٤/١١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤٧/١٢

البثوق ويفتق الفتوق ويرم الخروق ويقضي الحقوق أسد بين جملين بغل بين حملين منارة بين صخرتين رأسه رأس كلب واصله مترس درب إذا دخل حفر وإذا خرج قشر لو نطح **الفيل** كوره ولو دخل البحر كدره إذا رق الكلام وتقاربت الأجسام والتفت الساق بالساق ولطخ باطنها بالبصاق وقرع البيض بالذكور وجعلت الرماح تمور بطعن الفقاح ." (١)

" أخبرنا أبو جعفر بن رستم الطبري النحوي بذلك عن أبي عثمان المازني عن أبي عمر الجرمي عن أبي الحسن الأخفش عن سيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي عن عنبسة **الفيل** وميمون الأقرن عن يحيى بن يعمر الليثي

أن أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشد الحر رفعت أشد فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد فقال لها شهر ناجر يريد شهر صفر الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء فقالت يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل فقال له وما ذلك فأخبره خبر ابنته فأمره فاشترى صحفا بدرهم وأمل عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وهذا القول أول كتاب سيبويه ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرعوها قال أبو الفرج الأصبهاني هذا حفظته عن أبي جعفر وأنا حديث السن فكتبته من حفظي واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه

كان أول من نقط المصاحف

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال

أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف فنقطها ورسم من النحو ." (٢)

" غضب معاوية عليه

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا الخليل بن أسد عن العمري ولم أسمعه من العمري عن الهيثم بن عدي قال لما ادعى معاوية زيادا قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد وذلك غلط قال

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٢٩/١٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٤٧/١٢

(ألا أبلغ معاوية بن حرب ... مغلغلة من الرجل الهجان)

(أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زان)

(فأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان)

(وأشهد أنها ولدت زيادا ... وصخر من سمية غير داني) - وافر -

فبلغ ذلك معاوية بن حرب فحلف ألا يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد فخرج عبد الرحمن إلى زياد فلما دخل عليه قال له إيه يا عبد الرحمن أنت القائل ." (١)

" أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني أبو هفان قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني المسيبي

أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأة أنصارية فطال لبثها عنده حتى ملها وأبغضها فقال يهجوها

(يا رمل أنت الغول بين رمال ... لم تظفري بتقى ولا بجمال)

(يا رمل لو حدثت أنك سلفع ... شوهاء كالسعلاة بين سعالي)

(ما جاء يطلبك الرسول بخطبة ... مني ولا ضمت عليك حبالي)

(ولقد نهى عنك النصيح وقال لي ... لا تقرنن بذية بعيال)

(لما هززت مهندي وقذفته ... فيها وقد ارهفته بصقال)

(رجع المهند ما له من حيلة ... وهناك تصعب حيلة المحتال)

(وكأنما أولجته في قلة ... قد بردت للصوم أو بوقال)

(ورأيت وجها كاسفا متغيرا ... وحرا أشق كمركن الغسال)

(ما كان أير الفيل بالغ قعره ... بتحامل عنه ولا إدخال)

(ولقد طعنت مبالها بسلاحها ... فوجدت أخبث مسلح ومبال)

قال وقال لها وقد فخرت

(هلا سألت منازلا بغرار ... عمن عهدت به من الأحرار)

(أين انتأوا ونحاهم صرف النوى ... عنا وصرف مقحم مغيار) ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٣/٢٩٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٤/١٢٣

" وقال ابن الأعرابي كان على ابن الزبير دين لجماعة فلازموه ومنعوه التصرف في حوائجه وألح عليه غريم له من بني نهشل يقال له ذئب فقال ابن الزبير

(أحابس كيد الفيل عن بطن مكة ... وأنت على ما شئت جم الفواضل)

(أرحني من اللائي إذا حل دينهم ... يمشون في الدارات مشي الأرامل)

(إذا دخلوا قالوا السلام عليكم ... وغير السلام بالسلام يحاول)

(ألين إذا اشتد الغريم وألتوى ... إذا استد حتى يدرك الدين قابل)

(عرضت على زيد ليأخذ بعض ما ... يحاوله قبل اشتغال الشواغل)

(تثاءب حتى قلت داسع نفسه ... وأخرج أنيابا له كالمعاول)

وقال ابن الأعرابي استجار ابن الزبير بمروان بن الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أم الحكم فأجاراه وقاما بأمره ودخل مع مروان إلى المدينة وقال في ذلك ." (١)

" (وإلا أكن فيكم خطيبا فإنني ... بسيفي إذا جد الوغى لخطيب)

فبلغت كلماته خالد بن صفوان ويقال الأحنف بن قيس فقال والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه ولو أن كلاما استخفني فأخرجني من بلادي إلى قائله استحسانا له لأخرجتني هذه الكلمات إلى قائلها وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف

هجاه حاجب الفيل لعيه في الكلام

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير بن حرب عن دعبل بن علي قال كان يزيد بن المهلب تقدم إلى ثابت قطنة في أن يصلي بالناس يوم الجمعة فلما صعد المنبر ولم يطق الكلام قال حاجب الفيل يهجوه

(أبا العلاء لقد لقيت معضلة ... يوم العروبة من كرب وتخنيق)

(أما القران فلم تخلق لمحكمه ... ولم تسدد من الدنيا لتوفيق)

(لما رمتك عيون الناس هبتهم ... فكدت تشرق لما قمت بالريق)

(تلوي اللسان وقد رمت الكلام به ... كما هوى زلق من شاهق النيق)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٣٥/١٤

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح قال كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازني وهو حاجب الفيل ." (١)

" والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة وكعب الأشقري أن حاجبا دخل على يزيد بن المهلب فلما مثل بين يديه أنشده

(إليك أمتطيت العيس تسعين ليلة ... أرجي ندى كفيك يابن المهلب)

(وأنت امرؤ جادت سماء يمينه ... على كل حي بين شرق ومغرب)

(فجد لي بطرف أعوجي مشهر ... سليم الشظا عبل القوائم سلهب)

(سبوح طموح الطرف يستن مرجم ... أمر كإمرار الرشاء المشذب)

(طوى الضمر منه البطن حتى كأنه ... عقاب تدلت من شماريخ كبكب)

(تبادر جنح الليل فرخين أقويا ... من الزاد في قفر من الأرض مجدب)

(فلما رأت صيدا تدلت كأنها ... دلاة تهاوى مرقبا بعد مرقب)

(فشكت سواد القلب من ذئب قفرة ... طويل القرا عاري العظام معصب) ." (٢)

" (وسابغة قد أتقن القين صنعها ... وأسمر خطي طويل محرب)

(وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهاب متى يلق الضريبة يقضب)

(وقل لي إذا ما شئت في حومة الوغى ... تقدم أو اركب حومة الموت أركب)

(فإني امرؤ من عصبة مازنية ... نماني أب ضخم كريم المركب)

قال فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له قد عرفت ما شرطت لنا على نفسك فقال أصلح الله الأمير حجتي بينة وهي قول الله عز و جل (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فقال له ثابت قطنة ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة مدحت الأمير ببيتين وسألته حوائجك في عشرة أبيات وختمت شعرك ببيت تفخر عليه فيه حتى إذا أعطاك ما أردت حدت عما شرطت له على نفسك فأكذبتها كأنك كنت تخدعه فقال له يزيد مه يا ثابت فإنا لا نخدع ولكنا نتخادع وسوغه ما أعطاه وأمر له بألفي درهم ولج حاجب يهجو ثابتا فقال فيه

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٥٦/١٤

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٥٧/١٤

(لا يعرف الناس منه غير قطنته ... وما سواها من الأنساب مجهول)

خبره مع حاجب الفيل عند يزيد بن المهلب

قال ودخل حاجب يوما على يزيد بن المهلب وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقري وكانا لا يفارقان مجلسه فوقف بين يديه فقال له تكلم يا حاجب ." (١)

" (دعوني وقحطانا وقولوا لثابت ... تنح ولا تقرب مصاولة البزل)

(فللزنج خير حين تنسب والدا ... من أبناء قحطان العفاشلة الغرل)

(أناس إذا الهيجاء شبت رأيتهم ... أذل على وطء الهوان من النعل)

(نساؤهم فوضى لمن كان عاهرا ... وجيرانهم نهب الفوارس والرجل)

اخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال وحدثني دعبل قال بلغني أن ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوما فقال

(لا يعرف الناس منه غير قطنته ... وما سواها من الأنساب مجهول)

وقال هذا بيت سوف أهجي به أو بمعناه وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال اشهدوا أني قائله فقالوا ويحك ما أردت إلا أن تهجو نفسك به ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا فقال لا بد من أن يقع على خاطر غيري فأكون قد سبقته إليه فقالوا له أما هذا فشر قد تعجلته ولعله لا يقع لغيرك فلما هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله فشهدوا على ذلك فقال يرد على حاجب

(هيهات ذلك بيت قد سبقت به ... فاطلب له ثانيا يا حاجب الفيل)

ميله إلى قول المرجئة

أخبرني أحمد بن عثمان العسكري المؤدب قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا قعنب بن المحرز الباهلي عن أبي عبيدة قال كان ثابت قطنة قد جالس قوما من الشراة وقوما من المرجئة كانوا يجتمعون فيتجادلون ." (٢)

" مدح قتيبة بن مسلم وهجاء يزيد بن المهلب

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٤/٢٥٨

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٤/٢٦١

أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي ولقيط وغيرهما قالوا حاصر يزيد بن المهلب مدينة خوارزم في أيام ولايته فلم يقدر على فتحها واستصعب عليه ثم عزل وولي قتيبة بن مسلم فزحف إليها فحاصرها ففتحها فقال كعب الأشقري يمدحه ويهجو يزيد بن المهلب بقوله

(رمتك فيل بما فيها وما ظلمت ... من بعد ما رامها الفجفاجة الصلف)

(قيس صريح وبعض الناس يجمعهم ... قرى وريف ومنسوب ومقترف)

(منهم شناس ومرداذاء نعرفه ... وفسخراء قبور حشوها القلف)

(لم يركبوا الخيل إلا بعدما هرموا ... فهم ثقال على أكتافها عنف)

قال الفيل الذي ذكره هو حصن خوارزم يقال له الكهندر والكهندر الحصن العتيق والفجفاجة الكثير الكلام وشناس اسم أبي صفرة فغيره وتسمى ظالما ومرداذاء أبو أبي صفرة وسموه بسراق لما تعربوا وفسخراء جده وهم قوم من الخوز من أهل عمان نزلوا الأزد ثم ادعوا أنهم صليبة صرحاء منهم

صوت

(لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا ... وقفت به يوما إلى الليل حابسا) ." (١)

" وكتب فيه أن يؤتى به

فلما أتي به سأل الرسول ليدخل إلى يزيد أولا فأدخله عليه فقال هذا الذي كنت أخاف

قال لا تخف شيئا

ودخل على معاوية فقال علام أرسل إلى هذا الرجل وهو يرمي من وراء جمرتنا قال هجا الأنصار

قال ومن زعم ذلك قال النعمان بن بشير

قال لا تقبل قوله عليه وهو يدعي لنفسه ولكن تدعوه بالبينة فإن ثبت شيئا أخذته به له

فدعاه بالبينة فلم يأت بها فخلى سبيله

فقال الأخطل - طويل -

(وإني غداة استعبرت أم مالك ... لراض من السلطان أن يتهددا)

(ولولا يزيد ابن الملوك وسعيه ... تجللت حدبارا من الشر أنكدا)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٩١/١٤

(فكم أنقذتني من خطوب حباله ... وخرساء لو يرمى بها الفيل بلدا)

(ودافع عني يوم جلق غمرة ... وهما ينسيني السلاف المبردا)

(وبات نجيا في دمشق لحية ... إذا هم لم ينم السليم فأقصدا)

(يخافته طورا وطورا إذا رأى ... من الوجه إقبالا ألح وأجهدا)

(وأطفأت عني نار نعمان بعدما ... أعد لأمر فاجر وتجردا)

(ولما رأى النعمان دوني ابن حرة ... طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا)

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال شبب عبد الرحمن ." (١)

" قال فحدثني يونس أن عمرو بن معد يكرب كان آخرهم وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها فأتي بفرس فأخذ بعكوة ذنبه وأخلد به إلى الأرض فأقعى الفرس فرده وأتي بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يقع فقال هذا على كل حال أقوى من تلك وقال لأصحابه إني حامل وعابر الجسر فإن أسرعتم بمقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عقر بي القوم وأنا قائم بينهم وقد قتلت وجردت

وإن أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم وقد قتلت وجردت

ثم انغمس فحمل في القوم فقال بعضهم يا بني زبيد تدعون صاحبكم والله ما نرى أن تدركوه حيا

فحملوا فانتهوا إليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وإن الفارس ليضرب الفرس فما تقدر أن تتحرك من يده

فلما غشيناه رمى الأعجمي بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني قالوا أين فرسك قال رمي بنشابة فشب فصرعني وعار

وروى هذا الخبر محمد بن عمر الواقدي عن ابن أبي سبرة عن أبي عيسى الخياط

ورواه علي بن محمد أيضا عن مرة عن أبي إسماعيل الهمذاني عن طلحة بن مصرف

فذكرا مثل هذا

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٥/١٥

قال الواقدي وحدثني أسامة بن زيد عن أبان بن صالح قال قال عمرو بن معد يكرب يوم القادسية ألزموا خراطيم الفيلة السيوف فإنه ليس لها مقتل إلا خراطيمها

ثم شد على رستم وهو على الفيل فضرب فيله فجذم عرقوبيه فسقط وحمل رستم على فرس وسقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار فحازه ." (١)

" المسلمون وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله

قال علي بن محمد المدائني حدثني علي بن مجاهد عن ابن إسحاق قال لما ضرب عمرو الفيل وسقط رستم سقط على رستم خرج كان على ظهر الفيل فيه أربعون ألف دينار فمات رستم من ذلك وانهزم المشركون

وقال الواقدي حدثني ابن أبي سبرة عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى آل الزبير قال حدثنا نيار بن مكرم الأسلمي قال شهدت القادسية فرأيت يوما اشتد فيه القتال بيننا وبين الفرس ورأيت رجلا يفعل يومئذ بالعدو أفاعيل يقاتل فارسا ثم يقتحم عن فرسه ويربط مقوده في حقوه فيقاتل فقلت من هذا جزاه الله خيرا قالوا هذا عمرو بن معد يكرب

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن خالد بن سعيد عن أبي محمد المرهبي قال كان شيخ يجالس عبد الملك بن عمير فسمعته يحدث قال قدم عيينة بن حصن الكوفة فأقام بها أياما ثم قال والله ما لي بأبي ثور عهد منذ قدمنا هذا الغائط يعني عمرو بن معد يكرب أسرج لي يا غلام

فأسرج له فرسا أنثى من خيله فلما قربها إليه قال له ويحك أرأيتني ركبت أنثى في الجاهلية فأركبها في الإسلام فأسرج له حصانا فركبه وأقبل إلى محلة بني زبيد فسأل عن محلة عمرو فأرشد إليها فوقف ببابه ونادى أي أبا ثور اخرج إلينا

فخرج إليه مؤتزرا كأنما كسر وجبر فقال أنعم صباحا أبا مالك

فقال أوليس قد أبدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم قال دعنا مما لا نعرف انزل فإن عندي كبشا ساحا

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٠٩/١٥

فنزل ." (١)

" (فكم أنقذتني من خطوب حباله ... وخرساء لو يرمى بها الفيل بلدا)

(ودافع عني يوم جلق غمرة ... وهما ينسيني الشراب المبردا)

(وبات نجيا في دمشق لحية ... إذا هم لم ينم السليم وأقصدا)

(يخافته طورا وطورا إذا رأى ... من الوجه إقبالا ألح وأجهدا)

(أبا خالد دافعت عني عظيمة ... وأدركت لحمي قبل أن يتبددا)

(وأطفأت عني نار نعمان بعدما ... أغذ لأمر فاجر وتجردا)

(ولما رأى النعمان دوني ابن حرة ... طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا)

حدثني عمي قال حدثنا احمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال

لما أمر يزيد بن معاوية بن كعب بن الجعيل بهجاء الأنصار قال له أرادي أنت إلى الكفر بعد الإسلام أأهجو قوما آووا رسول الله ونصروه قال أما إذ كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك قال غلام منا خبيث الدين نصراني فدله على الأخطل

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن أبي الخطاب قال

لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن ." (٢)

" أخبار المهاجر بن خالد ونسبه وأخبار ابنه خالد

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وكان الوليد بن المغيرة سيدا من سادات قريش وجوادا من جودائها وكان يلقب بالوحيد وأمه صخرة بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس امرأة من بجيلة ثم من قسر ولما مات الوليد بن المغيرة أرخت قريش بوفاته مدة لإعظامها إياه حتى كان عام الفيل فجعلوه تاريخا هكذا ذكر ابن دأب

وأما الزبير بن بكار فذكر عن عمرو بن أبي بكر المؤملي أنها كانت تؤرخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة فأرخوا بها

خالد سيف الله

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢١٠/١٥

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤٥/١٦

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله والغناء في حروبه المحل المشهور ولقبه رسول الله سيف الله وهاجر إلى النبي قبل الفتح وبعد الحديبية هو وعمرو بن العاص ." (١)

" إسحاق غناه الغزيل أبو كامل خفيف رمل بالسبابة في مجرى البنصر

فيقال إن هذا الشعر بلغ هشاما فقال لأم حكيم أتفعلين ما ذكره الوليد فقالت أو تصدقه الفاسق في شيء فتصدقه في هذا قال لا قالت فهو كبعض كذبه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال

(فحسب أبي العباس كأس وقينة ... وزق إذا دارت به في الذوائب)

(ومن جلساء الناس مثل ابن مالك ... ومثل ابن جزء والغلام ابن غالب)

فقال الوليد يهجوه ويعيره بشرب أمه الشراب

(إن كأس العجوز كأس رواء ... ليس كأس ككأس أم حكيم)

(إنها تشرب الرساطون صرفا ... في إناء من الزجاج عظيم)

(لو به يشرب البعير أو **الفيل** ... لظلا في سكرة وغموم)

(ولدته سكرى فلم تحسن الطلق ... فوافى لذاك غير حليم)

وكان لهشام منها ابن يقال له مسلمة ويكنى أبا شاكر وكان هشام ينوه باسمه وأراد أن يوليه العهد بعده وولاه الحج فحج بالناس وفيه يقول عروة بن أذينة – لما وفد على هشام – وفرق في الحجاز على أهلها مالا كثيرا ." (٢)

" فنادى منادي فيهم فاجتمعوا إليه فبلغ ذلك أرياط أن أبا أصحم أبرهة جمع لك الجموع ودعا الناس إلى قتالك قال أوقد فعل ذلك أبرهة وهو ممن لا بيت له في الحبشة وغضب أرياط غضبا شديدا وقال هو أدنى من ذلك نفسا وبيتا هذا باطل

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٠٥/١٦

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٩٩/١٦

قالوا فأرسل إليه فإن أتاك فهو باطل وإن لم يأتك فاعلم أنه كما يقال فأرسل إليه أجب الملك أرياط فجثا أبرهة على ركبتيه وخر لوجهه وأخذ عودا من الأرض فجعله في فيه وقال للرسول اذهب إلى الملك فأخبره بما رأيت مني أنا أخلعه أنا أشد تعظيما له من ذلك وأنا آتيه على أربع قوائم بحساب البهيمة

فرجع الرسول إلى الملك فأخبره بالخبر فقال ألم أقل لكم قالوا الملك أعقل وأعلم منا

فلما ولى الرسول من عند أبرهة وتوارى عنه صاح أبرهة في الفقراء من الحبشة فاجتمعوا إليه معهم السلاح والآلة التي كانوا يعملون بها ويهدمون بها مدن اليمن المعاول والكرازين والمساحي ثم صفوا صفا وصفوا خلفه آخر بإزائه فلما أبطأ أبرهة على الملك وهو يرى أنه يأتيه على أربع قوائم كما قال وأتى الرسول أرياط فأخبره بما صنع أبرهة ركب في الملوك ومن تبعه من أتباعهم فلبسوا السلاح وجاؤوا **بالفيلة** وكان معه سبعة فيلة حتى إذا دنا بعضهم من بعض برز أبرهة بين الصفين فنادى بأعلى صوته يا معشر الحبشة الله ربنا والإنجيل كتابنا وعيسى نبينا والنجاشي ملكنا علام يقتل بعضنا بعضا في مذهب النصرانية هذا رجل وأنا رجل فخلوا بيني وبينه فإن قتلني عاد الملك إلى ما كان عليه من أثرة الأغنياء وهلاك الفقراء وإن قتلته سلمتم وعملت فيكم بالإنصاف بينكم ما بقيت ." (١)

" الحبشة فجعلت له حلتان واسعتان فأتزر بواحدة وارتدى الأخرى وجلس على رأس غمدان يشرب وبرت يمينه وخرج بعد ذلك يتصيد فقتلته الحبشة

وكان ملك أرياط عشرين سنة وملك أبرهة ثلاثا وعشرين سنة وملك يكسوم تسع عشرة سنة وملك مسروق اثنتي عشرة سنة فهذه أربع وسبعون سنة

وكان قدوم أهل فارس اليمن مع وهرز بعد الفجار بعشر سنين وقبل بنيان قريش البيت بخمس سنين ورسول الله وآله ابن ثلاثين سنة أو نحوها لأن رسول الله ولد بعد قدوم **الفيل** بخمس وخمسين ليلة

ونسخت خبر مديحه سيفا بهذا الشعر من كتاب عبد الأعلى بن حسان قال حدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وحدثني به محمد بن عمران المؤدب بإسناد لست أحفظ الاتصال بينه وبين الكلبي فيه فاعتمدت هذه الرواية قال

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٧/٧٣٠

لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي بسنتين أتته وفود العرب وأشرافها لتهنيه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه فأتته وفود العرب من قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد في ناس من وجوه قريش فأتوه بصنعاء وهو في رأس قصر ." (١)

" أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد عن محمد بن عامر الحنفي قال

لما مات عبد المجيد بن عبد الوهاب خرج ابن مناذر إلى مكة وترك النسك وعاد للمجون والخلع وقال في هذا المعنى شعرا كثيرا حتى إذا مدح أو فخر لم يجعل افتتاح شعره ومباديه إلا المجون وحتى قال في مدحه للرشيد

(هل عندكم رخصة عن الحسن البصري ... في العشق وابن سيرينا)

(إن سفاها بذي الجلالة والشيبة ... ألا يزال مفتونا)

وقال أيضا في هذا المعنى

(ألا يا قمر المسجد ... هل عندك تنويل)

(شفائي منك - إن ... نولتني - شم وتقبيل)

(سلا كل فؤاد و ... فؤادي بك مشغول)

(لقد حملت من حبيك ... مالا يحمل **الفيل**)

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا العباس بن الفضل الربعي قال حدثني التوزي قال

قال ابن مناذر ليونس النحوي يعرض به أخبرني عن جبل ." (٢)

"كتب إليه قوله

(إذا أودى معاوية بن حرب ... فبشر شعب قعبك بانصداع)

(فأشهد أن أمك لم تباشر ... أبا سفيان واضعة القناع)

(ولكن كان أمر فيه لبس ... على وجل شديد وامتناع)

وقوله

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣١٢/١٧

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٩٩/١٨

(ألا أبلغ معاوية بن حرب ... مغلغلة من الرجل اليماني)

(أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زاني)

(فأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان)

(وأشهد أنها ولدت زيادا ... وصخر من سمية غير داني)

فدخل عبيد الله بن زياد على معاوية فأنشده هذه الأشعار واستأذنه في قتله فلم يأذن له وقال أدبه أدبا وجيعا منكلا ولا تتجاوز ذلك إلى القتل وذكر باقي الحديث كما ذكره من تقدم

قالوا جميعا وقال ابن مفرغ يذكر جوار المنذر بن الجارود إياه وأمانه

(تركت قريشا أن أجاور فيهم ... وجاورت عبد القيس أهل المشقر)

(أناس أجارونا فكان جوارهم ... أعاصير من قسو العراق المبذر)

(فأصبح جاري من خزيمة قائما ... ولا يمنع الجيران غير المشمر)

وقال أيضا في ذلك

(أصبحت لا من بني قيس فتنصرني ... قيس العراق ولم تغضب لنا مضر) ." [1]

" وجوههم فردهم ووهبه لهم ووجه رجلا من بني أسد يقال له خمخام ويقال جهنام بريدا إلى عباد وكتب له عهدا وأمره بأن يبدأ بالحبس فيخرج ابن مفرغ منه ويطلقه قبل أن يعلم عباد فيم قدم فيغتاله ففعل ذلك به فلما خرج من الحبس قربت إليه بغلة من بغال البريد فركبها فلما استوى على ظهرها قال

(عدس ما لعباد عليك إمارة ... نجوت وهذا تحملين طليق)

(فإن الذي نجى من الكرب بعدما ... تلاحم في درب عليك مضيق)

(أتاك بخمخام فأنجاك فالحقي ... بأهلك لا تحبس عليك طريق)

(لعمري لقد أنجاك من هوة الردى ... إمام وحبل للأنام وثيق)

(سأشكر ما أوليت من حسن نعمة ... ومثلي بشكر المنعمين حقيق)

معاوية يعفو عنه

قال عمر بن شبة في خبره ووافقه لقيط بن بكير فلما أدخل على معاوية بكى وقال ركب مني ما لم يركب من مسلم قط على غير حدث في الإسلام ولا خلع يد من طاعة ولا جرم فقال ألست القائل

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٧٤/١٨

(ألا أبلغ معاوية بن حرب ... مغلغلة من الرجل اليماني)

(أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زان)

(فأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان)

(وأشهد أنها ولدت زيادا ... وصخر من سمية غير دان)

فقال لا والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين ما قلته ولقد بلغني أن عبد الرحمن بن الحكم قاله ونسبه إلي قال أفلم تقل ." (١)

" له حتى إذا أقبل وثب إليه فضرب خرطومه بالسيف فرمى به ثم شد عليه الفيل فقتله ثم استدار فطحن الأعاجم وانهزموا فقال أبو محجن الثقفي أبا عبيد

(أنى تسدت نحونا أم يوسف ... ومن دون مسراها فياف مجاهل)

(إلى فتية بالطف نيلت سراتهم ... وغودر أفراس لهم ورواحل)

(وأضحى أبو جبر خلاء بيوته ... وقد كان يغشاها الضعاف الأرامل)

(وأضحى بنو عمرو لدى الجسر منهم ... إلى جانب الأبيات جود ونائل)

(وما لمت نفسي فيهم غير أنها ... لها أجل لم يأتها وهو عاجل)

(وما رمت حتى خرقوا بسلاحهم ... إهابي وجادت بالدماء الأباجل)

(وحتى رأيت مهرتي مزوئرة ... من النبل يدمى نحرها والشواكل)

(وما رحت حتى كنت آخر رائح ... وصرع حولي الصالحون الأماثل)

(مررت على الأنصار وسط رحالهم ... فقلت ألا هل منكم اليوم قافل)

(وقربت رواحا وكورا ونمرقا ... وغودر في أليس بكر ووائل) ." (٢)

" (فكيف لو كلم الليث الهصور إذا ... أفنيتم الناس مأكولا ومشروبا)

(هذا السنيدي لا أصل ولا طرف ... يكلم الفيل تصعيدا وتصويبا)

دعبل يهجو محمد بن عبد الملك الزيات

حدثني الحسن بن علي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني أبي قال

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٧٩/١٨

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٣/١٩

كان دعبل قد مدح محمد بن عبد الملك الزيات فأنشده ما قاله فيه وفي يده طومار قد جعله على فمه كالمتكئ عليه وهو جالس فلما فرغ أمر له بشيء لم يرضه فقال يهجوه

(يا من يقلب طومارا ويلثمه ... ماذا بقلبك من حب الطوامير)

(فيه مشابه من شيء تسر به ... طولا بطول وتدويرا بتدوير)

(لو كنت تجمع أموالا كجمعكها ... إذا جمعت بيوتا من دنانير)

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أبي قال

نزل دعبل بحمص على قوم من أهلها فبروه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما أشعث وللآخر أبو الصناع فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهما

(إذا نزل الغريب بأرض حمص ... رأيت عليه عز الإمتناع)

(سمو المكرمات بآل عيسى ... أحلهم على شرف التلاع)

(هناك الخز يلبسه المغالي ... وعيسى منهم سقط المتاع) ." (١)

" (حلت خويلة في دار مجاورة ... أهل المدينة فيها الديك والفيل)

(يقارعون رؤوس العجم ضاحية ... منهم فوارس لا عزل ولا ميل)

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال

أرثى بيت قالته العرب قول عبدة بن الطبيب

(فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما)

وتمام هذه الأبيات أنشدناه علي بن سليمان الأخفش عن السكري والمبرد والأحول لعبدة يرثي قيسا

(عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما)

(تحية من أوليته منك نعمة ... إذا زار عن شحط بلادك سلما)

(وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما)

كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنانداني عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥٢/٢٠

قال رجل لخالد بن صفوان كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو فقال لا تقل ذاك فوالله ما أبى من عي ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة كما يرى تركه مروءة وشرفا قال ." [1]

" (فلما أحسوا النوم جاؤوا كأنهم ... سباع أصابت هجمة بسليل)

(فقلدت سوار بن عمرو بن مالك ... بأسمر جسر القذتين طميل)

(فخر كأن **الفيل** ألقى جرانه ... عليه بريان القواء أسيل)

(وظل رعاع المتن من وقع حاجز ... يخر ولو نهنهت غير قليل)

(لأبت كما آبا ولو كنت قارنا ... لجئت وما مالكت طول ذميلي)

(فسرك ندماناك لما تتابعا ... وأنك لم ترجع بعوص قتيل)

(ستأتي إلى فهم غنيمة خلسة ... وفي الأزد نوح ويلة بعويل)

فقال حاجز بن أبي الأزدي يجيبه

(سألت فلم تكلمني الرسوم ...)

وهي في أشعار الأزد

فأجابه تأبط شرا

(لقد قال الخلي وقال خلسا ... بظهر الليل شد به العكوم)

(لطيف من سعاد عناك منها ... مراعاة النجوم ومن يهيم) ." [2]

" (أبا الأطول طولت ... وما ينجيك تطويل)

(بك السل ولا والله ... ما يبرأ مسلول)

(فلا يغررك من ... طبك أقوال أباطيل)

(أرى فيك علامات ... وللأسباب تأويل)

(هزالا قد برى جسمك ... والمسلول مهزول)

(وذبانا حواليك ... فموقوذ ومقتول)

(وحمى منك في الظهر ... فأنت الدهر مملول)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣١/٢١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٦٤/٢١

(وأعلاما سوى ذاك ... تواريها السراويل)

(ولو بالفيل مما ... بك عشر ما نجا الفيل)

(فما هذا على فيك ... قلاع أم دماميل)

(وما زال مناجيك ... يولي وهو مبلول)

(لئن كان من الجوف ... لقد سال بك النيل)

(وذا داء يزجيك ... فلا قال ولا قيل)

فلما أنشده هذا الشعر أرعد واضطرب ودخل منزله فما خرج منه بعد ذلك حتى مات

صوت

(ما تزال الديار في برقة النجد ... لسعدى بقرقرى تبكيني) ." (١)

"من الإبل والثلة قطيع من الغنم والثاغية الشاة والراغية الإبل. قالوا: ومن رأى أنه ملك إبلا في منامه، نال عقبى حسنة وسلامة في دينه ومعتقده لقوله «١» تعالى: أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت

فإن قال: رأيت جمالا فربما دل على الأعمال السيئة لقوله تعالى: ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط

ولقوله «٢» تعالى: إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالت صفر

وإن قال: رأيت انعاما وأنا أسرحها في المنام، فإنه يدل على تذلل الأمور الصعاب وظهور النعمة عليه لقوله «٣» تعالى: والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون

، إلى قوله تسرحون. ومن رأى أنه يرعى إبلا عرابا ولي على قوم من الأعراب ومن رأى إبلا كثيرة في بلد فإنها تدل على أمراض وحروب. وقال الجيلي «٤» : من رأى أنه يملك إبلا نال مقدرة وسطوة. وقال أرطاميدوس:

من أكل لحم الإبل في منامه مرض. وقال محمد بن سيرين إمام المعبرين: ومن أعلام التابعين لا بأس بأكل لحم الإبل لقوله «٥» تعالى: والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون.

وستأتي بقيته إن شاء الله تعالى في باب الجيم في لفظ الجمل والله أعلم.

الأبابيل

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٧٧/٢٣

: واحدته ابالة وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: لا واحد لها من لفظها. وقيل:
واحدها أبول كعجول وقيل: إبيل كسكيت. وقيل: إيبال كدينار، ودنانير، وذكر الفارسي أنه سمع في واحده ابالة بالتشديد. وحكى الفراء إبالة بالتخفيف. واختلفوا في قوله «٦» تعالى:
وأرسل عليهم طيرا أبابيل
فقال سعيد بن جبير: هي طير تعشش بين السماء والأرض وتفرخ، ولها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب وعن عكرمة أنها طيور خضر خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع. وقال ابن عباس رضي الله عنهما بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان وقيل: كانت كالوطاويط. وقال عبادة بن الصامت: أظنا الزرازير.
وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها، هي أشبه شيء بالخطاطيف. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب السين أنها السنونو الذي يأوي الآن في المسجد الحرام الواحدة سنونة، والأبيل راهب النصارى وكانوا يسمون عيسى بن مريم عليهما السلام أبيل الأبيليين قال الشاعر:
أما ودماء مائرات تخالها ... على قنة العزى وبالنسر عندما
وما سبح الرهبان في كل بيعة ... أبيل الأبيليين عيسى بن مريما
لقد ذاق منا عامر يوم لعلع ... حساما إذا ما هز بالكف صمما
والإبالة بالكسر الحزمة من الحطب. وفي المثل: «ضغث على إبالة «٧» أي بلية على أخرى كانت قبلها والله الموفق.
الأتان:
بفتح الهمزة وبالتاء المثناة فوق الحمارة، ولا تقل أتانة، ويقال ثلاث آتن مثل عناق." (١)
"وبقي ما كان فيها من ذكر الله تعالى فأخبرهم أبو طالب بذلك، فارتقوا إلى الصحيفة، فوجدوها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخرجوهم من الشعب» .
وروى ابن سعد وابن ماجه في سننه، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي إلى جذع، فاتخذ له المنبر، فحن ذلك الجذع إليه حنين العشار، حتى مسحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده «١» فسكن» . فلما هدم المسجد وغير، أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب فكان

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٣٢/١

عنده في داره حتى بلي وأكلته الأرضة وعاد رفاتا. وسيأتي إن شاء الله تعالى للأرضة ذكر في باب الدال المهملة في لفظ الدابة وفي دود الفاكهة.

الحكم:

يحرم أكلها لاستقذارها، وإذا استخرجت من الأرض ترابها قال القاضي حسين:

إن استخرجته من مدر جاز التيمم به، ولا يضر اختلاطه بلعابها، فإنه طاهر فصار كتراب عجن بخل، أو ماء ورد، وإن استخرجت شيئا من الخشب أو الكتب لم يجز لعدم التراب.

الأمثال:

قالوا «٢» «أكل من أرضة» و «أصنع من أرضة «٣» » .

التعبير:

هي في الرؤيا تدل على منازعة في العلم وطلب الجدال.

الأرقم:

الحية التي فيها بياض وسواد، كأنه رقم أي نقش. روى أصحاب الغريب أن رجلا، كسر منه عظم فجاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب منه القود، فأبى أن يقيده، فقال الرجل: هو إذن كالأرقم إن يقتل ينقم، وإن يترك يلقم، أي إن تركته أكلك، وإن قتلته قتلت به. وقال ابن الأثير في النهاية: كانوا في الجاهلية يزعمون أن الجن تطلب بثار الجان، وهي الحية الدقيقة، فربما، مات قاتلها وربما أصابه خبل، وهذا مثل لمن يجتمع عليه شران لا يدري كيف يصنع فيهما. يعني أنه اجتمع عليه كسر العظم وعدم القود وقيل: الأرقم الحية التي فيها حمرة وسواد قال مهذب الملك في ذلك مشبها:

كانون أذهب برده كانوننا ... ما بين سادات كرام حذق

بأراقم حمر البطون ظهورها ... سود تلغلغ باللسان الأزرق

الأرنب:

واحدة الأرانب، وهو حيوان يشبه العناق، قصير اليدين طويل الرجلين، عكس **الزرافة**، يطأ الأرض على مؤخر قوائمه. وهو اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى وقال الجاحظ:

فإذا قلت أرنب، فليس إلا الأنثى كما أن العقاب لا يكون إلا للأنثى؛ فتقول: هذه العقاب وهذه الأرنب. وقال المبرد في الكامل: إن العقاب يقع على الذكر والأنثى وإنما يميز باسم الإشارة كالأرنب، وذكر الأرنب

يقال له الخزز بالخاء المعجمة المضمومة وبعدها زايان وجمعه خزان كصرد وصردان. ويقال للأنثى عكرشة والخرنق ولد الأرنب، فهو أولا خرنق ثم سخلة ثم أرنب.." (١)

"بطني قد ضمر فطلبت منهم مأكولا فأكلت، وأقمت عندهم إلى أن وثقت من نفسي بالشفاء ثم أخذت الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة.

الأقهبان:

الفيل والجاموس قال رؤبة «١» يصف نفسه بالشدة:

ليث يدق الأسد الهموسا ... والأقهبين الفيل والجاموسا «٢»

الأملول:

دويبة فتكون في الرمل تشبه القطاة قاله ابن سيده.

الإنس:

البشر الواحد انسي وأنسي أيضا بالتحريك، والجمع أناسي، وإن شئت جعلته إنسانا، ثم جمعته على أناسي فتكون الياء عوضا عن النون. قال «٣» تعالى: وأناسي كثيرا

وكذلك الأناسية مثل الصيارفة والصياقلة، ويقال للمرأة أيضا إنسان ولا يقال إنسانة والعامة تقوله قال الجوهري وأنشدوا على ذلك:

إنسانة فتانة ... بدر الدجى منها خجل

إذا زنت عيني بها ... فبالدموع تغتسل

الإنسان:

نوع العالم، والجمع: الناس. قال الجوهري وتقدير إنسان على فعلان، وإنما زيد في تصغيره ياء. وقيل أنيسيان كما زيد في تصغير رجل، فقيل: رويجل. وقال قوم: أصله إنسيان على وزن افعلان، فحذفت الياء تخفيفا لكثرة ما يجري على الألسنة، وإذا صغروها ردوها لأن التصغير لا يكبر واستدلوا عليه بقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنه إنما سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسي والأناس لغة في الناس، وهو الأصل فخفف، قال «٤» تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم

، وهو اعتداله، وتسوية أعضائه، لأنه خلق كل شيء منكبا على وجهه، وخلقه سويا وله لسان ذلق، ينطق

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٣٦/١

به ويد وأصابع يقبض بها، مزينا بالعقل مؤدبا بالأمر، مهذبا بالتمييز، يتناول مأكوله ومشروبه بيده.
وروى الطبراني في معجمه الأوسط، بإسناد صحيح، عن أبي مزينة الدارمي، وكانت له صحبة، قال: كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: والعصر إن الإنسان لفي خسر
. «٥» .
فائدة:
قال ابن عطية: من الدليل على أن القرآن غير مخلوق، أن الله تعالى ذكر القرآن في كتابه العزيز في أربعة وخمسين موضعا، ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق، ولا أشار إليه، وذكر الإنسان على الثلث من ذلك في ثمانية عشر موضعا، كلها نصت على خلقه، وقد افترق ذكرهما على هذا النحو، في قوله «٦» تعالى:
الرحمن علم القرآن خلق الإنسان
. قال القاضي." (١)
"«أتيت بالبراق فركبت خلف جبريل «١» » . إلى أن قال: تفرد به أبو حمزة ميمون الأعور، وقد اختلفوا فيه، وفيه في ذكر مناقب فاطمة الزهراء رضي الله عنها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تبعث الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة على الدواب ليوافوا بالمؤمنين من قومهم المحشر، ويبعث صالح على ناقته، وأبعث على البراق خطوها عند أقصى طرفها، وتبعث فاطمة أمامي»
وقال أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني، في كتاب الحجة إلى بيان المحجة: إن قيل لم عرج البراق به صلى الله عليه وسلم إلى السماء ولم ينزل عند منصرفه عليه؟ فالجواب أنه عرج به عليه إظهارا لكرامته، ولم ينزل عليه إظهارا لقدرة الله تعالى. وقيل: دل بالصعود على النزول به عليه كقوله «٢» تعالى:
سرابيل تقيكم الحر
يعني: والبرد وكقوله: بيده الخير أي والشر. وقال حذيفة: ما زايل ظهر البراق حتى رجع.
ثم إن البراق يوم القيامة يركبه النبي صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء يدل لذلك ما رواه الحاكم قريبا وما رواه أبو الربيع بن سبع السبتي في شفاء الصدور عن سويد بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حوضي أشرب منه يوم القيامة أنا ومن استسقاني من الأنبياء عليهم السلام، ويبعث الله تعالى لصالح ناقته

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١/٥٥

يحلبها ويشرب هو والذين آمنوا معه، ثم يركبها حتى يوافي بها الموقف ولها رغاء» فقال له رجل يا رسول الله وأنت يومئذ على العضباء؟ قال صلى الله عليه وسلم: «تلك تحشر عليها ابنتي فاطمة، وأنا أحشر على البراق، أخص به دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام» .

واختلف الناس في تاريخ الإسراء، فقال ابن الاثير: الصحيح عندي إنه كان ليلة الإثنين لسبع وعشرين من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة، وبهذا جزم شيخ الإسلام محي الدين النووي في شرح مسلم وجزم في فتاويه في كتاب الصلاة بأنه كان في شهر ربيع الآخر. وفي سير الروضة أنه كان في رجب وإنما كان ليلا لتظهر الخصوصية بين جليس الملك نهار أو جليسه ليلا.

قال أهل التاريخ: ولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وأقام في بني سعد خمس سنين ثم توفيت أمه بالأبواء، وهو ابن ست سنين، وكفله جده عبد المطلب. ثم توفي وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب، وخرج معه إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم خرج صلى الله عليه وسلم في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتزوجها في تلك السنة وبنت قريش الكعبة، ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة. وتوفي أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما. وتوفيت خديجة رضي الله تعالى عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام، ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة رضي الله عنها، فأقام به شهرا ثم رجع إلى مكة في جوار المطعم بن عدي. فلما أتت له خمسون سنة قدم عليه جن نصيبين «٣» فأسلموا. فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسرى به صلى الله عليه وسلم.." (١)

"ثلاثة أوحش ما في الورى ... يا ليت شعري أيها أوحش «١»

البرغن:

بفتح الباء والغين المعجمة وضمهما ولد البقرة الوحشية.

البرغوث:

بالثاء المثلثة واحد البراغيث. وضم بائه أشهر من كسرها وقولهم: أكلوني البراغيث لغة طيىء، وهي لغة ثابتة خرجوا عليها قوله «٢» تعالى: وأسروا النجوى الذين ظلموا

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١/١٧١

على أحد المذاهب وقوله «٣» عز وجل خشعا أبصارهم

ومثل: يتعاقبون فيكم ملائكة، وقوله في صحيح مسلم وغيره: «حتى احمرتا عيناه» واشباهه كثيرة معروفة.

وقال سيبويه:

لغة أكلوني البراغيث ليست في القرآن قال والضمير في وأسروا النجوى فاعل والذين بدل منه.

وكنية البرغوث أبو طافر وأبو عدي وأبو الوثاب، ويقال له طامر بن طامر. وهو من الحيوان الذي له الوثب الشديد ومن لطف الله تعالى به، أنه يثب إلى ورائه ليرى من يصيده، لأنه لو وثب إلى أمامه، لكان ذلك أسرع إلى حمامه. وحكى الجاحظ «٤» عن يحيى «٥» البرمكي، أن البرغوث من الخلق الذي يعرض له الطيران، كما يعرض للنمل. وهو يطيل السفاد، ويبيض ويفرخ بعد أن يتولد، وهو ينشأ أولا من التراب، لا سيما في الأماكن المظلمة، وسلطانه في أواخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع، وهو أحدب نزاء. ويقال: إنه على صورة **الفيل** له أنياب يعض بها وخرطوم يمص به.

وحكمه:

تحريم الأكل واستحباب قتله للحلال والمحرم، ولا يسب لما روى الإمام أحمد والبزار والبخاري في الأدب والطبراني في الدعوات عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا. فقال: لا تسبه فإنه أيقظ نبيا لصلاة الفجر.

وفي معجم الطبراني عن أنس رضي الله تعالى عنه. قال: ذكرت البراغيث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنها توقظ للصلاة أي لصلاة الفجر» . وفيه عن علي رضي الله تعالى عنه قال: نزلنا منزلا فآذتنا البراغيث فسببناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ «لا تسبوها فنعمت الدابة فإنها أيقظتكم لذكر الله تعالى» .

ويعفى عن قليل دمها في الثوب والبدن لعموم البلوى به وعسر الاحتراز. وقال أبو عمر بن عبد البر: أجمع العلماء على التجاوز والعفو عن دم البراغيث، ما لم يتفاحش. قال أصحابنا: ولا خلاف في العفو عن قليله إلا إذا حصل بفعله كما إذا قتله في ثوبه أو بدنه ففي العفو عنه وجهان:

أصحهما العفو أيضا. وكذلك كل ما ليس له نفس سائلة كالبق والبعوض وشبههما. وسئل شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام عن ثوب فيه دم البراغيث هل يجوز للإنسان أن يلبسه رطبا ثم يصلي فيه؟ وإذا عرق فيه هل يصلي فيه؟ وهل يتنجس بذلك بدنه أو يعفي عنه؟ وهل يندب له غسله قبل وقته المعتاد؟ فأجاب

نعم ينجس الثوب والبدن بذلك ولا يؤمر بغسله إلا في الأوقات المعتادة وغسله في غير ذلك ورع خارج عما كان السلف عليه. وكانوا أحرص على حفظ أديانهم من غيرهم. وأما الكثير من دم البراغيث فالأصح عند المحققين، كما قاله النووي، العفو عنه مطلقا." (١)

"يحتاج إليها، والآراء فقد شغلتني المصائب عنها، وأما لائح الأمر فإنه إن وقع الاتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم. وإن كان غيره فالمصائب المستقبلة أهونها موته، وهو البلاء العظيم، والسلام. وكان رحمه الله مع سعة ملكه كثير التواضع، قريبا من الناس، رحيم القلب، كثير الاحتمال والمداراة يميل لأهل الفضل ويستحسن الأشعار الجيدة ويرددها في مجلسه وكان كثيرا ما ينشد قول محمد بن الحسين الحميري «١» :

وزارني طيف من أهوى على حذر ... من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا «٢»

فكدت أوقظ من حولي به فرحا ... وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

ثم انتبهت وآمالي تخيل لي ... نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

وكان رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين وهما «٣» :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... وللمشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أخيب

وعمر رحمه الله ستا وخمسين سنة وشهورا.

البطس:

أنواع من السمك لها مرارات يكتب بها الكتب فإذا جففت قرئت في الظلام كما نقرأ بالنهار في ضوء الشمس ذكر ذلك صاحب المعطار.

البعوض:

دويبة. قال الجوهري: إنه البق الواحدة بعوضة وهو وهم والحق أنه صنفان، وهو يشبه القراد لكن أرجله خفيفة، ورطوبته ظاهرة ويسمى بالعراق والشأم الجرجس. قال الجوهري: وهو لغة في القرقس، وهو البعوض الصغار، والبعوض على خلقة الفيل إلا أنه أكثر أعضاء من الفيل فإن للفيل أربع أرجل وخرطوما وذنبا. وله مع هذه الأعضاء رجلان زائدتان، وأربعة أجنحة وخرطوم الفيل مصمت، وخرطومه مجوف نافذ للجوف،

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١/ ١٧٧

فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم، ولذلك اشتد عضها وقويت على خرق الجلود الغلاظ قال الراجز:

مثل السفاة دائما طنينها ... ركب في خرطومها سكينها «٤»

ومما ألهمه الله تعالى إنه إذا جلس على عضو من أعضاء الإنسان، لا يزال يتوخى بخرطومه المسام التي يخرج منها العرق، لأنها أرق بشرة من جلدة الإنسان فإذا وجدها وضع خرطومه فيها، وفيه من الشره أن يمص الدم إلى أن ينشق ويموت أو إلى أن يعجز عن الطيران، فيكون ذلك سبب هلاكه. ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره، من ذوات الأربع، فيبقى طريحا في." (١)

"الصحراء، فتجتمع السباع حوله والطير التي تأكل الجيف فمن أكل منها شيئا مات لوقته. وكان بعض الجبابرة من الملوك بالعراق يعذب بالبعوض، فيأخذ من يريد قتله فيخرجه مجردا إلى بعض الآجام التي بالبطائح ويتركه فيها مكتوفا، فيقتل في أسرع وقت، وأقرب زمان وما أحسن قول أبي الفتح البستي «١» في هذا المعنى:

لا تستخفن الفتى بعداوة ... أبدا وإن كان العدو ضئيلا

إن القذى يؤذي العيون قليله ... ولربما جرح البعوض **الفيلا**

وما ألطف ما قال بعضهم:

لا تحقرن صغيرا في عداوته ... إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

ونحوه قول أبي نصر السعدي «٢» :

ولا تحقرن عدوا رماك ... وإن كان في ساعديه قصر

فإن الحسام يحز الرقاب ... ويعجز عما تنال الإبر

وله أيضا وقيل إنه لجمال الدين بن مطروح «٣» :

يا من لبست عليه أثواب الضنا ... صفرا موشحة بحمر الأدمع «٤»

أدرك بقية مهجة لو لم تذب ... أسفا عليك رميتها عن أضلعي

ومن محاسن شعره أيضا قوله «٥» :

لما وقفنا للوداع وصارما ... كنا نظن من النوى تحقيقا

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١/١٨٤

نثروا على ورق الشقائق لؤلؤا ... ونثرت من ورق البهار عقيقا «٦»

ونحوه قول إبراهيم علي القيرواني صاحب «٧» زهر الأدب وغيره وكان كلفا بالمعذرين:

ومعذرين كأن نبت خدودهم ... أقلام مسك تستمد خلوقا." (١)

"الأرض أي إن المسلمين إذا أقبلوا على الزراعة شغلوا عن الغزو، فيأخذهم السلطان بالمطالبات والجبايات. وقريب من هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «العزفي نواصي الخيل والذل في أذناب البقر «١» » . والبقر حيوان شديد القوة كثير المنفعة، خلقه الله ذلولا ولم يخلق له سلاحا شديدا كما للسباع، لأنه في رعاية الإنسان، فالإنسان يدفع عنه ضرر عدوه فلو كان له سلاح لصعب على الإنسان ضبطه. والبقر الأجم يعلم أن سلاحه في رأسه فيستعمله في محل القرن كما يرى في العجاجيل قبل نبات قرونها، تنطح برؤوسها تفعل ذلك طبعا وهي أجناس: فمنها الجواميس وهي أكثرها ألبانا وأعظمها أجساما، قال الجاحظ: الجواميس ضأن البقر وهذا يقتضي أنها أطيب وأفضل من العراب، حتى إنها تكون مقدمة عليها في الأضحية، كما يقدم الضأن فيها على المعز وقال الزمخشري في ربيع الأبرار: أشراف السباع ثلاثة: الأسد والنمر والببر وأشراف البهائم ثلاثة:

الفيل والكركدن والجاموس. ومنها العراب وهي جرد ملس الألوان. ومنها نوع آخر يقال له الدربانة بدال مهملة ثم راء ثم باء موحدة ثم نون وهي التي تنقل عليها الأحمال، وربما كانت لها أسمنة.

والبقر ينزو ذكورها على إناثها، إذا تم لها سنة من عمرها في الغالب. وهي كثيرة المني. وكل الحيوان إناثه أرق صوتا من ذكوره إلا البقر، فإن الأنثى أفخم وأجهر، وهي تقلق إذا ضربها الذكر وتتلوى تحته لا سيما إذا أخطأ المجرى لصلابة ذكره، وهي إذا اشتاقت للذكر، نفرت وأتبعت الرعاة. وبأرض مصر بقر يقال لها بقر الخيس، طوال الرقاب قرونها كالأهلة، وهي كثيرة اللبن.

وقال المسعودي: رأيت بالري بقرا تبرك كما تبرك الإبل، وتثور بحملها كما تثور. وليس لجنس البقر ثنايا عليا فهي تقطع الحشيش بالسفلى.

فائدة:

في آخر كتاب المجالسة لأحمد بن مروان المالكي «٢» الدينوري بإسناده إلى عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «مر عيسى عليه السلام ببقرة قد اعترض ولدها في بطنها، فقالت: يا كلمة الله ادع

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١/١٨٥

الله أن يخلصني، فقال: يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها فألقت ما في بطنها» قال: فإذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها هذا.

وأسند عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون. قلت: وهذا بعض حديث رواه الطبراني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم «٣» قال: «إذا طلبت حاجة وأحببت أن تنجح فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي العظيم، لا." (١)

"وأمر بأن يعمل عملا بديعا مهولا بحيث إذا رآه مبطل أو شاهد زور، ارتدع وبهت، فأمر أن يجعل من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد، وأن يحف بأربع نخلات من ذهب شماريخها «١» الياقوت منهما عمود من الزبرجد الأخضر. على رأس نختلتين منها طاووسان من ذهب، وعلى رأس نخلتين نسران من ذهب، بعضها يقابل بعضا. وجعل بجانب الكرسي أسدين من ذهب، وعلى رأس كل واحد منهما عمود من الزبرجد الأخضر. وقد عقد على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر وعناقيدها من الياقوت الأحمر، بحيث تظل عروش الكروم والنخل الكرسي. وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرحا المسرعة وتنشر تلك الطيور والنسور أجنحتها، ويبسط الأسدان أيديهما، ويضربان الأرض بأذنابهما، فإذا استوى على أعلاه أخذ النسران، اللذان في النخلتين، تاج سليمان فوضعاه على رأسه، ثم يستدير الكرسي بما فيه فيدور معه النسران والطاووسان والأسدان مائلات برؤوسها إلى سليمان، وينضحن عليه من أجوافهن المسك والعنبر، ثم تناوله حمامة من ذهب، قائمة على عمود، من أعمدة الجواهر، فوق الكرسي، التوراة فيفتحها سليمان ويقرؤها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء.

ويجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب المرصعة بالجوهر، وهي ألف كرسي عن يمينه، ويجلس عظماء الجن على كراسي الفضة عن يساره، وهي ألف كرسي، ثم تحف بهم الطيور فتظلهم. ويتقدم الناس لفصل الخصومات، فإذا تقدمت الشهود لأداء الشهادات، دار الكرسي بما فيه وعليه، دوران الرحا المسرعة، ويبسط الأسدان أيديهما، ويضربان الأرض بأذنابهما، وينشر النسران والطاووسان أجنحتها، فيفزع الشهود

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١/ ٢١٤

فلا يشهدون إلا بالحق. فلما توفي سليمان عليه الصلاة والسلام، وغزا بختنصر بيت المقدس، حمل الكرسي إلى انطاكية وأراد أن يصعد عليه فلم يقدر، وضرب الأسدان رجله فكسراها. ثم لما هلك بختنصر حمل الكرسي إلى بيت المقدس، فلم يستطع ملك قط أن يجلس عليه. ولم يدر أحد ما آل إليه عاقبة أمره، ولعله رفع. وإنما ذكرت صفته هنا لأنه من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده. وزعم الطبري أن بختنصر، ليس من الملوك الأربعة الذين ملكوا الأقاليم كلها، كما قاله العتبي ومن تقدمه إلى هذا القول. قال: ولكنه كان عاملا على العراق للملك المالك للأقاليم في ذلك الحين وهو كيلهراسب. والصحيح ما قاله العتبي وغيره.

وذكر أهل التاريخ وأصحاب السير أن رجلا من بني إسرائيل إسمه إسحاق في زمن عيسى بن مريم عليهما السلام، كان له ابنة عم من أجمل أهل زمانها وكان مغرما بها، فماتت فلزم قبرها ومكث زمانا لا يفتر عن زيارته، فمر به عيسى يوما وهو على قبرها يبكي، فقال له عيسى عليه السلام: ما يبكيك يا إسحق؟ فقال له: يا روح الله كانت لي ابنة عم وهي زوجتي، وكنت أحبها حبا شديدا وإنها قد توفيت، وهذا قبرها وإني لا أستطيع الصبر عنها وقد قتلني فراقها، فقال له عيسى: أتحب أن أحييها لك بإذن الله؟ قال: نعم يا روح الله فوقف عيسى على القبر، وقال: قم يا صاحب هذا القبر بإذن الله: فانشق القبر وخرج منه عبدا أسود، والنار خارجة من مناخره وعينيه، ومنافذ وجهه، وهو يقول:." (١)

"أتلف بالقيمة لما في الصحيحين عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أعتق شركا له في عبد، فإن كان معه ما يبلغ ثمن العبد، قوم عليه وأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد» . وإلا فقد عتق منه ما عتق فأوجب القيمة في العبد بالإتلاف بالعتق، ولأن إيجاب مثله من جهة الخلقة لا يمكن لاختلاف الجنس الواحد في القيمة، فكانت القيمة أقرب إلى إيفاء حقه، وتضمن أعضاء الحيوان بما نقص من قيمته. وأوجب أبو حنيفة في عين الإبل والبقر والخيل ربع القيمة وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ الفحل، أثر يشهد لذلك من حديث عروة البارقي وأوجب مالك رحمه الله في قطع ذنب حمار ذي الهيئة وذنب بغلته تمام القيمة ويأخذ المتلف العين.

الخواص:

الخصي من الحيوان أبرد من فحله، وإذا كان سمينا كان لذيذا مرطبا ملينا للطبيعة، بطيء الانحدار، وما

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٣١٦/١

كان مهزولا فبالضد إلا أنه سريع الإنحدار. أجوده حولي المعز ومنفعته سرعة الانهضام، ومضرته أنه يرخي المعدة، ودفع مضرته شرب مياه الفواكه القابضة.

وهو يولد دما معتدلا يوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة من الشبان. ومن الأزمان زمان الربيع.

ويجب أن يعلم أن أفضل لحوم الحيوان ما كان معتدلا في الهزال والسمن. وأجود اللحوم لحم الضأن المتناهي الشباب والبقر التي لم تبلغ سن الشباب والخصي من المعز وأجوده على الإطلاق الضأن.

التعبير:

من كلمه حيوان من الدواب أو الطير وفهم كلامه، فإنه كما قال. وربما دل على وقوع أمر منه يعجب الناس له، وإن لم يفهم ما قاله فليحذر على مال يذهب منه، لأن الحيوان مأكله، وقد تكون هذه الرؤيا باطلة، فلا ينبغي أن يفتش عنها، وجلود سائر الحيوان ميراث.

وقيل: الجلود بيوت لمن ملكها لقوله «١» تعالى: وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا

وربما دلت جلود الحيوان كالسمور والسنجاب والوشق والقاقم والفنك والنمس والثعلب والأرنب والفهد للجلوس، وأشباه ذلك على النعمة الطائلة، والأموال والأرزاق، وعلو الشأن لمن لبسها في المنام أو رآها عنده، أو ملكها. وإذا رأى الأنسان كأن جلده سلخ، وكان مريضا، فإنه يموت وإلا افتقر وافتضح. وربما دلت الجلود على ما يعمل منها فجلود الإبل تدل على الطبول، وجلود الضأن على الكتابة والمعز على النطوع، وجلود البقر على الأوطئة والدلاء والسيور، وجلود الخيل والبغال والحمير على الأوعية والأسقية، وجلود الجاموس على الحصون. وأما الأصواف والأوبار والأشعار فكل ذلك دال على الفوائد والأرزاق والملابس، وأموال موروثة وغير موروثة أو مغتصبة. وأما القرون فتدل رؤيتها على الأعوام والسنين، أو السلاح أو ما يتجمل به من الأموال والأولاد والعز والجاه. وأما أنياب الفيل وعظمه، فإن ذلك دال على تركة من هلك من الملوك والزعماء. وأما أظلاف الحيوان فإنها تدل على الكد والسعي والاجتماع بين المرأة وزوجها، والوالدة وولدها.

والظلف في الصورة هاء مشقوقة وأما الأخفاف فقوة سفر وربما دل الخف في استدارته على العدو أو السقم أو التمهيد للأمور والتوطئة الحسنة. وأما الأذناب فإنها دالة على ما دل الحيوان عليه، ومن يساعده في مصالحه، ويذب عنه ما يخشاه. وأما أصوات الحيوان، فنذكرها هنا مفصلة: فأما ثغاء." (١)

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١/٤٠٣

"إذا فرخ يجعل في عشه قضبان الكرفس فلا يؤذيه إذا شم رائحته ولا يفرخ في عش عتيق حتى يطينه بطين جديد ويبني عشه بناء عجيبا. وذلك أنه يهيىء الطين مع التبن فإذا لم يجد طينا مهيئا ألقى نفسه في الماء ثم يتمرغ في التراب حتى يمتلىء جناحاه، ويصير شبيها بالطين، فإذا هيأ عشه جعله على القدر الذي يحتاج إليه هو وأفراخه ولا يلقي في عشه زبلا بل يلقيه إلى خارج، فإذا كبرت فراخه علمها ذلك. وأصحاب اليرقان يلطخون فراخ الخطاف بالزعفران فإذا رآها صفراء ظن أن اليرقان أصابها من شدة الحر فيذهب فيأتي بحجر اليرقان من أرض الهند، فيطرحه على فراخه، وهو حجر صغير فيه خطوط بين الحمرة والسواد يعرف بحجر السنونو فيأخذه المحتال فيعلقه عليه أو يحكه ويشرب من مائه يسيرا فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. والخطاف متى سمع صوت الرعد يكاد أن يموت، وقال ارسطو في كتاب النعوت: الخطاطيف إذا عميت أكلت من شجرة يقال لها عين شمس فيرد بصرها لما في تلك الشجرة من المنفعة للعين وفي رسالة القشيري في آخر باب المحبة أن خطافا راود خطافة على قبة سليمان عليه الصلاة والسلام فامتنعت منه، فقال لها: أتمتنعين علي ولو شئت لقلبت القبة على سليمان، فسمعه سليمان فدعاه وقال له ما حملك على ما قلت؟ فقال:

يا نبي الله العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم قال: صدقت.

فائدة:

ذكر الثعلبي وغيره في تفسير سورة النمل أن آدم عليه الصلاة والسلام، لما أخرج من الجنة اشتكى إلى الله تعالى الوحشة، فآنسه الله تعالى بالخطاف، وألزمها البيوت فهي لا تفارق بني آدم أنسالهم. قال: ومعها أربع آيات من كتاب الله عز وجل وهي «١» لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا

إلى آخر السورة، وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم. والخطاطيف أنواع:

منها نوع يألف سواحل البحر يحفر بيته هناك، ويعشش فيه، وهو صغير الجثة دون عصفور الجنة، ولونه رمادي والناس يسمونه سنونو بضم السين المهملة ونونين. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب السين المهملة، ومنها نوع أخضر على ظهره بعض حمرة أصغر من الذرة يسميه أهل مصر الخضيري، لخضرته يقتات الفراش والذباب ونحو ذلك، ومنها نوع طويل الأجنحة رقيقها يألف الجبال، ويأكل النمل، وهذا النوع يقال له السمائم مفرده سمامه، ومنهم من يسمي هذا النوع السنونو الواحدة سنونوة، وهو كثير في المسجد الحرام يعشش في سقفه في باب إبراهيم وباب بني شيبة. وبعض الناس يزعم أن ذلك هو الطير

الأبابيل الذي عذب الله تعالى به أصحاب الفيل. روى نعيم بن حماد عن الحسن رضي الله عنه، قال: دخلنا على ابن مسعود رضي الله عنه، وعنده غلمان كأنهم الدنانير، أو الأقمار حسنا فجعلنا نتعجب من حسنهم، فقال عبد الله كأنكم تغبطوني بهم؟! فقلنا: والله إن مثل هؤلاء يغبط بهم الرجل المسلم، فرفع رأسه إلى سقف بيت له قصير، قد عشش فيه الخطاف وباض، فقال: والذي نفسي بيده لأن أكون قد نفضت يدي من تراب قبورهم، أحب إلي من أن يخرج عش هذا الطائر فينكسر بيضه. قال ابن المبارك: إنما قال ذلك خوفا عليهم من العين. قال أبو إسحاق الصابي يصف الخطاف:

وهندية الأوطان زنجية الخلق ... مسودة الألوان محمرة الحدق

إذا صرصرت صرت بآخر صوتها ... حداد فأذرت من مدامعها العلق." (١)

"الماء طهورا يجوز منه التوضؤ، وعلله بأن هذا الدود ليس بحيوان، بل هو منعقد من بخار يصعد من الماء، فيشبه الدود، وهذا منه صريح في جواز شرب الدعاميص مع الماء، لأنها ماء منعقد.

ويحتمل أن يكون منه اختيار الأن دود الخل والفاكهة يعطى حكم ما يتولد منه حتى يجوز أكله منفردا. كما هو وجه في المذهب موجها بأنه يشبهه طعما وطبعا. والظاهر أن هذا لا يوافق عليه.

والمشهور خلاف ما قاله تفسيرا وحكما. وإن الدعموص محرم الأكل لاستقذاره لأنه من الحشرات.

الأمثال:

قالوا «١» : «أهدى من دعيميص الرمل» . وهو عبد أسود كان داهية خريتا لم يكن يدخل في بلاد وبار غيره فقام في الموسم وقال:

فمن يعطني تسعا وتسعين بكرة ... هجانا راد ما أهدها لوبار

فقام رجل من مهرة وأعطاه ما سأل وتحمل معه بأهله وولده، فلما توسطوا الرمل طمست الجن عين دعيميص، فتحير وهلك هو ومن معه في تلك الرمال، وفي ذلك يقول الفرزدق.

كهلاك ملتمس طريق وبار.

الدغفل:

كجعفر ولد الفيل، وذكر الثعالب أيضا. وكان دغفل بن حنظلة النسابة، أحد بني شيبان يسمى بذلك. روى عنه الحسن البصري شيئا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخولف فيه، ويقال: إن له صحبة

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٤١٢/١

ولم يصح، ولم يعرفه أحمد بن حنبل، وروى عنه الحسن أنه قال: «كان على النصارى صوم شهر رمضان فولي عليهم ملك، فمرض فنذر، إن شفاه الله أن يزيد الصوم عشرا، ثم كان عليهم ملك بعده، يأكل اللحم، فمرض فنذر إن شفاه الله أن لا يأكل اللحم ويزيد الصوم ثمانية أيام، ثم كان ملك بعده فقال: ما ندع هذه الأيام إلا أن نتمها خمسين ونجعلها في الربيع فصارت خمسين يوما» . قال البخاري: لا يتابع دغفل على ذلك ولا يعرف للحسن سماع منه. وقال ابن سيرين: كان دغفل رجلا عالما، لكن اغتلمته النساء. أرسل إليه معاوية رضي الله تعالى عنه، يسأله عن أنساب العرب وعن النجوم وعن العربية وعن أنساب قريش فأخبره، فإذا هو رجل عالم فقال له من أين حفظت هذا يا دغفل؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول، فأمره أن يعلم ولده يزيد.

الدغناش:

طائر صغير من أنواع العصافير أصغر من الصرد مخطط الظهر بحمرة مطوق بالسواد والبياض، وهو شرير الطبع شديد المنقار. يوجد كثيرا بسواحل البحر الملح وغيره.

وحكمه:

الحل لأنه من أنواع العصافير.

الدقيش:

بضم الدال وفتح القاف، طائر صغير أصغر من الصرد وتسميه العامة الدقناس.

وحكمه

: كالذي قبله ولعله هو، ولكن تلاعبوا به فسموه تارة كذا وتارة كذا. وفي." (١)

"صائده، وإذا لبث في العمق حينا حبس نفسه، وصعد بعد ذلك مسرعا مثل السهم لطلب النفس، فإن كانت بين يديه سفينة وثب وثبة ارتفع بها عن السفينة، ولا يرى منها ذكر إلا مع أنثى.

الحكم:

يحل أكله لعموم حل السمك إلا ما استثني منه، وليس هذا من المستثنيات كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الخواص:

إذا غلي شحمه في حنظلة فارغة وقطر في الأذن نفع من الصمم، ولحمه بارد بطيء الهضم. وإذا علقت

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٤٦٩/١

أسنانه على الصبيان يفزعوا. وأكل شحمه ينفع من أوجاع المفاصل.

وشحم كلاه إذا أذيب بالنار، ودهن به مع دهن الزنبق وجه امرأة أحبها زوجها وطلب مرضاتها. وكفاه يعلقان على من يفزع فيذهب فزعه. وإذا وضع نابه الأيمن في دهن ورد سبعة أيام ومسح به وجه إنسان كان محبوبا عند عامة الناس ونابه الأيسر بالضد من ذلك.

التعبير:

الدلفين تدل رؤيته على ما دلت عليه رؤية التمساح، وربما دلت رؤيته على المكايد، والاختفاء بالأعمال، وعلى التلصص واستراق السمع، وربما دلت رؤيته على كثرة الدعاء والمطر، قاله ابن الدقاق. وقال المقدسي: من رآه في المنام، وكان خائفا، أمن ونجا لأنه ينجي الغرقى. وكل حيوان يرى مما يخشى منه في اليقظة كالتمساح ونحوه، إذا كان خارج الماء فهو عدو عاجز لا يقدر على مضرة من رآه في المنام، لأن قوته وبطشه في الماء فإذا خرج منه زالت قوته والله اعلم.

الدلق:

بالتحريك فارسي معرب، وهو دويبة تقرب من السمور. قال عبد اللطيف البغدادي: إنه يفترس في بعض الأحايين ويكرع الدم. وذكر ابن فارس، في المجمل، إنه النمس، وفيه نظر. قال الرافعي: والدلق يسمى ابن مقرس وقال القزويني: إنه حيوان وحشي عدو الحمام إذا دخل البرج لا يترك فيه واحدا أو تنقطع الثعابين عند صوته، وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام في باب الميم على ابن مقرص وما وقع فيه للرافعي والنووي. وفي رحلة ابن الصلاح، عن كتاب لوامع الدلائل، في زوايا المسائل للكيا الهراسي أنه قال: يجوز أكل الفنك والسنجاب والدلق والقاقم، والحوصل والزرافة كالثعلب. ثم إن ابن الصلاح كتب بخطه: الدلق النمس. فاستفدنا من هذا حل النمس والزرافة. وسيأتي إن شاء الله تعالى بيانهما في بابيهما.

الخواص:

عينه اليمنى تعلق على من به حمى الربع تزول عنه بالتدريج، وإذا علق اليسرى عليه عادت. وشحمه إذا بخر به برج الحمام هربت كلها. وهو يزيل الكلال الحاصل للإنسان من أكل الحامض. ودمه يقطر في أنف المصروع منه نصف دانق ينفعه، وجلده يجلس عليه صاحب القولنج والبواسير ينفعه.

الدلم:

نوع من القراد، قالت العرب في أمثالها: «فلان أشد من الدلم» «١» .." (١)

"ألم تر أن المرء طول حياته ... معنى بأمر لا يزال يعالجه

كدود كدود القز ينسج دائما ... ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وله أيضا وأجاد:

لا يغرنك أنني لين اللم ... س فعزمي إذا انتضيت حسام

أنا كالورد فيه راحة قوم ... ثم فيه لآخرين زكام

وقال آخر «١» في المعنى:

يفنى الحريص بجمع المال مدته ... وللحوادث ما يبقى وما يدع «٢»

كدودة القز ما تبنيه يهلكها ... وغيرها بالذي تبنيه ينتفع «٣»

لما أخذت دودة القز تنسج، أقبل العنكبوت يتشبه بها، وقال: لي نسج ولك نسج. فقالت دودة القز: إن نسجي ملابس الملوك ونسجك ملابس الذباب، وعند مس الحاجة يتبين الفرق ولذلك قيل:

إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

تتمة:

شجرة الصنوبر تثمر في كل ثلاثين سنة مرة، وشجرة الدبا تصعد في كل أسبوعين، فتقول لشجرة الصنوبر: إن الطريق التي قد قطعتها في ثلاثين سنة قطعتها في أسبوعين. ويقال:

لك شجرة ولي شجرة، فتقول شجرة الصنوبر لها: مهلا إلى أن تهب رياح الخريف، فحينئذ يتبين لك اغترارك بالإسم. وقال المسعودي في ترجمة الراضي إن دودة بطبرستان، تكون من المثقال إلى ثلاثة مثاقيل، تضيء في الليل كما يضيء الشمع، وتطير بالنهار فترى لها أجنحة، وهي خضراء ملساء لا جناحين لها في الحقيقة، غذاؤها التراب، لم تشبع قط منه خوفا أن تفنى تراب الأرض فتهلك جوعا. قال: وفيها منافع كثيرة وخواص واسعة انتهى. وسيأتي عن الجاحظ قريب من هذا.

الحكم:

يحرم أكله بجميع أنواعه، لأنه مستخبث إلا ما تولد من مأكول فعندنا فيه ثلاثة أوجه: أصحها جواز أكله

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٤٧١/١

معه لا منفردا، والثاني يجب تمييزه ولا يؤكل أصلا، والثالث يؤكل معه ومنفردا. وعلى الأصح ظاهر اطلاقهم أنه لا فرق بين أن يسهل تمييزه أو يشق. ولا يجوز بيع الدود إلا القرمز الذي يصبغ به وهو دود أحمر يوجد في شجر البلوط في بعض البلاد صدفي يشبه الحلزون. تجمعه نساء تلك البلاد بأفواههن. وأما دود القز فيجوز بيعه، ويجب إطعامه ورق الفرصاد، وهو التوت الأبيض، ويجوز تشميسه، وإن هلك لتحصيل فائدته. ويجوز بيع الفيلج وفي باطنه الدود الميت لأن بقاءه فيه من مصلحته، فيجوز بيعه وزنا وجزفا، كما صرح به القاضي." (١)

"وحكمه

: الحل لأنه من أنواع العصافير.

ومن خواصه

: أن لحمه يزيد في الباه، ودمه إذا وضع على الدماميل نفعها وإذا ذر رماد الزرزور على الجرح فإنه يختم بإذن الله تعالى.

التعبير

: الزرزور دال على التردد في الأسفار، في البر والبحر، وربما دل على رجل مسافر يسافر كثيرا كالمكاري الذي لا يلبث في مكان، ونحوه وطعامه حلال لأنه حرم على نفسه الطعام والشراب لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة، فلم يتناول شيئا من ذلك حتى تاب الله تعالى عليه. وربما دل على التخليط في الأعمال الصالحة أو السيئة، أو على رجل ليس بغني ولا فقير، ولا شريف ولا وضيع، وربما دل على المهانة والقناعة، بأدنى العيش واللعب وربما كان كاتبا والله أعلم.

الزرق

: طائر يصاد به، بين البازي والباشق، قاله ابن سيده. وقال الفراء: هو البازي الأبيض. والجمع الزراريق وهو صنف من البازي لطيف، إلا أنه أحر وأيبس مزاجا، ولذلك هو أشد جناحا وأسرع طيرانا وأقوى إقداما، وفيه ختل وخبث، وخير ألوانه الأسود الظهر، الأبيض الصدر، الأحمر العين، قال الحسن بن هانيء في طريدته يصفه:

قد اغتدي بسفرة معلقه ... فيها الذي يريده من مرفقه

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١/٤٧٦

مبكرا بزرق أو زرقه ... وصفته بصفة مصدقه

كأن عينه لحسن الحدقه ... نرجسة نابتة في ورقه

ذو منسر مختضب بعلقه ... كم وزة صدنا به ولقلقه

سلاحه في لحمها مفرقه

الحكم

: تحريم الأكل كما تقدم في البازي.

الزرافة

: كنيتها، وهي بفتح الزاعي المخففة وضمها، وهي حسنة الخلق، طويلة اليدين، قصيرة الرجلين، مجموع يديها ورجليها نحو عشرة أذرع، ورأسها كرأس الإبل، وقرنها كقرن البقرة، وجلدها كجلد النمر، وقوائمها وأظلافها كالبقر، وذنبها كذنب الظبي، ليس لها ركب في رجليها، وإنما ركبتاها في يديها، وهي إذا مشت، قدمت الرجل اليسرى واليد اليمنى، بخلاف ذوات الأربع كلها فإنها تقدم اليد اليمنى والرجل اليسرى، ومن طبعها التودد والتأنس، وتجتر وتبعر ولما علم الله تعالى أن قوتها من الشجر، جعل يديها أطول من رجليها لتستعين بذلك على الرعي منها بسهولة. قاله القزويني في عجائب المخلوقات. وفي تاريخ ابن خلكان، في ترجمة محمد بن عبد الله العتبي «١» البصري الإخباري الشاعر المشهور أنه كان يقول: **الزرافة** بفتح الزاي وضمها الحيوان المعروف وهي متولدة بين ثلاث حيوانات، بين الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبعان وهو الذكر من الضباع، فيقع الضبعان على الناقة فتأتي بولد بين الناقة." (١)

"والضبع، فإن كان الولد ذكرا، وقع على البقرة فتأتي **بالزرافة**، وذلك في بلاد الحبشة، ولذلك قيل لها **الزرافة**، وهي في الأصل الجماعة، فلما تولدت من جماعة، قيل لها ذلك، والعجم تسميها «اشتركا» و «يلنك» لأن اشتر الجمل وكاو البقرة ويلنك الضبع.

وقال قوم: إنها متولدة من حيوانات مختلفة، وسبب ذلك اجتماع الدواب والوحوش في القيظ، عند المياه، فتتسافد فيلقح منها ما يلقح، ويمتنع منها ما يمتنع، وربما سفد الأنثى من الحيوان ذكور كثيرة، فتختلط مياهها فيأتي منها خلق مختلف الصور والألوان والأشكال. والجاحظ لا يرضى هذا القول، ويقول: إنه جهل شديد، لا يصدر إلا ممن لا تحصيل لديه، لأن الله تعالى يخلق ما يشاء، وهو نوع من الحيوان قائم بنفسه،

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٨

كقيام الخيل والحمير، ومما يحقق ذلك أنه يلد مثله وقد شوهد ذلك وتحقق.

وفي حكمها وجهان

: أحدهما التحريم، وبه جزم صاحب التنبيه وفي شرح المهذب للنووي أنها محرمة بلا خلاف، وأن بعضهم عدها من المتولد بين المأكول وغيره وقال بتحريمها القاضي أبو الخطاب من الحنابلة، والثاني الحل، وبه أفتى الشيخ تقي الدين بن أبي الدم «١» الحموي، ونقله عن فتاوي القاضي حسين وذكر أبو الخطاب ما يوافق الحل فإنه حكى في فروعه قولين في أن الكركي والبط **والزرافة**، هل تفدى بشاة أو تفدى بالقيمة؟ والفداء لا يكون إلا للمأكول. قال ابن الرفعة: وهو المعتبر، كما أفتى به البغوي قال: ومنهم من أول لفظها وقال: ليست **الزرافة** بالفاء بل بالقاف. قال الشيخ تقي الدين السبكي: هذا التعليل ليس بشيء لأنه لا يعرف. واختار في الحلبيات حلها كما أفتى به ابن أبي الدم، ونقله عن القاضي حسين وتتمة التتمة قال: وما ادعاه النووي ممنوع وما ادعاه أبو الخطاب الحنبلي يجوز حمله على جنس يتقوى بنابه، وأما هذا الذي شاهدناه فلا وجه للتحريم فيه. وما برحت أسمع هذا بمصر وقال ابن أبي الدم، في شرح التنبيه:

وما ذكره الشيخ في التنبيه غير مذكور في كتب المذهب.

وقد ذكر القاضي حسين أنها تحل ثم قال: قلت هذا مع أنها أقرب شبها بما يحل، وهو الإبل والبقر، وذلك يدل على حلها ويمكن أن يقال: إنما ذكر الشيخ ذلك اعتمادا على ما ذكر أهل اللغة أنها من السباع، وتسميتهم لها بذلك تقتضي عدم الحل، وإذا كان كذلك فقد ذكر صاحب كتاب العين أن **الزرافة** بفتح الزاي وضمها من السباع ويقال لها بالفارسية «اشتركا» و «يلنك» . وقد ذكر في موضع آخر أن **الزرافة** متولدة بين الناقة الوحشية والضبع، فيجيء الولد في خلقة الناقة والضبع، فإن كان الولد ذكرا عرض للأنثى من بقر الوحش فيلحقها، فتأتي **بالزرافة**. وسميت بذلك لأنها جمل وناقة، ولما كان كذلك وسمع الشيخ أنها من السباع اعتقد أنها من السباع حقيقة ولم يكن رآها فاستدل بذلك على تحريم أكلها انتهى. وقد تقدم أن الجاحظ لم يرتض هذا القول، وقال «٢» إن هذا القول جهل بين، وإن **الزرافة** نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير.." (١)

"قلت: وهذا الذي قاله الجاحظ معارض لما نقله ابن أبي الدم عن صاحب كتاب العين، من كونها متولدة بين مأكولين، وما تمسك به ابن أبي الدم من الشبه بالإبل والبقر شبه بعيد، لما يشاهد من طول

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٩

يديها وقصر رجليها، ولو كان الشبه البعيد كافيا لحل أكل الصرارة لشبهها بالجرادة ولجاز أكله، لأن خفه يشبه خف الجمل. وقد ذكر في شرح المهذب، أن بعضهم عد **الزرافة** من المتولد بين مأكول وغير مأكول، واستدل به على تحريمها وكلام الجاحظ ينفي هذا، ويقتضي الحل وهو المختار في الفتاوى الحلبيات كما سبق، وهو مذهب الإمام أحمد ومقتضى مذهب مالك، وقواعد الحنفية تقتضيه وإذا تعارضت الأقوال، وتساقط اعتبار مدلولها، رجعنا إلى الإباحة الأصلية، والتحقت هذه بما لا نص فيه بالتحريم والتحليل. وسيأتي إن شاء الله تعالى، ذكر ما لا نص فيه بالتحريم والتحليل في باب الواو في الورل.

ومن خواصها

: أن لحمها غليظ سوداوي رديء الكيموس.

التعبير

: **الزرافة** في المنام تدل على الآفة في المال، وربما دلت على المرأة الجليلة أو الجميلة أو الوقوف على الأخبار الغريبة من الجهة المقبلة منها، ولا خير فيها إن دخلت البلد من غير فائدة، فإنها تدل على الآفة في المال، وما تأنس من ذلك كان صديقا أو زوجا أو ولدا لا تؤمن غائلته.

وربما تعبر بالمرأة التي لا تثبت مع الزوج، لأنها خالفت المركوبات في ظهورها، والله أعلم.

الزرياب

: قال في كتاب منطق الطير: إنه أبو زريق. قال: وحكي أن رجلا خرج من بغداد، ومعه أربعمائة درهم لا يملك غيرها، فوجد في طريقه أفراخ زرياب فاشتراها بالمبلغ الذي كان معه، ثم رجع إلى بغداد، فلما أصبح فتح دكانه وعلق الأفراخ عليها، فهبت ريح باردة فماتت كلها إلا فرخا واحدا، وكان أضعفها وأصغرها، فأيقن الرجل بالفقر ولم يزل يبتهل إلى الله تعالى بالدعاء ليله كله ويقول: يا غياث المستغيثين أغثني! فلما أصبح زال البرد، وجعل ذلك الفرخ ينفش ريشه ويصيح بصوت فصيح، يا غياث المستغيثين أغثني فاجتمع الناس عليه يستمعون صوته فاجتازت به أمة لأمير المؤمنين فاشترته بألف درهم انتهى.

فانظر كيف فعل الصدق مع الله تعالى، والإقبال بكنه الهمة في التضرع بين يديه وحضور القلب وعدم الالتفات إلى غيره من الغنى من الجهة الميؤوس منها! فما ظنك بمن ترك الأسباب والوسايط، وأقبل على الله تعالى إقبالا لا يشغله عنه شاغل، ولا يحجبه حاجب، لأن حجابه نفسه وقد فني عنها فهناك لذ الخطاب وطاب الشراب، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، وهو العزيز الوهاب.

الزغبة

: دويبة تشبه الفأرة، قاله ابن سيده قال: وقد سمت العرب زغبة، وأشار بذلك إلى عيسى بن حماد «١» البصري زغبة روى عن رشد بن سعد وعبد الله بن وهب والليث بن سعد وروى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين.

الزغلول

: بضم الزاي فرخ الحمام مادام يزق يقال: أزغل الطائر فرخه إذا زقه والزغلول." (١)

"الدماء، وقيل الزنابير في المنام قوم لا رحمة لهم والله أعلم.

الزندبيل

: الفيل الكبير أنشد يحيى بن معين:

وجاءت قريش البطاح ... إلينا هم الدول الجاليه

يقودهم الفيل والزندبيل ... وذو الضرس والشفة العاليه

الزندبيل كبير الفيلة وقال يحيى: أراد بالفيل والزندبيل عبد الملك وأبان ابني بشر بن مروان قتلا مع ابن هبيرة الأصغر وأراد بذي الضرس والشفة العالية خالد بن مسلمة المخزومي المعروف بالفأفاء الكوفي، روى له مسلم والأربعة وروى عن الشعبي وطبقته، وروى عنه شعبة بن الحجاج والسفيانان وكان مرجئا يبغض عليا رضي الله تعالى عنه، أخذ مع ابن هبيرة فقطع أبو جعفر المنصور لسانه ثم قتله.

الزهدم:

زاي مفتوحة ثم هاء ساكنة ثم دال مهمة مفتوحة الصقر ويقال فرخ البازي وبه سمي زهدم بن مضرب الجرمي، روى له البخاري ومسلم والترمذي والنسائي. والزهدمان أخوان من بني عبس زهدم وكردم وفيهما يقول قيس بن زهير «١» :

جزاني الزهدمان جزاء سوء ... وكنت المرء يجزى بالكرامة

أبو زريق:

القيق الآتي ذكره في باب القاف إن شاء الله تعالى. والزرياب المتقدم قبل بورقة، وهو ألوف للناس يقبل التعليم سريع الإدراك لما يعلم، وربما زاد على الببغاء وذلك أنه أنجب وإذا تعلم جاء بالحروف مبينة حتى

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/١٠

لا يشك سامعه أنه إنسان وقد تقدم ذكره في الزرياب.

وحكمه

: حل الأكل لعدم استخباثه لكن قيل إنه متولد من الشقراق والغراب، فعلى هذا يتخرج فيه وجه بالتحريم ولم يذكروه.

أبو زيدان:

ضرب من الطير.

أبو زياد

: الحمار. قال الشاعر:

زياد لست أدري من أبوه ... ولكن الحمار أبو زياد

وأبو زياد أيضا الذكر قال الشاعر:

تحاول أن تقيم أبا زياد ... ودون قيامه شيب الغراب

وهو الزهد باج أيضا قاله في المرصع.

باب السين المهملة

سابوط:

دابة من دواب البحر قاله ابن سيده وغيره.." (١)

"خوفه خافه كل شيء، ومن أطاع الله حق طاعته أطاعه كل شيء.

وحكمه

: تقدم في باب الهمزة لكن يكره ركوب السباع لما روى ابن عدي في ترجمة اسماعيل بن عياش عن بقية عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ركوب السباع» «١» . ولا يصح بيع السباع التي لا تنفع وقيل يجوز بيعها لأجل جلودها وأما التي تنفع كالفهد **والفيل** والقرد فيجوز بيعه.

السبنتي والسبندي:

النمر الجريء والأنثى سبنداة قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ناحت الجن على عمر رضي الله تعالى

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/١٥

عنه قبل أن يموت بثلاثة أيام فقالت «٢» :

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت ... له الأرض تهتز العضاه بأسوق

جزى الله خيرا من إمام وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتق

وما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكفي سبنتي أزرق العين مطرق

المطرق الحنق الذي أرخى عينيه إلى الأرض، وقد يمد السبنتي. ونسب الجوهري هذه الأبيات إلى الشماخ، وقال في الاستيعاب: لما مات عمر رضي الله تعالى عنه نحل الناس هذه الأبيات إلى الشماخ بن ضرار ولأخويه، وكانوا إخوة ثلاثة كلهم شعراء، وسيأتي ذكر النمر في باب النون إن شاء الله تعالى.

السبيطر:

بفتح السين وفتح الباء الموحدة والطاء المهملة، بينهما ياء مثناة من تحت، وبالراء المهملة في آخره، مثل العميثل: طائر طويل العنق جدا يرى أبدا في الماء الضحضاح، ويكنى بأبي العيزار. كذا قاله الجوهري وابن الأثير، والظاهر أنهما أرادا به مالكا الحزين، وقال في المحكم:

الكركي يكنى أبا العيزار وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر العميثل في باب السين المهملة.

السحلة:

كالهمزة الأرنب الصغيرة التي قد ارتفعت عن الخرنق وفارقت أمها.

السحلية:

بضم السين العظاية. قال ابن الصلاح: هي دويبة أكبر من الوزغ وقد عد في الروضة العظاية من نوع الوزغ، وقال: إنها محرمة، وقال ابن قتيبة وصاحب الكفاية: وذكر العظاية يسمى العضرفوط بفتح العين المهملة وتسكين الضاد المعجمة وبالفاء والواو والطاء في آخره. وذكر الجاحظ أن العضرفوط بلغة قيس هي العظاية وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة قول الأزهري: هي دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيرا تشبه سام أبرص إلا أنها لا تؤذي وهي أحسن منه.

السحا:

بفتح السين والحاء المهملتين الخفاش الواحدة سحاة مفتوحتان مقصورتان قاله." (١)

"الذبل وعجن رماده ببياض البيض، وطلي به شقاق الكعبين والأصابع نفعه. وقيل: الذبل جلد السلحفاة الهندية.

فائدة

: كان للنبي صلى الله عليه وسلم مشط من العاج والعاج الذبل، وهو شيء يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية يتخذ منه الأمشاط والأساور. وفي الحديث «١» أن النبي صلى الله عليه وسلم «أمر ثوبان رضي الله تعالى عنه أن يشتري لفاطمة رضي الله تعالى عنها سوارين من عاج» أما العاج الذي هو عظم **الفيل**، فنجس عند الشافعي، وطاهر عند أبي حنيفة، وعند مالك يطهر بصقله فيجوز التسريح بمشط العاج، وهو الذبل وعليه يحمل ما وقع للنووي في شرح المهذب من جواز التسريح به. فمراده بالعاج الذبل لا العاج الذي هو ناب **الفيل**.

السلفان:

بكسر السين أولاد الحجل الواحدة سلف مثل صرد وصردان قال أبو عمر: ولم يسمع سلفة للأنثى ولو قيل سلفة كما قيل سلكة لواحدة السلكان لكان جيدا.

السلق:

بالكسر الذئب والأنثى سلقة وربما قيل للمرأة السلطة سلقة ومنه قوله «٢» تعالى:

فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد

أي بسطوا ألسنتهم فيكم. والسالقة الرافعة صوتها عند المصيبة.

السلك:

فرخ القطا وقيل: فرخ الحجل، والأنثى سلكة، والجمع سلكان، مثل صرد وصردان. وقيل واحدته سلكانة. وقد ضربت العرب المثل بسليك بن سلكة في العدو وهو تميمي من بني سعد وسلكة أمه، وكانت سوداء وكان يقال له سليك المقانب قال الشاعر:

إلى الهول أمضى من سليك المقانب.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٢٣

وهو أحد أغربة العرب الآتي ذكرهم إن شاء الله تعالى في باب الغين المعجمة.

السلكوت:

طائر قاله في المحكم في رباعي السين.

السلوى:

قال ابن سيده: إنه طائر أبيض مثل السماني واحدته سلوة والسلوى العسل قال خالد بن زهير الهذلي:

وقاسمها بالله جهدا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها «٣»

قال الزجاج: أخطأ خالد، إنما السلوى طائر. وقيل: السلوى اللحم. قال الإمام حجة الاسلام الغزالي: وسمي سلوى لأنه يسلي الإنسان عن سائر الإدام، والناس يسمونه قاطع الشهوات. وقال القزويني وابن البيطار: إنه السماني وقال غيرهما: إنه طائر قريب من السماني. وقال الأخفش: لم يسمع له بواحد ويشبه أن يكون واحده سلوى كدفلى للواحد والجمع، وهو طائر يعيش دهره في قلب اللجة فإذا مرضت البزاة بوجع الكبد، طلبته وأخذته وأكلت كبده فتبرأ، وهو." (١)

"إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقال: نجوت وهديت، ولولا ذلك لرديت، فارجع من حيث جيت. قال: فرجعت أقفو أدراجي فإذا هو يقول:

امتط السمع الأزل ... يعل بك التل

فهناك أبو عامر ... يتبع بك الفل

قال: فالتفت، فإذا سمع كالأسد النهد، فركبته فمر ينسل حتى انتهى إلى تل عظيم، فتوقل فيه إلى أن تسنمه فأشرفت منه على خيل المسلمين، فنزلت عنه وصوبت في الحدور نحوهم، فلما دنوت منهم خرج إلي فارس كالفالج الهائج، فقال: ألق سلاحك لا أم لك، فألقيت سلاحي فقال لي: من أنت؟ قلت: مسلم. قال: فسلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقلت: وعليك السلام والرحمة والبركة. من أبو عامر؟ قال: أنا هو قلت: الحمد لله. فقال: لا بأس عليك، هؤلاء إخوانك المسلمين. ثم قال: إني رأيتك بأعلى التل فارسا فأين فرسك؟ قال:

فقصصت عليه القصة فأعجبه ما سمع مني، وسرت مع القوم أقفو بهم أثر هوازن، حتى بلغوا من الله ما أرادوه. قال محمد بن ظفر: قوله: تحوى عليه أرقم، أي استدار عليه، والأرقم الحية التي فيها خطوط

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣٥

كالرقم. وتزعم الأعراب أن الثعالب مطايا الجن، ويكرهون اصطيادها، ويقولون:
إن من صاد ثعلبا أصيب ببعض ماله. وقوله: سبقني بنفسه أي هلك قبل أن أصل إليه. وقوله:
لولا ذلك لرديت، أي هلكت. والردى الهلاك. وقوله: أقفو أدراجي أي أتبع طرقي التي جئت فيها والأدراج السبل وقوله: الفل هم المنهزمون، وقوله: النهد هو العظيم الخلق. وقوله: ينسل أي يعدو، والنسلان عدو الذئب والكلب وكل ما أشبه ذلك في العدو فهو نسلان. وقوله:
كالفالج هو البعير العظيم ذو السنامين انتهى.
الحكم
: تحريم الأكل. واختلفوا في وجوب الجزاء على المحرم بقتله كالمتولد بين الحمار الوحشي والأهلي فقال ابن القاص: لا جزاء في ذلك. وغلط فيه والمذهب أنه يحرم على المحرم التعرض له ويجب فيه الجزاء.
الأمثال
: قالوا: «أسمع من سمع ومن سمع الأزل» «1» . لأن هذه الصفة لازمة له، كما يقال للضبع: العرجاء.
وهو في الرؤيا يدل على ذي الأصل الرديء. ونقل ما سمعه من كلام جيد ورديء، وذلك مأخوذ من اسمه والله أعلم.
السمائم:
بالفتح جمع سمامة وهو ضرب من الطير، كالخطاف لا يقدر على بيضه. وقيل: هو السنونو الآتي قريبا إن شاء الله تعالى وهو الطير الأبابيل الذي أرسله الله تعالى على أصحاب **الفيل.**
الأمثال
: قالت العرب: «كلفتني بيض السمائم» «٢» ويروى بيض السماسم وهو جمع." (١)
"وحكمه
: حل الأكل الحاقا له بالثعلب، ولأنه لا يأكل شيئا من الخبائث.
التعبير
: هو في الرؤيا، يدل على رجل ظالم لص، لا يخالط أحدا والله أعلم.
السميطر:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٣٨/٢

على مثال العميثل طائر طويل العنق جدا، يرى أبدا في الماء الضحضاح، يكنى بأبي العيزار، كذا قاله الجوهري. ويقال له الشبيطر، والظاهر أنه مالك الحزين، وهو البلشون كما تقدم، وسيأتي في باب الميم، إن شاء الله تعالى.

السمندر والسميدر:

دابة معروفة عند أهل الهند والصين قاله ابن سيده.

سناد:

قال القزويني: إنه حيوان على صفة الفيل، إلا أنه أصغر منه جثة وأعظم من الثور، وقيل: إن ولدها يخرج رأسه من فرج أمه ويرعى حتى يقوى، فإذا قوي خرج وهرب من الأم، مخافة أن تلحسه بلسانها، لأن لسانها مثل الشوك فإن وجدته لحسته حتى ينحاز لحمه عن عظمه وهو كثير ببلاد الهند.

الحكم

: يحرم أكله كالفيل.

السنجاب:

حيوان على حد اليربوع، أكبر من الفأر، وشعره في غاية النعومة، يتخذ من جلده الفراء، يلبسه المتنعمون. وهو شديد الحيل، إذا أبصر الانسان صعد الشجرة العالية، وفيها يأوي ومنها يأكل. وهو كثير ببلاد الصقالبة والترك، ومزاجه حار رطب، لسرعة حركته عن حركة الإنسان. وأحسن جلوده الأزرق الأملس وقد أحسن القائل:

كلما ازرق لون جلدي من البر ... د تخيلت أنه سنجاب

وحكمه

: حل الأكل لأنه من الطيبات. وقال بتحريم أكله، القاضي من الحنابلة، وعلله بأنه ينهش الحيات، فأشبه الجرذ. واستدل الجمهور بأنه يشبه اليربوع، ومتى تردد بين الإباحة والتحريم غلبت الإباحة، لأنها الأصل وإذا ذكي السنجاب ذكاة شرعية، جاز لبس فرائه، وإن خنق ثم دبغ جلده، لم يطهر شعره على الأصح كسائر جلود الميتة، لأن الشعر لا يتأثر بالدباغ، وقيل: يطهر الشعر تبعا للجلد، وهي رواية الربيع الجيزي عن الشافعي، ولم ينقل عنه في المهذب سوى هذه المسألة. وهذا الوجه صححه الأستاذ أبو اسحاق الإسفراييني، والروياني، وابن أبي عصرون، واختاره السبكي وغيره، لأن الصحابة قسموا في زمن عمر رضي

الله تعالى عنه الفراء المغنومة من الفرس، وهي ذبائح مجوس.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الخير مرثد بن عبد الله البرني، قال: رأيت على ابن وعلة السبائي فروا فمسسته، فقال: ما لك تمسه! قد سألت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قلت له:

إنا نكون بالمغرب، ومعنا البربر والمجوس، فيؤتى بالكبش، قد ذبحوه، ونحن لا نأكل ذبائحهم، ويأتون بالسقاء فيجعلون فيه الودك. فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: «دباغه طهوره» «١» .." (١)

"باب المدينة فإذا عليها ملكان فيأخذان بأرجلهما ويسحبانهما إلى أرض المحشر، فهما آخر الناس حشرا» .

غريبة

: قيل: كان لركن الدولة سنور يألف مجلسه، وكان بعض أصحابه، إذا أراد الاجتماع به فيعسر عليه ذلك، كتب حاجته في رقعة وعلقها في عنق السنور، فيراها ركن الدولة فيأخذ الرقعة ويقرؤها، ويكتب جوابها، عليها ثم يشدها في عنق السنور، فيرجع بها إلى صاحبها. وقيل: إن أهل سفينة نوح عليه السلام تأذوا من الفأر فمسح نوح عليه السلام جبهة الأسد فعطس، فرمى بالسنور فلذلك هو أشبه شيء بالأسد، بحيث لا يمكن أن يصور الهر إلا جاء أسدا، وهو ظريف لطيف يمسح بلعابه وجهه، وإذا تلطخ شيء من بدنه نظفه، وهو في آخر الشتاء تهيج شهوته، فيتألم ألما شديدا من لذع مادة النطفة فلا يزال يصيح حتى يلقي تلك المادة.

وإذا جاعت الأنثى أكلت أولادها، وقيل: إنها تفعل ذلك لشدة محبتها لهم وأنشد «١» الجاحظ:

جاءت مع الاشفين في هودج ... تزجى إلى النصرة أجنادها

كأنها في فعلها هرة ... تريد أن تأكل أولادها

معنى تزجي تسوق قال الله تعالى: ألم تر أن الله يزجي سحابا

«٢» أي يسوق سحابا.

وإذا بال السنور ستر بوله حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب، فيشمه أولا، فإذا وجد رائحته شديدة، غطاه بحيث يواري الرائحة والجرم، وإلا اكتفى بأيسر التغطية. قالوا: والفأرة تعرف رجيع السنور، وذكر الزمخشري

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٤٧/٢

أن الله تعالى ألهم الهرة ذلك، ليتنبه بذلك قاضي الحاجة من الناس فيغطي ما يخرج منه. وإذا ألف السنور منزلا، منع غيره من السنانير الدخول إلى ذلك المنزل، وحاربه أشد محاربة وهو من جنسه، علما منه بأن أربابه ربما استحسنوه وقدموه عليه، أو شاركوا بينه وبينه في المطعم، وإن أخذ شيئا مما يخزنه أصحاب المنزل عنه هرب علما منه بما يناله منهم من الضرب. وإذا طردوه تملقهم وتمسح بهم، علما منه بأنه يخلصه التملق ويحصل له العفو والإحسان. وقد جعل الله تعالى في قلب **الفيل** الفرق منه، فهو إذا رأى سنورا هرب. وحكي أن جماعة من أهل الهند هزموا بذلك.

والسنور ثلاثة أنواع: أهلي، ووحشي، وسنور الزباد. وكل من الأهلي والوحشي له نفس غضوبة يفترس ويأكل اللحم الحي ويناسب الإنسان في أمور: منها أنه يعطس ويتثاءب ويتمطى ويتناول الشيء بيده، وتحمل الأنثى في السنة مرتين، ومدة حملها خمسون يوما. والوحشي حجمه أكبر من حجم الأهلي قال الجاحظ: قال العلماء: اتخاذ السنور وتربيته مستحبة. وذكر القزويني في الاشكال، عن ابن الفقيه، أن لبعض السنابير أجنحة كأجنحة الخفافيش من أصل الأذن إلى الذنب، فإن صح ذلك فالظاهر أنه كالسنور البري، عملا بالمشاكلة. وقال مجاهد: جاء رجل إلى شريح القاضي، يخاصم آخر في سنور فقال: بينتك؟ قال: ما أجد بينة في سنور ولدته أمه عندنا.." (١)

"باب الضاد المعجمة

الضأن:

ذوات الصوف من الغنم، وهي جمع ضائن، والأنثى ضائنة والجمع ضوائن، وقيل: هو جمع لا واحد له، وقيل: جمعه ضئين كعبد وعبيد.

فائدة

: قال «١» الله تعالى: ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين

الآية وذلك أن الجاهلية كانوا يقولون: هذه أنعام وحرث حجر، وقالوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا، وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، فكنوا يحرمون بعضها على النساء، فلما جاء الإسلام وثبتت أحكامه، جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الذي جادله خطيبهم مالك بن

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٤٩/٢

عوف بن الأحوص الجشمي، فقال: يا محمد إنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم قد حرمتم أصنافا من الغنم على غير أصل، وإنما خلق الله هذه الأزواج الخمسة للمأكل والانتفاع بها، فمن أين جاء هذا التحريم أمن قبل الذكر أمن قبل الأنثى» . فسكت مالك وتحير ولم يتكلم.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ما لك لا تتكلم» ؟ فقال له مالك: بل تكلم وأسمع منك.

فلو قال جاء التحريم من قبل الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور، ولو قال بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث، ولو قال باشتمال الرحم عليه لكان ينبغي أن يحرم الكل لأن الرحم يشتمل على الذكور والإناث. فأما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع أو بالبعض دون البعض، فمن أين؟ وثمانية أزواج نصبها على البدل من الحمولة والفرش، أي وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أي أصناف: من الضأن اثنين أي الذكر والأنثى، فالذكر زوج والأنثى زوج والعرب تسمي الواحد زوجا إذا كان لا ينفك عن الآخر. وسيأتي إن شاء الله تعالى، الكلام على البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، في باب النون في النعم.

وقد جعل الله تعالى البركة، في نوع الغنم فهي تلد في العام مرة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلىء منها وجه الأرض، بخلاف السباع فإنها تلد شتاء وصيفا، ولا يرى منها إلا واحد واحد في أطراف الأرض، ويضرب المثل بلين جلودها، لما روى البيهقي والترمذي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «٢» : «يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب» وفي رواية: «وقلوبهم أمر من الصبر يلبسون للناس جلود الضأن من اللين يشترون الدنيا بالدين يقول الله تعالى: أبي يغترون وعلي يجترئون، فبي حلفت لأقيضن لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران» . يقال: ختله يختله إذا خدعه، وختل الذئب الصيد، إذا تخفى له. وبين المعز والضأن تضاد يوجب أن لا يقع بينهما لقاح أصلا. وعن عجيب طبعها وأمرها أنها ترى الفيل والجاموس فلا تهابهما، مع عظم أبدانهما، وترى الذئب فيعتريها خوف عظيم لمعنى خلقه الله في طباعها. ومن غريب أمرها أن الغنم تلد في ليلة واحدة عددا كثيرا ثم إن الراعي يسرح بالأمهات من الغد ويأتي بها عند العشاء، ويخلي بينها وبين." (١)

"فرج بعد شدة، ويسر بعد عسر، ورؤية ما يظهر بالليل دليل على الجراءة وشدة الطلب والاختفاء، ورؤية ما ليس له قيمة، إذا صار له قيمة في المنام، فإنها تدل على الربا، وأكل المال بالباطل وبالعكس.

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١٠٥/٢

ورؤية ما يظهر في وقت دون وقت، فإن رآه قد ظهر في غير أوانه، كان ذلك دليلا على وضع الأشياء في غير محلها، أو على الأخبار الغريبة والخوض فيما لا يعني، فهذا قول كلي في أنواع الطير مما تقدم ذكره وسيأتي فافهم ذلك وقس عليه.

تتمة

: قال المعبرون: كلام الطير كله صالح جيد، فمن رأى الطير يكلمه ارتفع شأنه لقوله تعالى: يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين

«١» وكره المعبرون صوت طير الماء والطاوس والدجاج وقالوا: إنه هم وحزن ونعي، وزمار الظليم، وهو ذكر النعام، قتل من خادم شجاع، فإن كره صوته فإنه غلبة من خادم. وهدير الحمام امرأة قارئة لكتاب الله تعالى، وصوت الخطاف موعظة من رجل واعظ، والله أعلم.

خاتمة

: قال ابن الجوزي، في كتاب أنس الفريد وبغية المريد: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: في القرآن عشرة أطيار، سماها الله تعالى بأسمائها: البعوضة في البقرة، والغراب في المائدة، والجراد في الأعراف، والنحلة في النحل، والسلوى في البقرة وطه، والنمل في النمل، والهدهد فيها أيضا، والذباب في الحج، والفراش في القارعة، والأبابيل في الفيل، فهذه عشر.

طير العراقيب:

طير الشؤم عند العرب، وكل ما تطيرت به سمته بذلك.

ومن الأحكام المتعلقة بالطير، أن من فتح قفصا عن طائر، وهيجه فطار ضمنه. قال الماوردي: بإجماع، لأنه ألجأه إلى ذلك، وإن اقتصر على الفتح، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها يضمنه مطلقا، والثاني لا يضمنه مطلقا، والثالث، وهو الأظهر، إن طار في الحال ضمنه، وإن وقف ثم طار فلا، لأن طيرانه في الحال، دليل على أنه بتنفيره، حصل ذلك. وأما طيرانه بعد الوقوف، فهو أمارة ظاهرة على أنه طار باختياره، لأن للطائر اختيارا فإن كسر الطائر في خروجه قارورة أو أتلف شيئا أو انكسر القفص بخروجه، أو وثبت هرة كانت حاضرة عند الفتح، فدخلت فأكلت الطائر، لزمه الضمان والله أعلم.

طير الماء:

كنيته أبو سحل، ويقال له ابن الماء وبنات الماء، وسيأتي، إن شاء الله تعالى، ذكره في آخر باب الميم.

الحكم

: قال الرافعي: إنه حلال بجميع أنواعه إلا اللقلق، فإنه يحرم أكله على الصحيح.

وحكى الروياني في طير الماء وجهين عن الصيمري، والأصح ما قاله الرافعي. ويدخل فيه البط والأوز ومالك الحزين قال أبو عاصم العبادي: وهو أكثر من مائة نوع ولا يدرى لأكثرها اسم عند العرب، فإنها لم تكن ببلادهم. وسيأتي، إن شاء الله تعالى الكلام على مالك الحزين في باب الميم.

الأمثال

: قالوا: «كأن على رؤوسهم الطير» «٢» ، بالنصب لأنه اسم كان أي على رأس كل." (١)

"ورأت يداه عظيم ما جنتا ... ففررن ذي شرقا وذي غربا

وأمال نحو الصدر منه فما ... ليلوم في أفعاله القلبا

فكأنه كان لسان حاله.

ومن شأنها، أنها إذا لسعت الإنسان، فرت فرار مسيء يخشى العقاب. قال الجاحظ: ومن عجيب أمرها أنها لا تسبح ولا تتحرك، إذا ألقيت في الماء سواء كان الماء ساكنا، أو جاريا، قال:

والعقارب تخرج من بيوتها للجراد، لأنها حريصة على أكله، وطريق صيدها أن تشبك الجرادة في عود، ثم تدخل في جحرها، فإذا عاينتها العقرب تعلقت فيها. ومتى أدخل الكراث في جحرها وأخرج، فإنها تتبعه أيضا. وربما ضربت الحجر والمدر، ومن أحسن ما قيل في ذلك:

رأيت على صخرة عقربا ... وقد جعلت ضربها ديدنا

فقلت لها: إنها صخرة ... وطبعك من طبعها ألينا

فقالت: صدقت ولكنني ... أريد أعرفها من أنا

والعقارب القاتلة تكون في موضعين بشهرزور وبعسكر مكرم، وهي جرارات تلسع فتقتل كما تقدم. وربما تناثر لحم من لسعته أو عفن لحمه واسترخى، حتى إنه لا يدنو منه أحد إلا وهو يمسك أنفه مخافة أعدائه. ومن لطيف أمرها أنها مع صغرها تقتل الفيل والبعير بلسعها.

ومن نوع العقارب الطيارة، قال القزويني والجاحظ: وهذا النوع يقتل غالبا. قال الرافعي: وحكى العبادي وجها أنه يصح بيع النمل بنصيبين، لأنه يعالج به العقارب الطيارة، التي بها. وسيأتي إن شاء الله تعالى،

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١٣٨/٢

هذا أيضا في باب النون، في حكم النمل ولعل مراده أن النمل يعمل مع أدوية، ويعالج بها لدغتها.
وبنصيبين عقارب قتالة، يقال إن أصلها من شهرزور، وإن بعض الملوك حاصر نصيبين، فأتى بالعقارب منها وجعلها في كيزان الفقاع، ورمى بها في المجانيق. قال الجاحظ: وكان في دار نصر بن حجاج السلمي «١» عقارب، إذا لسعت قتلت، فدب ضيف لهم، إلى بعض أهل الدار فضربته عقرب في مذاكيره فقال «٢» نصر يعرض به:

وداري إذا نام سكانها ... أقام الحدود بها العقرب

إذا غفل الناس عن دينهم ... فإن عقاربها تضرب

فلا تأمنن سرى عقرب ... بليل إذا أذنب المذنب

فدخل حوالي الدار وقال: هذه عقارب تسقى من أسود سالخ، ونظر إلى موضع في الدار، وقال: احفروا ههنا، فحفروا فوجدوا أسودين: ذكرا وأنثى.." (١)

"فمراده بالعنز هنا العقاب الأنثى.

الخواص

: مرارة العنز، إذا خلطت بنوشادر، ونتف شعر من مكان في البدن، وطلي به الموضع، لم ينبت فيه شعر البتة. وقال ارسطو: مرارة العنز، إذا خلطت بكراث، وطلي بها مكان الشعر المنتوف، لم ينبت فيه شعر البتة. وإذا غسلت ساقها وسقي من به سلس البول أبرأه. وإن كتبت بلبنها على قرطاس، لم تبن كتابته فإن ذر عليه رماد ظهرت الكتابة.

وقال هرمس: إذا أخذ من دماغ العنز ومن دم الضبع، وزن دانق من كل واحد، وزن حبتين من كافور، وعجن باسم شخص، تولد فيه روحانية المحبة إذا طعم ذلك. ومن أخذ من مرارتها وزن دانق، ومثله من دمها، ومن دماغ سنور أسود نصف دانق، وأطعمه إنسانا قطع عنه شهوة الجماع ولا يصل إلى امرأة حتى يحل عنه. وحله أن يسقى أنفحة ظبية في لبن عنز، ويكون سخنا والله تعالى أعلم.

العنظب:

الذكر من الجرادة وفتح الظاء لغة فيه. قال الكسائي: يقال العنظب والعنظاب والعنظوب والأنثى عنظوبة، والجمع في المذكر عناظب قال الشاعر:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ١٨٧/٢

رؤوس العناظب كالعنجد

والجمع في المؤنث عنظوبات. وفي كتاب سيبويه العنظباء بالمد والضم.

العنظوانة:

الجراد الأنثى والجمع عنظوانات. وقد تقدم ذكر الجراد وما فيه في باب الجيم.

عنقاء مغرب ومغربة:

من الألفاظ الدالة على غير معنى. قال بعضهم: هو طير غريب يبيض بيضا كالجبال، ويبعد في طيرانه. وقيل: سميت بذلك لأنه كان في عنقها بياض كالطوق.

وقيل: هو طائر يكون عند مغرب الشمس. وقال القزويني: إنها أعظم الطير جثة، وأكبرها خلقة تخطف **الفيل** كما تخطف الحدأة الفأر، وكانت في قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها، إلى أن سلبت يوما عروسا بحليها فدعا عليها حنظلة النبي عليه السلام، فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط، وراء خط الاستواء. وهي جزيرة لا يصل إليها الناس، وفيها حيوان كثير **كالفيل** والكركند والجاموس والبقر وسائر أنواع السباع وجوارح الطير.

وعند طيران عنقاء مغرب يسمع لأجنحتها دوي كدوي الرعد القاصف والسيل، وتعيش ألفي سنة. وتتزاوج إذا مضى لها خمسمائة سنة، فإذا كان وقت بيضها، يظهر بها ألم شديد. ثم أطال في وصفها. وذكر ارسطاطاليس، في النعوت، أن عنقاء مغرب قد تصاد فيصنع من مخالبها أقداح عظام للشرب. قال: وكيفية صيدها أنهم يوقفون ثورين ويجعلون بينهما عجلة، ويثقلونها بالحجارة العظام، ويجعلون بين يدي العجلة بيتا، يختبيء فيه رجل معه نار، فتنزل العنقاء على الثورين لتخطفهما. فإذا نشبت أظفارها في الثورين أو أحدهما لم تقدر على اقتلاعهما لما عليهما من الحجارة الثقيلة، ولم تقدر على الاستقلال لتخلص مخالبها، فيخرج الرجل بالنار فيحرق أجنحتها. قال: والعنقاء لها بطن كبطن الثور، وعظام كعظام السبع، وهي من أعظم سباع الطير انتهى.." (١)

"الخواص

: إذا وضع نسج العنكبوت على الجراحات الطرية، في ظاهر البدن حفظها بلا ورم، ويقطع سيلان الدم إذا وضع عليه، وإذا دلكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها. والعنكبوت الذي ينسج على الكنيف، إذا علق على

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٢٢١

المحموم يبرأ بإذن الله تعالى. وإن لف في خرقة وعلق على صاحب حمى الربع نفعه وأذهبها، وكذلك إذا سحق العنكبوت وهو حي، ومرخ به صاحب الحميات أذهبها. وإذا بخر البيت بورق الآس الرطب هرب منه العنكبوت، قاله صاحب عين الخواص.

التعبير

: العنكبوت في المنام رجل قريب العهد بالزهد، وقيل: العنكبوت امرأة ملعونة تهجر فراش زوجها. وبيت العنكبوت ونسجها وهن في الدين للآية الكريمة المتقدم ذكرها في الأمثال. وقيل: العنكبوت في الرؤيا نساج فمن نازع العنكبوت نازع رجلا نساجا أو امرأة والله أعلم.

العود:

المسن من الإبل وهو الذي قد جاوز في السن البازل والخلف وجمعه عودة، والناقة عودة. ويقال في المثل: »زاحم بعود أودع» «١» ، أي استعن على أمرك بأهل السن وأهل المعرفة، فإن رأي الشيخ المسن خير من رأي الغلام ومعرفته. والعود المطافيل، تقدم ذكرها في أول الباب، في لفظ عائد. قال الجوهري: يقال لها ذلك إذا ولدت لعشرة أيام أو خمسة عشر يوما ثم هي مطفل بعد والجمع مطافيل ومطافل.

العواساء:

بفتح العين ممدود الحامل من الخنافس حكاه أبو عبيدة.

العوس:

بالضم ضرب من الغنم يقال كبش عوسي.

العومة:

بالضم دويبة تسبح في الماء، كأنها فص أسود مد ملكة والجمع عوم. قاله الجوهري.

العوهق:

الخطاف الجبلي ويقال للغراب الأسود، ويقال للبعير الأسود الجسيم العوهق الطويل يستوي فيه الذكر والأنثى.

العلا:

القطا وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف.

العلام:

الباشق، وقد تقدم ذكره في باب الباء.

العيثوم:

الضبع حكاه الجوهري عن أبي عبيدة، وقال غيره: العيثوم أنثى **الفيل**.

العير:

الحمار الوحشي والأهلي أيضا والجمع أعيار ومعيوراء وعيور. روى «٢» ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد الله السلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردا تجرد العيرين» ورواه البزار من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه والطبراني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه. وروى النسائي في عشرة النساء، من حديث عبد الله بن سرجس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتى أحدكم أهله فليلق على نفسه ثوبا ولا يتجردا تجرد العيرين» «٣» . وروى." (١)

"العيس:

بكسر العين الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعيس والأنثى عيساء، ويقال هي كرام الإبل وما أحسن قول الأول:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

وفي حديث سواد بن قارب «وشدت العيس بأحلاسها» .

العيساء:

بفتح العين الأنثى من الجراد، وقد تقدم ما في الجراد في باب الجيم.

العيلام:

والعيلان بفتح العين فيهما الذكر من الضباع وفي الحديث، أن الخليل عليه الصلاة والسلام يريد أن يحمل أباه آزر ليجوز به الصراط فينظر إليه فإذا هو عيلام أمدر، والعيلام ذكر الضباع، والياء والألف زائدتان قاله في نهاية الغريب.

العيثوم:

الضبع عن أبي عبيدة، وقد تقدم قبل ذلك بورقة، وقال الغنوي: والعيثوم الأنثى من **الفيلة** وأنشد «١»

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢٢٨/٢

الأخطل:

تركوا أسامة في اللقاء كأنما ... وطئت عليه بخفها العيثوم

العين:

من الألفاظ المشتركة، قال بعض أهل اللغة ممن تكلم على الألفاظ المشتركة: إن العين طائر أصفر البطن والظهر في حد القمري.

العيهل:

الناقة السريعة، قال أبو حاتم: ولا يقال جمل عيهل.

عيجلوف:

كحيزبون اسم النملة المذكورة في القرآن، وسيأتي إن شاء الله تعالى اختلاف العلماء في اسمها في باب النون في لفظ النمل.

ابن عرس:

وكنيته أبو الحكم وأبو الوثاب وهي دابة تسمى بالفارسية راسو، وهي بكسر العين وإسكان الراء المهملتين، تجمع على بنات عرس وبني عرس، حكاه الأخفش. قال القزويني: هو حيوان دقيق يعادي الفأر، يدخل جحره ويخرجه، ويعادي التمساح فإن التمساح لا يزال مفتوح الفم، وابن عرس يدخل فيه وينزل جوفه ويأكل أحشاءه ويمزقها، ويخرج ويعادي الحية أيضا، ويقتلها. وإذا مرض يأكل بيض الدجاج فيزول مرضه.

وحكي أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة، فلم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن، ولم يبق لها مهرب، فنزلت على ورقة وعضت طرفها، وعلقت نفسها بها، فعند ذلك صاح ابن عرس، فجاءته زوجته فلما انتهت إلى تحت الشجرة، قطع ابن عرس الورقة التي عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس التي كانت تحت الشجرة.

وقال عبد اللطيف البغدادي: وأظنه الحيوان المسمى بالدلق، وإنما يختلف لونه ووبره." (١)

"الأمر بالإطفاء، وإن أمن ذلك كما هو الغالب، فالظاهر أنه لا بأس بتركها، لانتفاء العلة التي علل بها النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا انتفت العلة زال المنع، وقد تقدم في باب الصاد المهملة، في لفظ الصيد الكلام على الفواسق الخمس، وما ألحق بها مما يباح قتله للمحرم، وفي الحرم.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢٣٢/٢

والفأر نوعان: جرذان وفئران، وكلاهما له حاسة السمع والبصر، وليس في الحيوانات أفسد من الفأر ولا أعظم أذى منه، لأنه لا يبقي على حقير ولا جليل، ولا يأتي على شيء إلا أهلكه وأتلفه، ويكفيه ما يحكى عنه في قصة سد مأرب، وقد تقدمت في باب الخاء المعجمة، في لفظ الخلد، ومن شأنه أنه يأتي القارورة الضيقة الرأس، فيحتال حتى يدخل فيها ذنبه، فكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتصه حتى لا يدع فيها شيئا. ولا يخفى ما بين الفأر والهر من العداوة، والسبب في ذلك ما تقدم في أول خواص الأسد من حديث زيد بن أسلم رضي الله تعالى عنه، أن نوحا عليه الصلاة والسلام لما حمل في السفينة، من كل زوجين اثنين شكا أهل السفينة الفأرة وأنها تفسد طعامهم، ومتاعهم فأوحى الله تعالى إلى الأسد، فعطس فخرجت منه الهرة فتخبأت الفأرة منها.

تذنيب:

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: اتخذ نوح السفينة في سنتين، وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعا، وطولها في السماء ثلاثون ذراعا، وكانت من خشب الساج، وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد.

وروي أن الطبقة السفلى، كانت للدواب والوحوش، والوسطى للإنس، والعليا للطير.

فلما كثرت أرواث الدواب، أوحى الله تعالى إلى نوح أن اغمز ذنب **الفيل**، ففعل فوقع منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث. فلما وقع الفأر بحرف السفينة جعل يقرضها وحبالها، فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بين عيني الأسد فضرب، فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر.

وعن الحسن قال: كان طول السفينة ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع. والمعروف ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن طولها ثلاثمائة ذراع. وقال قتادة رضي الله تعالى عنه:

كان بابها في عرضها، وقال زيد بن أسلم: مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها، ومائة عام يعمل الفلك. وقال كعب الأحبار: مكث نوح عليه السلام، في عمل السفينة ثلاثين سنة. وقيل: غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة.

وزعم أهل التوراة، أن الله تعالى أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يضعه أزور، وأن يطليه بالقار من داخله ومن خارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا، وعرضه خمسين ذراعا، وطوله في السماء ثلاثين

ذراعا. والذراع إلى المنكب، وأن يجعله ثلاث أطباق: سفلى ووسطى وعليا، وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمر الله تعالى.

وأما الزباب والخلد:

فتقدما.

وأما اليربوع:

فسيأتي في بابه، وقد تقدم في باب العين المهملة في لفظ العقعق، عن سفيان." (١)

"الفيصور:

كقيطون الحمار النشيط.

الفويسقة:

الفأرة روى البخاري وأبو داود والترمذي، عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «١» : «خمروا الآنية، وأوكئوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، وكفوا صبيانكم، فإن للجن سيارة خطفة وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة ربما أخذت الفتيلة وأحرقت أهل البيت» . قيل: سميت فويسقة لخروجها عن الناس، واغتيالها إياهم في أموالهم بالفساد، وأصل الفسق الخروج، ومن هذا سمي الخارج عن الطاعة فاسقا. يقال فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت عنه.

الفياد:

كصياد، ذكر البوم ويقال الصدى.

الفيل:

معروف وجمعه أفيال وفيول وفيلة، قال ابن السكيت: ولا تقل أفيلة، وصاحبه فيال. قال سيبويه: يجوز أن يكون أصل فيل فعل، فكسر من أجل الياء كما قالوا: أبيض وبيض وكنيته أبو الحجاج وأبو الحرمان وأبو غفل وأبو كلثوم وأبو مزاحم، **والفيلة** أم شبل. وفي ربيع الأبرار كنية فيل ابرهة ملك الحبشة أبو العباس واسمه محمود، وقد ألغز بعضهم في اسمه فقال:

ما اسم شيء تركيبه من ثلاث ... وهو ذو أربع تعالى الاله

قيل تصحيفه ولكن إذا ما ... عكسوه يصير لي ثلثاه

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٢٧١

والفيلة ضربان: فيل وزندبيل، وهما كالبخاتي والعراب والجواميس والبقر والخيل والبراذين والجرذ والفأر والنمل والذر، وبعضهم يقول: الفيل الذكر، والزندبيل الأنثى، وهذا النوع لا يلاقح إلا في بلاده ومعادنه ومغارس اعراقه، وإن صار أهليا. وهو إذا اغتلم أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى يتورم رأسه، ولم يكن لسواسه إلا الهرب منه، وربما جهل جهلا شديدا، والذكر ينزو إذا مضى له من العمر خمس سنين، وزمان نزوه الربيع، والأنثى تحمل سنتين، وإذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسها ولا ينزو عليها إذا وضعت إلا بعد ثلاث سنين.

وقال عبد اللطيف البغدادي: إنها تحمل سبع سنين ولا ينزو إلا على فيلة واحدة، وله عليها غيرة شديدة، فإذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها، لأنها لا تلد إلا وهي قائمة، ولا فواصل لقوائمها فتلد، والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيات. ويقال: إن الفيل يحقد كالجمل، فربما قتل سائسه حقدا عليه، وتزعم الهند أن لسان الفيل مقلوب ولولا ذلك لتكلم. ويعظم ناباه وربما بلغ الواحد منهما مائة من، وخرطومه من غضروف وهو أنفه ويده التي يوصل بها الطعام والشراب إلى فيه، ويقاتل بها ويصيح، وليس صياحه على مقدار جثته لأنه كصياح الصبي، وله فيه من القوة بحيث يقلع به الشجرة من منابتها، وفيه من الفهم ما يقبل به التأديب ويفعل ما يأمره به سائسه، من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر، في حالتي السلم والحرب وفيه من الأخلاق أن يقاتل بعضه بعضا، والمقهور منهما يخضع للقاهر، والهند تعظمه لما اشتمل عليه من الخصال المحمودة، من علو سمكه وعظم صورته، وبديع منظره،." (١)

"وطول خرطومه، وسعة أذنيه، وثقل حمله، وخفة وطئه، فإنه ربما مر بالإنسان فلا يشعر به لحسن خطوه واستقامته. ويطول عمره، فقد حكى أرسطو أن فيلا ظهر أن عمره أربعمائة سنة، واعتبر ذلك بالوسم. وبينه وبين السنور عداوة طبيعية، حتى إن الفيل يهرب منه، كما أن السبع يهرب من الديك الأبيض، وكما أن العقرب متى أبصرت الوزغة ماتت.

وذكر القزويني أن فرج الفيلة تحت إبطها، فإذا كان وقت الضراب، ارتفع وبرز للفحل، حتى يتمكن من إيتانها، فسبحان من لا يعجزه شيء.

وفي الحلية، في ترجمة أبي عبد الله القلانسي «١» ، أنه ركب البحر في بعض سياحاته، فعصفت عليهم

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣٠٩

الريح، فتضرع أهل السفينة إلى الله تعالى ونذروا النذور، إن نجاهم الله تعالى، وألحوا على أبي عبد الله في النذر، فأجرى الله على لسانه أن قال: إن خلصني الله تعالى مما أنا فيه، لا آكل لحم **الفيل**. فانكسرت السفينة وأنجاه الله تعالى وجماعة من أهلها إلى الساحل. فأقاموا به أياما من غير زاد، فبينما هم كذلك، إذا هم بفيل صغير فذبحوه وأكلوا لحمه، سوى أبي عبد الله، فلم يأكل منه وفاء بالعهد الذي كان منه. قال: فلما نام القوم، جاءت أم ذلك **الفيل** تتبع أثره وتشم الرائحة، فكل من وجدت منه رائحة لحمه داسته بيديها ورجليها إلى أن تقتله. قال:

فقتلت الجميع، ثم أتت إلي فلم تجد مني رائحة اللحم، فأشارت إلي أن أركبها، فركبتها فسارت بي سيرا شديدا الليل كله، ثم أصبحت في أرض ذات حرث وزرع، فأشارت إلى أن أنزل، فنزلت عن ظهرها فحملني أولئك القوم إلى ملكهم، فسألني ترجمانه، فأخبرته بالقصة. فقال لي:

إن **الفيلة** قد سارت بك في هذه الليلة مسيرة ثمانية أيام. قال: فلبثت عندهم إلى أن حملت ورجعت إلى أهلي.

وفي كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي، قال: حدثني الأصبهاني من حفظه، قال:

قرأت في بعض أخبار الأوائل، أن الاسكندر لما انتهى إلى الصين ونازلها، أتاه حاجبه ذات ليلة وقد مضى من الليل شطره، فقال له: إن رسول ملك الصين بالباب، يستأذن بالدخول عليك، فقال: ائذن له، فلما دخل وقف بين يديه وقبل الأرض ثم قال: إن رأى الملك أن يخليني فليفعل، فأمر الاسكندر من بحضرته بالانصراف، فانصرفوا ولم يبق سوى حاجبه، فقال له الرسول: إن الذي جئت له، لا يحتمل أن يسمعه غير الملك، فأمر الاسكندر بتفتيشه، ففتش فلم يوجد معه شيء من السلاح، فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مصلتا، وقال له: قف مكانك. وقل ما شئت، وأمر حاجبه بالانصراف، فلما خلا المكان قال له الرسول: اعلم أني أنا ملك الصين لا رسول له، وقد حضرت بين يديك، لأسألك عما تريد مني، فإن كان مما يمكن الانقياد له، ولو على أصعب الوجوه، أجبت إليه واغتنيت أنا وأنت عن الحرب. فقال له الاسكندر: وما آمنك مني؟

قال: لعلمي بأنك رجل عاقل، وأنه ليس بيننا عداوة متقدمة، ولا مطالبة بدخل، ولعلمي أيضا أنك تعلم أن

أهل الصين، متى قتلتني لا يسلمون إليك ملكهم، ولا يمنعهم عدمهم إياي أن ينصبوا لأنفسهم ملكا غيري، ثم تنسب أنت إلى غير الجميل وضد الحزم. فأطرق الاسكندر." (١)

"كفايته، ثم حمد الله تعالى وقام وجلس مكانه أولا، فخرجت عليه، فقالت له: يا سلطان بعد ثلاثة أيام أما صد عنك هذا الذهب والفضة والجوهر سلطان الجوع؟ وقد أغناك عن هذا كله ما قيمته درهم واحد؟ فمالك والتعرض إلى أموال الناس، وأنت بهذه المثابة؟ فقال لها الاسكندر:
لك بلادك وأموالك، ولا بأس عليك بعد اليوم، فقالت له: أما إذا فعلت هذا فإنك لا تخسر، ثم إنها قدمت له جميع ما كانت قد أحضرته، وكان شيئا يحير الناظر، ويذهل الخاطر، ومن المواشي شيئا كثيرا. فنزل إلى عسكره، وقبل هديتها ورحل عنها. وذكر غيره أنه كان في الهدية ثلاثمائة فيل، وأنه دعاها إلى الله تعالى فآمنت وآمن أهل مملكتها.

غريبة

: ذكر صاحب النشوان أن خارجيا خرج على ملك الهند، فأنفذ إليه الجيوش، فطلب الأمان فأمنه فسار الخارجي إلى الملك، فلما قرب من بلد الملك، أمر الملك الجيش بالخروج إلى لقائه، فخرج الجيش بآلات الحرب، وخرجت العامة تنتظر دخوله، فلما أبعدوا في الصحراء، وقف الناس ينتظرون قدوم الرجل، فأقبل وهو راجل في عدة رجال، وعليه ثوب ديباج ومئزر في وسطه، جريا على زي القوم، فتلقوه بالإكرام، ومشوا معه حتى انتهى إلى فيلة عظيمة، قد أخرجت للزينة، وعليها الفيالون، وفيها فيل عظيم يختصه الملك لنفسه، ويركبه في بعض الأوقات، فقال له الفيال لما قرب منه: تنح عن طريق فيل الملك، فلم يبد له جوابا، فأعاد عليه القول، فلم يبد له جوابا، فقال له: يا هذا احذر على نفسك وتنح عن طريق فيل الملك، فقال له الخارجي: قل لفيل الملك يتنحى عن طريقي، فغضب الفيال وأغرى الفيل به بكلام كلمه به، فغضب الفيل وعدا إلى الخارجي، ولف خرطومه عليه، وشاله الفيل شيلا عظيما، والناس يرونه ثم خبط به الأرض، فإذا هو قد وقع منتصبا على قدميه قابضا على خرطوم الفيل، فزاد غضب الفيل فشاله الثانية، أعظم من الأولى، وعدا ثم رمى به الأرض فإذا هو قد حصل مستويا على قدميه، منتصبا قابضا على الخرطوم، ولم ينح يده عنه فشاله الفيل الثالثة، وفعل به مثل ذلك فحصل على الأرض منتصبا قابضا على الخرطوم، وسقط الفيل ميتا، لأن قبضه على الخرطوم تلك المدة منعه من التنفس فقتله. فأخبر الملك بذلك، فأمر بقتله، فقال له

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣١٠

بعض وزرائه: يجب أيها الملك أن يستبقى مثل هذا، ولا يقتل فإن فيه جمالا للمملكة، ويقال إن للملك خادما، قتل فيلا بقوته وحيله، من غير سلاح، فعفا عنه واستبقاه.

وذكر الطرطوشي «١» وغيره أن الفيل دخل دمشق، في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما، فخرج أهل الشام لينظروه لأنهم لم يكونوا رأوا الفيل قبل ذلك، وصعد معاوية سطح القصر للفرجة، فلاحت منه التفاتة، فرأى رجلا مع بعض حظاياه في بعض حجر القصر، فنزل مسرعا إلى الحجرة، فطرق بابها فقيل: من؟ قال: أمير المؤمنين، ففتح الباب، إذ لا بد من فتحه طوعا أو كرها، فدخل أمير المؤمنين معاوية فوقف على رأس الرجل وهو منكس رأسه، وقد خاف خوفا عظيما، فقال له معاوية: يا هذا ما الذي حملك على ما صنعت من دخولك قصري،." (١)

"ثم أرسل حلقة الباب، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى الجبال، ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها، فحينئذ جاءت قدرة الواحد الأحد القادر المقتدر، فأصبح أبرهة متهيئا لدخول مكة وهدم البيت، وقدم فيله محمودا أمام جيشه، فلما وجه الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب، كذا في سيرة ابن هشام.

وقال السهيلي: نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك، فأخذ بأذن الفيل وقال: ابرك محمودا وارجع راشدا فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل فضربوه بالحديد حتى أدموه ليقوم فأبى! فوجهوه إلى اليمن فقام يهرول، فوجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، فوجهوه إلى مكة فبرك. فعند ذلك أرسل الله تعالى عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فتساقطوا بكل طريق، وهلكوا على كل منهل، وأصيب أبرهة حتى تساقط أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع قلبه عن صدره، وانفلت وزيره وطائر يحلق فوقه، حتى بلغ النجاشي، فقص عليه القصة، فلما أتمها وقع عليه الحجر، فخر ميتا بين يديه. وإلى هذه القصة أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث «١» الصحيح: «إن الله تعالى حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين» .

وفي صحيح «٢» البخاري وسنن أبي داود والنسائي، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله تعالى عنهما، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣١٢

حبسها حابس الفيل» . الخلاء في الإبل كالحران في الخيل، والمعنى في التمثيل بحبس الفيل أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لو دخلوا مكة لوقع بينهم وبين قريش قتال في الحرم، وأريق فيه دماء وكان منه الفساد ولعل الله سبحانه وتعالى قد سبق في علمه، ومضى في قضائه، أنه سيسلم جماعة من أولئك الكفار، وسيخرج من أصلابهم قوم مؤمنون، فلو استبيحت مكة لانقطع ذلك النسل وتعطلت تلك العواقب والله أعلم.

قيل: كان أبرهة المذكور جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، بعد هلاك أصحاب الفيل بخمسين يوما، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس بمكة.

وروي أن عبد الملك بن مروان، قال لقباث بن أشيم الكناني: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني، وأنا أسن منه، ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل، ووقفت بي أمي على روث الفيل وهو أخضر، وأنا أعقله. قال السهيلي: قوله فبرك الفيل، فيه نظر، لأن الفيل لا يبرك، فيحتمل أن يكون فعل فعل البارك، الذي يلزم موضعه، ولا يبرح، فعبر بالبروك عن ذلك. ويحتمل أن يكون بروكه سقوطه إلى الأرض، لما دهمه من أمر الله سبحانه وتعالى.." (١)

"قال: وقد سمعت من يقول: إن في الفيلة صنفا يبرك كما يبرك الجمل، فإن صح، وإلا فتأويله كما قدمناه. قال: وقول عبد المطلب: لا هم ... الخ. إن العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفي بما بقي. والحلال متاع البيت، وأراد به سكان الحرم. ومعنى محالك كيدك وقوتك.

والكنيسة التي بناها أبرهة بصنعاء تسمى القليس، مثل القبيط سميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس، يقال: تقلس الرجل وتقلنس إذا لبس القلنسوة، وتقلس طعاما إذا ارتفع من معدته إلى فيه.

وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنائها، وكلفهم فيها أنواعا من السخر وكان ينقل إليها الرخام المجزع، والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة، من قصر بلقيس صاحبة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة، ومنابر من العاج والآبنوس، وكان يشرف منها على عدن.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣١٤

وكان حكمه في العامل فيها إذا طلعت عليه الشمس، قبل أن يعمل قطع يده، فنام رجل من العمال ذات يوم حتى طلعت الشمس، فجاءت أمه معه، وهي امرأة عجوز، فتضرعت إليه تستشفع لابنها، فأبى إلا قطع يده، فقالت: اضرب بمعولك اليوم، فاليوم لك وغدا لغيرك! فقال: ويحك ما قلت؟ قالت: نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك، فهو خارج عن يدك بمثل ما صار إليك! فأخذته موعظتها، وعفا عن ولدها وأعفى الناس من السخر فيها.

فلما هلك ومزقت الحبشة كل ممزق، أقفر ما حول هذه الكنيسة، وكثر حولها السباع والحيات، وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيئا أصابته الجن، فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير مقنطرة من الأموال إلى زمن أبي العباس السفاح. فذكروا له أمرها وما يتهيب من جنها، فلم يرعه ذلك، وبعث إليها أبا العباس بن الربيع عامله على اليمن، ومعه أهل الحزم والجلادة، فخربها واستأصلها، وحصل منها مالا كثيرا، وباع منها ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها. فخفي بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها ودرست آثارها. وكان الذي يصيبهم من الجن، ينسبونه إلى كعيب وامرأته وهما صنمان كانت الكنيسة بنيت عليهما، فلما كسر كعيب وامرأته، أصيب الذي كسرهما بالجذام، فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغامهم، وذكر أبو الوليد الأزرقي أن كعيبا كان من خشب وكان طوله ستين ذراعا.

وإلى قصة أبرهة أشرت بقولي في المنظومة في أول كتاب السير:

فجاءهم أبرهة **بالفيله** ... وبجيوش أقبلت محتلفه

وأمهم في عسكر كالليل ... مستظهرا برجله والخيل

وقد أتى الأسود نحو الحرم ... واستاق ما كان به من نعم

فأم ذاك الوقت عبد المطلب ... أبرهة والسعي في الخير طلب

فمذ رأى أبرهة وجها سما ... مهابة عظمه رب السما

انحط عن سريره منهبطا ... وقعدا على بساط بسطا

وقال: سل ما شئت من أمور ... فقال رد مائتي بعير." (١)

"قد أخذت من جملة الأموال ... فقال: قد هونت في السؤال

لو قلت لي لا تهدمن البيتا ... وارجع وعد من حيثما أتيتا

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣١٥

قابلت ما قلت بالامتثال ... من غير إمهال ولا إهمال

فقال: هذي إبلي وهذا ... بيت له خالقه أعاذا

لا أسأل اليوم سواء فيه ... إن له ربا علا يحميه

ثم أتى شيبة باب الكعبة ... فقال: إذ يسأل فيه ربه

يا رب لا أرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع عنهم حماك

إن عدو البيت من عاداك ... فامنعهم أن يخربوا قراكا

فأجلبوا برجلهم والخيل ... وأقبلوا كقطع من ليل

محموده من فوقه مذموم ... بهيمة سواده بهيم

يروم هدم البيت ذي الأركان ... وقتل ما فيه من السكان

ويستحل الجرم المعظما ... ويستبيح البلد المحرما

فقام يدعو الله عبد المطلب ... بدعوات جيشهن ما غلب

في يده حلقته الوثقى التي ... ما خاب من أمسكها في أزمة

فأنجز الله له ما طلبه ... وأنجح الرب العظيم مطلبه

وفيلهم محمود ليل داج ... وكان يكنى بأبي الحجاج

وقال قوم بأبي العباس ... وكان معروفا بعظم الباس

أمسكه بأذنه نفيل ... قال له وشاع هذا القيل:

ابرك أو ارجع راشدا محمود ... فإن هذا بلد محمود

فأوجعوه بالحديد ضربا ... للسير نحو البيت وهو يأبى

وأن يوجه لسواه يبتدر ... ثم عليه أحد لم يقتدر

فأرسل الله على الذي فجر ... طيرا أبابيل رمت جنس الحجر

مهيئا للقوم من سجيل ... فهم كعصف بعدها مأكول

والملك المطاع عضوا عضوا ... مزق ثم لم ينل مرجوا

وكان عام الفيل عام المولد ... لأحمد خير الورى محمد

فائدة أخرى

: إذا دخل إنسان على من يخاف شره فليقرأ: كهيعص حم عسق، وعدد حروف الكلمتين عشرة، يعقد لكل حرف أصبعا من أصابعه، يبدأ بإبهام يده اليمنى، ويختم بإبهام يده اليسرى، فإذا فرغ عقد جميع الأصابع، قرأ في نفسه سورة الفيل، فإذا وصل إلى قوله تعالى ترميهم

«١» كرر لفظ ترميهم عشر مرات، يفتح في كل مرة إصبعا من الأصابع المعقودة، فإذا فعل ذلك، أمن شره وهو عجيب مجرب.." (١)

"ومن الفوائد المجربة

: ما أفادنيه بعض أهل الخير والصلاح، أن من قرأ سورة الفيل، ألف مرة، في كل يوم مائة مرة، عشرة أيام متوالية، ويقصد من يريده بالضمائر، وفي اليوم العاشر، يجلس على ماء جار، ويقول: اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر، اللهم عز الظالم وقل الناصر، وأنت المطلع العالم، اللهم إن فلانا ظلمني وأذاني، ولا يشهد بذلك غيرك، اللهم إنك مالكه فأهلكه، اللهم سربله سربال الهوام، وقمصه قميص الردى، اللهم اقصفه. يكرر هذه اللفظة عشر مرات، ثم يقول: فأخذهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق «١» فإن الله يهلكه ويكفيه شره. وهو سر لطيف مجرب.

وروي أن عمرو بن معد يكرب «٢» رضي الله تعالى عنه حمل يوم القادسية على رستم، وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين، فاستقبل عمرو رستم وكان رستم على فيل عظيم، فحذف عمرو قوائمه بضربة، فسقط رستم وسقط الفيل عليه، مع خرج كان عليه، فيه أربعون ألف دينار، فقتل رستم وانهزمت العجم. وهذه الضربة لم يسمع بمثلها في الجاهلية ولا في الإسلام. وروي أن الروم حملت القوائم المذكورة، وعلقوها في كنيسة لهم. فكانوا إذا عيروا بانهزام، يقولون: لقينا قوما هذه ضربتهم، فيترجل أبطال الروم فيرونها، ويتعجبون من ذلك. وذكر أبو العباس المبرد، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال يوما:

من أجود العرب؟ قيل له: حاتم. قال: فمن فارسها؟ قيل: عمرو بن معد يكرب. قال: فمن شاعرها؟ قيل: امرؤ القيس. قال: فأي سيوفها أمضى؟ قيل: صمصامة عمرو بن معد يكرب رضي الله تعالى عنه.

وأفاد السهيلي أن صمصامة عمرو بن معد يكرب كانت حديدة، وجدت عند الكعبة، من دفن جدهم أو غيره، وأن ذا الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من تلك الحديدة أيضا. قال: وإنما سمي

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣١٦

ذا الفقار لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، وكان قبله صلى الله عليه وسلم للعاص بن منبه، سلبه منه يوم بدر.

الحكم

: يحرم أكل الفيل على المشهور، وعلله في الوسيط، بأنه ذو ناب مكادح أي مغالب مقاتل. وفي وجه شاذ حكاه الرافعي عن أبي عبد الله البوشنجي، وهو من أئمة أصحابنا أنه حلال. وقال الإمام أحمد: ليس الفيل من أطعمة المسلمين، وقال الحسن: وهو منسوخ، وكرهه أبو حنيفة، ورخص في أكله الشعبي، ويصح بيعه لأنه يحمل عليه ويقاتل به وعليه، وراكبه يرضخ له من الفيء أكثر من راكب البغل. ولا يطهر الفيل عندنا بالذبح، ولا يطهر عظمه بالتنقية، سواء أخذ منه بعد ذكاته، أو بعد موته، ولنا وجه شاذ أن عظام الميتة طاهرة، وهو قول أبي حنيفة، ومن وافقه لكن المذهب نجاستها مطلقا.

وعند مالك أن عظمه يطهر بصقله، كما تقدم في باب السين المهملة، في لفظ السلحفاة. ولا." (١)

"يجوز بيعه ولا يحل ثمنه، وبهذا قال طاوس وعطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبد العزيز ومالك وأحمد.

وقال ابن المنذر: خص فيه عروة بن الزبير وابن سيرين وابن جريج. وفي الشامل أن جلد الفيل لا يؤثر فيه الدباغ لكثافته.

وفي صحة المسابقة على الفيل وجهان: وقيل قولان أصحهما أنها تصح لما روى الشافعي وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان، وصححه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل» «١» والسبق بفتح الباء ما يجعل للسابق على سبقه من جعل، وجمعه أسباق، وأما السبق بإسكان الباء، فهو مصدر سبقت الرجل أسبقه، والرواية الصحيحة في هذا الحديث لا سبق بفتح الباء، وأراد به أن الجعل والعطاء لا يستحق إلا في سباق الخيل والإبل والنصال، لأن هذه الأمور عدة في قتال العدو، وفي بذل الجعل عليها ترغيب في الجهاد ولم يذكر الشافعي الفيل، وقال أبو اسحاق: تجوز المسابقة عليه لأنه يلقي عليه العدو كما يلقي على الخيل، ولأنه ذو خف والصورة النادرة تدخل في العموم، على الأصح عند الأصوليين.

ومن الأصحاب من قال: لا تصح المسابقة عليه، وبه قال أحمد وأبو حنيفة، لأنه لا يحصل الكر والفر عليه، فلا معنى للمسابقة عليه، فإن قال قائل: فالإبل كالفيل في هذا المعنى، فالجواب أن العرب تقاتل

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣١٧

على الإبل أشد القتال، وذلك لهم عادة غالبة والفيل ليس كذلك. ومن قال بالأول، قال: إنه يسبق الخيل في بلاد الهند والله أعلم.

تذنيب

: في سنة تسعين وخمسمائة سار نيارس أكبر ملوك الهند، وقصد بلاد الإسلام فطلبه الأمير شهاب الدين الغوري صاحب غزنة، فالتقى الجمعان على نهر ماجون، قال ابن الأثير:

وكان مع الهندي سبعمائة فيل ومن العسكر ألف ألف نفس، فصبر الفريقان، وكان النصر لشهاب الدين الغوري، وكثر القتل في الهنود حتى جافت منهم الأرض، وأخذ شهاب الديn تسعين فيلا، وقتل ملكهم نيارس، وكان قد شد أسنانه بالذهب، فما عرف إلا بذلك. ودخل شهاب الدين بلاد نيارس، وأخذ من خزائنه ألفا وأربعمائة حمل من المال، وعاد إلى غزنة. قال: وكان من جملة الفيلة التي أخذها شهاب الدين الغوري فيل أبيض، حدثني بذلك من رآه انتهى.

الأمثال

: قالوا: «آكل «٢» من فيل وأشد «٣» من فيل وأعجب من خلق فيل» . روي أنه كان في مجلس الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، جماعة يأخذون عنه العلم، فقال قائل: قد حضر الفيل، فخرج أصحابه كلهم للنظر إليه إلا يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، فإنه لم يخرج، فقال له مالك: لم لم تخرج لترى هذا الخلق العجيب فإنه لم يكن ببلادك؟ فقال: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم من هديك وعلمك، ولم أجيء لأنظر إلى الفيل. فأعجب به مالك رضي الله تعالى عنه، وسماه عاقل أهل الأندلس، ثم إن يحيى عاد إلى الأندلس، وانتهت إليه الرياسة بها.

وبه اشتهر مذهب مالك في تلك البلاد، وأشهر روايات الموطأ وأحسنها رواية يحيى وكان معظما." (١)

"عند الأمراء، وكان مجاب الدعوة. توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين، وقبره بمقبرة ابن عباس بظاهر قرطبة يستسقى به.

ونظير هذه الحكاية ما اتفق لأبي عاصم النبيل، واسمه الضحاك بن مخلد بن الضحاك، فإنه كان بالبصرة فقدمها فيل، فذهب الناس ينظرون إليه، فقال له ابن جريج: ما لك لا تخرج تنظر إلى الفيل؟ فقال: لأني لا أجد منك عوضا! فقال له: أنت النبيل. فكان إذا أقبل، يقول ابن جريج: جاء النبيل. قال البخاري:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٣١٨/٢

سمعت أبا عاصم يقول: منذ عقلت أن الغيبة حرام، ما اغتبت أحدا قط. وقالوا: «أثقل من فيل» . قال «١» الشاعر:

أنت يا هذا ثقيل ... وثقيل ثقيل

أنت في المنظر إنسان ... وفي الميزان فيل

الخواص

: من سقي من وسخ أذن الفيل ينام سبعة أيام، ومرارته يطلى بها البرص ويترك ثلاثة أيام، فإنه يذهب. وعظمه يعلق على رقاب الصبيان يدفع عنهم الصرع، وإذا علق العاج، الذي هو عظمه، على شجرة لم تثمر تلك السنة. وإذا بخر الكرم والزرع والشجر بعظمه لم يقرب ذلك المكان دود، وإن دخن به في بيت فيه بق مات البق. ومن سقي من نشارة العاج في كل يوم، وزن درهمين بماء وعسل جاد حفظه، وإن شربتها المرأة العاقر سبعة أيام، ثم جومعت بعد ذلك حبلت بإذن الله تعالى. وجلده إذا شد منه قطعة على من به حمى نافض تزول عنه، وإذا نام عليه صاحب التشنج يزول عنه، وإذا أحرق زبله وسحق بعسل وطلي به الأجفان التي سقط شعرها نبت، وإذ شربت المرأة بوله، وهي لا تعلم، ثم جومعت لم تحبل. وزبله إذا علق عليها لم تحبل أيضا، ما دام عليها. ودخان جلده يبرىء البواسير.

التعبير

: الفيل في المنام ملك أعجمي مهاب، بليد القلب حامل الأثقال عارف بالحرب والقتال، فمن ركب فيه فيلا أو ملكه أو تحكم عليه، اتصل بسلطان ونال منه منزلة سنية، وعاش عمرا طويلا في عز ورفعة، وقيل: إن الفيل رجل ضخم أعجمي، فمن ركب فيلا وكان ذا طوع له، فإنه يقهر رجلا ضخما أعجميا شحيحا. ومن ركب فيلا في نومه بالنهار فإنه يطلق زوجته، لأنه كان في الزمن المتقدم في بلاد الفيلة من طلق زوجته أركب فيلا، وطيف به حتى يعلم الناس، ومن ركب من الملوك فيلا وهو في حرب فإنه يهلك لقوله «٢» تعالى: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل

إلى آخر السورة، ومن ركب فيلا بسرج، تزوج بنت رجل ضخم أعجمي، وإن كان تاجرا عظمت تجارته، ومن افترسه فيل نزلت به آفة من سلطان، وإن كان مريضا مات ومن رعى فيلة فإنه يواخي ملوك العجم وينقادون له، ومن حلب فيلة فإنه يمكر برجل أعجمي.

وينال منه مالا، وقالت اليهود: الفيل في المنام ملك كريم لين الجانب ذو مدارة صبور، ومن ضربه فيل

بخرطومه نال خيرا، ومن ركبه نال وزارة وولاية، ومن أخذ شيئا من ورثة استغنى.
ويدل أيضا على قوم صالحين. وقيل: من يرى الفيل يرى أمرا شديدا، ثم ينجو منه. وقالت النصارى: من رأى فيلا ولم يركبه أصابه نقصان في بدنه أو خسران في ماله. ومن رأى فيلا." (١)
"مقتولا في بلدة، مات ملكها، أو يقتل رجل مذكور. ومن قتل فيلا قهر رجلا أعجميا، ومن ألقاه الفيل تحته ولم يفارقه، فإنه يموت، وإذا رؤي الفيل في غير بلاد النوبة، فإنه يدل على فتنة، وذلك لقبح لونه وسماجته. وإن رؤي في البلاد التي يوجد فيها فهو رجل من أشراف الناس. والمرأة إذا رأت الفيل فلا يحمد لها ذلك، على أي صفة رأته. وتعبر الفيلة بالسنين كالبقر، وخروج الفيل من بلد فيه طاعون دليل خير لهم وزوال الطاعون عنهم، وإذا ركب الفيل في بلد فيه بحيرة فهو ركوب سفينة، والله تعالى أعلم.
فصل في فضل العقل وزينه، وقبح الجهل وشينه:
قال بعض الحكماء: العقل ما عقل به عن السيئات، وحض القلب على الحسنات، والعقل معقل عن الدنيات، ونجاة من المهلكات، والنظر في العواقب قبل حلول المصائب، والوقوف عند مقادير الأشياء، قولا وفعلا، لقوله «١» صلى الله عليه وسلم: «أعقلها وتوكل» . وقد أجمع الحكماء والعلماء والفقهاء، أن جميع الأمور كلها، قليلها وجليلها، محتاجة إلى العقل، والعقل محتاج إلى التجربة، وقالوا: العقل سلطان وله جنود، فرأس جنوده التجربة، ثم التمييز ثم الفكر ثم الفهم ثم الحفظ ثم سرور الروح، لأن به ثبات الجسم والروح سراج نوره العقل.
وفي الحديث: «ما قسم الله لعباده خيرا من العقل» وروي أن جبريل عليه الصلاة والسلام، أتى آدم عليه السلام فقال: إني أتيتك بثلاث: فاختر واحدة منها، فقال: وما هي؟
فقال: الحياء والعقل والدين. فقال آدم عليه السلام: قد اخترت العقل. فخرج جبريل عليه الصلاة والسلام إلى الحياء والدين، فقال: ارجعا فقد اختار العقل عليكما. فقالا: إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان.
وقال بعضهم: من استرشد إلى طريق الحزم بغير دليل العقل فقد أخطأ منهاج الصواب. والعقل مصباح يكشف به عن الجهالة، ويبصر به الفضل من الضلالة، ولو صور العقل لأظلمت معه الشمس، ولو صور الجهل لأضاء معه الليل، وما شيء أحسن من عقل زانه أدب، ومن علم زانه ورع، ومن حلم زانه رفق، ومن رفق زانه تقوى.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣١٩

وروي أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أتيتك بمكارم الأخلاق كلها في الدنيا والآخرة. فقال: «وما هي» ؟ فقال «٢» : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، وهو يا محمد عفوك عمن ظلمك، واعطاء من حرمك، وصلة من قطعك، وإحسانك إلى من أساء إليك، واستغفارك لمن اغتابك، ونصحك لمن غشك، وحلمك عمن أغضبك. فهذه الخصال قد تضمنت مكارم الأخلاق، في الدنيا والآخرة. وأنشد بعضهم في معنى ذلك فقال:

خذ العفو وأمر بعرف كما ... أمرت وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الأنام ... فمستحسن من ذوي الجاه لين «٣»." (١)

"نزلت بي، وإنما أبكي لمظلوم يصرخ بالباب، فلا أسمع صوته. ثم قال: إن كان سمعي قد ذهب فإن بصري لم يذهب، نادوا في الناس أن لا يلبس أحدا ثوبا أحمر إلا مظلوما. وكان يركب **الفيل** طرفي النهار، ويدور في البلد لعله يجد أحد لابسا ثوبا أحمر، فيعلم أنه مظلوم فينصفه، هذا يا أمير المؤمنين رجل مشرك غلبت رأفته على شح نفسه بالمشركين! فكيف لا تغلب رأفتك على شح نفسك بالمؤمنين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! يا أمير المؤمنين: إنما تجمع المال لإحدى ثلاث: إن قلت: إنما أجمع المال للولد، فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد، فلم يغن ذلك عنه، بل ربما مات فقيرا ذليلا حقيرا، إذ قد يسقط الطفل من بطن أمه وليس له مال، ولا على وجه الأرض من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فلم يزل يلطف الله تعالى بذلك الطفل، حتى تعظم رغبة الناس فيه، ويحوي ما حوته تلك اليد الشحيحة، ولست بالذي تعطي، وإنما الله المعطي. وإن قلت: إنما أجمعه لمصيبة تنزل بي، فقد أراك الله سبحانه وتعالى عبرة في الملوك والقرون الذين خلوا من قبلك، ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والكراع، حين أراد الله بهم ما أراد. وإن قلت: إنما أجمعه لغاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فو الله ما فوق منزلتك إلا منزلة، لا تدرك إلا بالعمل الصالح.

فبكى المنصور بكاء شديدا ثم قال: كيف أعمل والعلماء قد فرت مني، والعباد لم تقرب مني، والصالحون لم يدخلوا علي؟ فقال: يا أمير المؤمنين افتح الباب، وسهل الحجاب، وانتصر للمظلوم، وخذ من المال ما حل وطاب، وأقسمه بالحق والعدل، وأنا ضامن من هرب منك أن يعود إليك! فقال المنصور: نفعل إن شاء الله تعالى. وجاءه المؤذنون فآذنوه بالصلاة، فقام وصلى.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣٢٠

فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده. فقال لصاحب الشرطة: علي بالرجل الساعة فخرج يتطلبه، فوجده عند الركن اليماني، فقال له: أجب أمير المؤمنين. فقال له: ليس إلى ذلك سبيل.

فقال: إذا يضرب عنقي! فقال: لا، ولا الى ضرب عنقك من سبيل. ثم أخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا، فقال: خذه فإن فيه دعاء الفرج، من دعا به صباحا، ومات من يومه مات شهيدا، ومن دعا به مساء، ومات من ليلته مات شهيدا، وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا.

فأخذه صاحب الشرطة، وأتى المنصور فلما رآه قال له: ويلك أو تحسن السحر! قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ثم قص عليه فأمر المنصور بنقله، وأمر له بألف دينار. وهو هذا: اللهم كما لطفت في عظمتك وقدرتك دون اللطفاء، وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك ما فوق عرشك، فكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسر في علمك، فانقاد كل شيء لعظمتك، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك، اجعل لي من كل غم وهم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا، اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك، مما قصرت فيه فصرت أدعوك آمنا، وأسألك مستأنسا، فإنك المحسن إلي وأنا المسيء إلى نفسي، فيما بيني وبينك تتودد إلي بالنعم، وأتبغض إليك بالمعاصي، فلم أجد كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلي، ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك، فجد اللهم بفضلك وإحسانك علي، إنك أنت الرؤوف الرحيم. وروي أن الرجل المذكور كان الخضر عليه السلام.." (١)

"الملك بن مسلم، عن عيسى بن حطان، وليسا ممن يحتج بهما. وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر إضافة الزنا إلى غير مكلف، وإقامة الحدود على البهائم. ولو صح، لكانوا من الجن، لأن العبادات والتكليفات في الجن والإنس دون غيرهما اهـ.

وعمرو بن ميمون المذكور، خرج له أصحاب الكتب الستة، وحج ستين حجة توفي في سنة سبع وخمسين. وكان من الذين إذا روا ذكر الله تعالى. وأما حديث الضب والفأر فكان ذلك قبل أن يوحى إليه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لم يجعل للممسوخ نسلا، فلما أوحى إليه، زال عنه ذلك المتخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ، فعند ذلك أخبرنا بقوله صلى الله عليه وسلم، لمن سأله عن القردة والخنازير، أهي مما مسخ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وإن

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٣٢٢/٢

القردة والخنازير كانوا قبل ذلك» «١» . وهذا نص صريح، رواه عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه. وقد أخرجه مسلم في كتاب القدر، وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته صلى الله عليه وسلم، وعلى مائدته فلم ينكره. فدل ذلك على صحة ما قلناه.

وعن مجاهد في تفسير آية المسخ، في بني إسرائيل: إنما مسخت قلوبهم فقط، وردت أفهامهم كأفهام القردة. وهذا قول تفرد به عن جميع المسلمين.

الحكم

: أكل القرد حرام عندنا. وبه قال عكرمة وعطاء ومجاهد والحسن وابن حبيب من المالكية. وقال مالك وجمهور أصحابه: ليس بحرام. وأما بيعه فيجوز، لأنه يقبل التعليم فيمسك الشمعة، ويحفظ الأمتعة. وقال ابن عبد البر، في أوائل التمهيد: لا أعلم بين علماء المسلمين خلافا في أن القرد لا يؤكل، ولا يجوز بيعه، لأنه مما لا منفعة فيه. وما علمت أحدا رخص في أكله. والكلب **والفيل** وذو الناب كله عندي مثله. والحجة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في قول غيره. وما يحتاج القرد ومثله إلى النهي عنه، لأنه ينهي عن نفسه بزجر الطباع والنفوس لنا عنه، ولم يبلغنا عن العرب ولا عن غيرهم أكله. وروي عن الشعبي، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم، «نهى عن لحم القرد» لأنه سبع فيدخل في عموم الخبر.

الأمثال

: منها قوله:

واسجد لقرد السوء في زمانه ... وداره مادمت في سلطانه

وقالوا: «أزنى «٢» من قرد» و «أحكى «٣» من قرد» لأنه يحكي الإنسان في أفعاله سوى المنطق قال أبو الطيب:

يرومون شأوي في الكلام وإنما ... يحاكي الفتى فيها خلا المنطق القرد «٤»

وقالوا: «أقبح «٥» من قرد» و «أولع «٦» من قرد» . لأنه إذا رأى الإنسان، تولع بفعل شيء أخذ بفعله مثله.." (١)

"وليس فيه ذكر القنفذ. وقيل: أراد أنه خبيث الفعل دون اللحم، لما فيه من إخفاء رأسه عند التعرض لذبحه، وابداء شوكه عند أخذه، وسئل مالك عنه، فقال: لا أدري. وقال القفال: إن صح الخبر فهو حرام،

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣٣٤

وإلا رجعنا إلى العرب هل تستطيبه أم لا. وقال الرافعي: يقال إن له كرشا ككرش الشاة.
الأمثال
: قالوا: «أسرى من قنفذ» «١» وقالوا: «ذهبوا إسراء قنفذ» ، يعني ذهبوا ليلا، لأن القنفذ يسري في الليل كثيرا وقد تقدم هذا في باب الهمزة في لفظ أنقد.
الخواص
: مرارة البري منه، إذا طلي بها موضع الشعر المنتوف، لا ينبت فيه شعر أبدا.
وإذا اكتحل بها أزالت البياض من العين، وإذا خلطت بشيء من الكبريت وطلي بها البهق أزالته وإن شرب من مرارته نفع من الجذام والسل والزحير، وإن خلطت بدهن ورد وقطر في أذن من به صمم قديم أبرأه إذا داوم عليه أياما، ولحمه إذا أكل نفع من السل والجذام والبرص والتشنج ووجع الكلى، وإن مسح بشحمه ودمه وبراثنه المعقود عن النساء حله، وطحاله يسقى لمن به وجع الطحال، بشراب العسل فإنه يبرئه، وكليته تجفف ويسقى منها وزن درهم، مسحوقا بماء الحمص الأسود، من به عسر البول فيبرأه سريعا. وإن قتل قنفذ، وقطع رأسه بسيف لم يقتل به إنسان، وعلق على المجنون والمصروع والمختل أبرأه. وإن قطع طرف رجله اليمنى وهو حي وعلقت على صاحب الحمى الحارة والباردة، من غير أن يعلم ما هو، مربوطا في خرقة كتان، أبرأه. وعينه اليمنى تغلى بشيرج، وتجعل في إناء نحاس، فمن اكتحل به لم يخف عليه شيء في الليل، بل يراه كأنه نهار، وشطار العيارين يفعلون ذلك. وعينه اليسرى تغلى بزيت وترفع في قارورة، فإذا أردت أن تنوم إنسانا فخذ منه بطرف الميل، وادنه إلى أنفه، فإنه ينام من ساعته. وأظفار يده اليمنى يبخر بها المحموم، فتذهب حماه. وطحاله إذا شوي وأكله من به وجع الطحال أبرأه، والأول أسرع وهو ما تقدم. ومرارته تعجن بسمن عتيق، وتتحمل بها المرأة في قبلها، فإنها تلقي ما في جوفها. ودمه يطلى به على عضة الكلب، يسكن ألمها، ولحمه المملح ينفع من داء الفيل والجذام، وهو جيد لمن يبول في فراشه. وجميع أصناف القنافذ بيضها أصفر جدا لا يؤكل، وإذا أخذ بول القنفذ وسقي بشراب لمن أعياه مرضه ثلاثة أيام أبرأه. وإن علق قلبه على من به حمى الربع أبرأه، وإذا طلي المجذوم بشحمه نفعه.
وأما رؤيته في المنام
فإنه يدل على المكر والخداع والتجسس، والاحتقار والشر، وضيق القلب وسرعة الغضب وقلة الرحمة، وربما يدل على فتنة يشهر فيها السلاح، والله تعالى أعلم.

القنفذ البحري:

قال القزويني: مقدمه يشبه مقدم القنفذ البري، ومؤخره يشبه السمك، طيب اللحم جدا. قال ابن زهر: ويعالج به عسر البول، وريشه لين يشبه الشعر.

القنفشة:

دويبة معروفة عند أهل البادية حكاه ابن سيده.

القهبى:

بالفتح اليعقوب وقيل: العنكبوت.." (١)

"الكبعة:

بفتح الكاف وإسكان الباء الموحدة، دابة من دواب البحر، قاله ابن سيده.

الكتفان:

بضم الكاف وإسكان التاء المثناة فوق، وبعدها فاء، الجراد أول ما يطير، الواحدة كتفانة، ويقال: هو الجراد بعد الغوغاء، أوله السرور ثم الدبى ثم الغوغاء ثم الكتفان.

الكتع:

كرطب أردأ ولد الثعلب، والجمع كتعان بكسر الكاف.

الكدر:

بضم الكاف وإسكان الدال المهملة، طير في ألوانها كدرة.

روى ابن هشام وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم «غزا قرقرة الكدر، في النصف من المحرم، على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجرته صلى الله عليه وسلم، وهي ناحية بأرض سليم على ثمانية برد من المدينة، وحمل لواءه صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فأخذ صلى الله عليه وسلم نعمهم وقسم غنائمهم، وهي خمسمائة بعير فأخرج صلى الله عليه وسلم خمسة، وقسم أربعة أخماسه على المسلمين، فأصاب كل واحد منهم بعيرين، وكانوا مائتي رجل وصار يسار رضي الله تعالى عنه في سهم النبي صلى الله عليه وسلم، فأعتقه حين رآه يصلي، وغاب صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمسة عشرة ليلة» ، وقرقرة بفتح القافين أرض ملساء، وقال البكري: هي بضم القاف

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٣٦٢/٢

وإسكان الراء وبعدهما مثلهما والمعروف في ضبطهما الفتح.

الكركر:

كجعفر طائر ببحر الصين، يطير تحت طائر يقال له شنة يتوقع ذرقه، لأن غذاءه منه. وخرشنة طائرا أكبر من الحمام وهو لا يذرق إلا وهو طائر، كذا ذكره القزويني.

الكركند:

رأيت بخط اسماعيل بن محمد الأمير، ما مثاله: روي أنه في جزائر الصين والهند الكركند حيوان طوله مائة ذراع فأكثر من ذلك، له ثلاثة قرون: قرن بين عينيه، وقرنان على أذنيه، يطعن الفيل فيأخذه في قرنه، ويبقى بين عينيه مدة، ويبقى ولد الكركند في بطن أمه أربع سنين، وإذا تم له سنة، يخرج رأسه من بطن أمه، فيرعى الشجر مما يصل إليه، وإذا تم له أربع سنين، وقع من بطن أمه وفر كالبرق، حتى لا تدركه فتلحسه بلسانها، لأن لسانها فيه شوك كبير غليظ، إذا لحسته أزالت لحمه عن عظمه في لحظة واحدة. وملوك الصين إذا عذبوا أحدا سلموه إلى الكركند يلحسه فيبقى عظاما ليس عليه من اللحم شيء انتهى.

وسماه الجاحظ الكركدن، ويسمى الحمار الهندي، ويسمى الحريش كما تقدم، وهو عدو الفيل ومعادنه بلاد الهند والنوبة، وهو دون الجاموس، ويقال: إنه متولد بين الفرس والفيل، وله قرن واحد عظيم في رأسه، لا يستطيع لثقله أن يرفع رأسه، وهذا القرن مصمت قوي الأصل، حاد الرأس، يقاتل به الفيل فلا يفيد معه ناباه، وإذا نشر قرنه طولا، تخرج منه الصور المختلفة بياض في سواد كالطاوس والغزال، وأنواع الطير والشجر، وصور بني آدم وغير ذلك من عجائب النقوش، يتخذون منه صفائح على سرر الملوك ومناطقهم، ويتغالون في أثمانها. وزعم أهل الهند أن الكركند، إذا كان بأرض لم يدع شيئا من الحيوانات، إلا ما كان بينه وبينه مائة فرسخ، من جميع الجهات هيبة له وهربا منه. ويزعمون أنه ربما نطح الفيل فرفعه على قرنه، ويقال: إن الأنثى تحمل كأنثى الفيل ثلاث سنين أو سبع سنين، ويخرج ولدها نابت الأسنان والقرون، قوي." (١)

"الحوافر. وقيل: إذا قاربت الأنثى أن تضع يخرج الولد رأسه منها، فيرعى أطراف الشجر ثم يرجع. وقد أنكر الجاحظ هذا. وليس في الحيوان ذو قرن مشقوق الطرف غيره، وهو يجتر كالبقر والغنم والإبل، ويأكل الحشيش، لكنه شديد العداوة للإنسان إذا شم رائحته، أو سمع صوته طلبه، فإذا أدركه قتله. ولا يأكل منه شيئا، ويقال للأنثى كركندة قاله الزمخشري.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٣٧٠/٢

وأما حكمه

فلم أر أحدا تعرض له مع التتبع الشديد، والسؤال العديد، والظاهر حله، لأكله الشجر ولكونه يجتر، ولا يمنع من ذلك كونه يعادي الإنسان، فالضبع يعاديه ويؤكل، فإن ثبت أنه متولد من الفرس **والفيل** حرم، وهو بعيد.

الخواص

: على رأس قرنه شعبة مخالفة لانحناء القرن، وهي لها خواص عجيبة، وعلامة صحتها أن يرى منها شكل فارس، ولا توجد تلك الشعبة إلا عند ملوك الهند. ومن خواصها حل كل عقد، فلو أخذها صاحب القولنج بيده شفي في الحال. والمرأة التي ضربها الطلق، إن أمسكتها بيدها تلد في الحال، وإن سحق منها شيء يسير وسقي المصروع أفاق، وحاملها يأمن من عين السوء، ولا يكبو به الفرس، وإذا تركت في الماء الحار عاد باردا، وعينه اليمنى تعلق على الإنسان تزول عنه الآلام كلها، ولا يقربه الجن ولا الحيات، واليسرى تنفع من النافض والحمى، ويتخذ من جلده التجافيف فلا تعمل فيها السيوف.

خاتمة

: قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الأمم: أشرف حلى أهل الصين من قرن الكركند فإن قرونها متى قطعت ظهر منها صور عجيبة مختلفة، فيتخذون منها مناطق تبلغ قيمة المنطقة منها أربعة آلاف مثقال ذهبا، والذهب عندهم هين عليهم، حتى يتخذوا منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم. قال: وأهل الصين بيض إلى الصفرة، فطس الأنوف، يبيحون الزنا ولا ينكرون شيئا منه، ويورثون الأنثى أكثر من الذكر، ولهم عيد عند نزول الشمس الحمل، يأكلون فيه ويشربون سبعة أيام. واقليمهم واسع فيه نحو ثلاثمائة مدينة، وفيه عجائب كثيرة. قال: والأصل في ذلك أن عامور بن يافث بن نوح عليه السلام نزلها، وابتنى بها المدائن هو وأولاده، وعملوا فيها العجائب، وكانت مدة ملك عامور ثلاثمائة سنة، ثم ملك بعده ابنه صاين بن عامور مائتي سنة، وبه سميت الصين، فجعل حينئذ تمثالا من ذهب على صورة أبيه على سرير من ذهب، وعكف هو وقومه على عبادته، وفعلوا بجميع ملوكهم ذلك، وهم على دين الصابئين. قال: ووراء الصين أمم عراة منهم أمة يلتحفون بشعورهم، وأمم لا شعر لهم، وأمم حمر الوجوه شقر الشعور، وأمم إذا طلعت الشمس هربوا إلى مغارات يأوون إليها إلى أن تغرب الشمس، وأكثر ما يأكلون نبات يشبه الكمأة وسمك البحر، ثم ذكر بعد هؤلاء يأجوج ومأجوج. قال: وأجمعوا على أنهم من ولد يافث بن نوح. ثم ختم الكتاب بأن النبي صلى

الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج، هل بلغتهم دعوتك؟ فقال صلى الله عليه وسلم:
«مررت بهم ليلة أسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا» .
وأما تعبير رؤيته في المنام
: فإنه ملك عظيم جائر، وقيل: إن رؤيته تدل على الحرب والمخادعة مع حقارته وعجمته ودناءة أصله، وربما كان مسلطا بماله وولده.
الكركي:
طائر كبير معروف، والجمع الكراكي، وكنيته أبو عريان وأبو عينا وأبو العيزار." (١)
"الخواص
: دم كلب الماء يخلط بماء الكمون الكرماني ويشرب في الحمام ينفع من تقطير البول وعسره، ودماغه ينفع من ظلمة العين اكتحالا، ومرارته قدر عدسة منها، سم قاتل. وقال ابن سينا: إن خصيته تنفع من نهش الحيات، وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس يذهب عنه ذلك ويبرأ.
الكلثوم:
الفيل قاله ابن سيده. وقد تقدم حكمه في باب الفاء.
الكلكسة:
قال قوم: إنه ابن عرس، وقال قوم: إنه حيوان آخر غير ابن عرس، وزبله إذا سحق وديف بالخل، وطلي به مواضع النملة الظاهرة، نفع نفعا بينا. وفي كتاب دمقراطيس، أن الكلكسة تبيض من فيها.
الكميت:
الفرس الشديد الحمرة، ولا يقال كميت، حتى يكون عرفه وغرته وذنبه سودا، وإن كانت حمرا فهو أشقر، والورد فيما بين الكميت والأشقر، والجمع وردان. والكميت من أسماء الخمر، قال الشيخ صلاح الدين الصفدي «١» ، وفيه تورية:
وحمراء لما ترشفتها ... جنيت بها اللهو فيما جنيت
ونلت المسرات دون الورى ... لأني سبقتهم بالكميت
الكندارة:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٣٧١

سمكة لها سنام معروفة عند أهل البحر.

الكنعبة:

الناقة العظيمة، وسيأتي إن شاء الله تعالى، حكم الناقة في باب النون.

الكعند والكعند:

كجعفر ضرب من السمك، قاله الجوهري وأنشد لجرير «٢» :

قوم إذا جعلوا في صيرهم بصلا ... ثم اشتووا كنعدا من مالح جدفوا

الكندش:

العقعق، قال «٣» أبو المغطش الحنفي يصف امرأة:

منيت بزمردة كالعصا ... ألص وأخبث من كندش

ولفظ زمردة فارسي معرب أي امرأة الرجل.

الكهف:

الجاموس المسن، وقد تقدم حكمه في باب الجيم.

الكودن:

البرذون البطيء، وقال الجوهري: هو البرذون يوكف ويشبه به البليد، وقال ابن سيده: الكودن البرذون، وقيل: البغل. وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم «لم يعط الكودن شيئا» . وفي رواية: «أعطاه دون سهم العراب» . رواه الطبراني. وفي إسناده أبو." (١)

"فراشه، وسرح لحيته وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة، ثم حدث. فقيل له في ذلك، فقال: إني أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان يقول: العلم نور يجعله الله حيث شاء، وليس هو بكثرة الرواية وقد مدحه بعض العلماء فقال «١» :

يدع الكلام فلا يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقان

سيما الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المهيب وليس ذا سلطان

توفي الإمام مالك رحمه الله تعالى، في سنة تسع وسبعين ومائة.

المعراج:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٤٢٤

دابة عظيمة عجيبة مثل الأرنب صفراء اللون، على رأسها قرن واحد أسود، لم يرها شيء من السباع والدواب إلا هرب. ذكرها القزويني في جزائر البحار.

المعز:

بفتح الميم والعين المهملة وتسكينها لغتان: نوع من الغنم خلاف الضأن وهي ذوات الشعور والأذناب القصار، وهو اسم جنس وكذلك المعيز والأمعوز والمعزى وواحد المعز ماعز، مثل صاحب وصحب، وتاجر وتجر، والأنثى ما عزة والجمع مواعز. وأمعز القوم كثرت معزاهم.

وكنيتها أم السخال. وفي حديث علي رضي الله عنه: وأنتم تنفرون منه نفور المعزى من وعوعة الأسد أي صوته، ووعوعة الناس ضجتهم.

وروى البزار وابن قانع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احسنوا إلى المعزى، وأميطوا عنها الأذى، فإنها من دواب الجنة» .

وفي الحديث: «استوصوا بالمعزى خيرا فإنه مال رقيق، وأنقوا عطنه» . أي نقوا مرابضها مما يؤذيها من حجارة وشوك وغير ذلك، وهي مع ذلك موصوفة بالحمق، وتفضل على الضأن بغزارة اللبن وثخانة الجلد، وما نقص من ألية المعز، زاد في شحمه، ولذلك قالوا: ألية المعز في بطنه.

ولما خلق الله تعالى جلد الضأن رقيقا غزر صوفه، ولما خلق جلد المعز ثخينا قلل شعره، فسبحان اللطيف الخبير.

الخواص

: لحمه يورث الهم والنسيان، ويولد البلغم، ويحرك السوداء، لكنه نافع جدا لمن به الدماميل، وقرن المعز الأبيض يسحق ويشد في خرقة ويجعل تحت رأس النائم، فإنه لا ينتبه مادام تحت رأسه. ومرارة التيس تخلط بمرارة البقر، وتلطخ بها فتيلة، وتجعل في الأذن تزيل الطرش وتمنع نزول الماء. وإذا اكتحل بمرارة التيس بعد نتف الشعر الذي في باطن الجفن منع من انباته، ويمنع أيضا من الغشاوة اكتحالا، ومن العشا ويقلع اللحمة الزائدة التي يقال لها التوتة، وينفع طلاء من الورم الذي يقال له داء **الفيل**. وأكل مخه يورث الهم والنسيان ويحرك السوداء.

قال الرئيس ابن سينا: بعر المعزى يحلل الخنازير بقوة فيه، وإذا احتملته المرأة بصوفة منع سيلان الدم من الفرج ويقطع النزيف.

ابن مقرض:

بضم الميم وكسر الراء وبالضاد المعجمة، دويبة كحلاء اللون، طويلة الظهر." (١)

"والحمرات في البيت: جمع حمر بضم الميم، وحمر جمع حمار بمنزلة كتاب وكتب. ويجوز أن يكون جمع حمير كقضيب وقضب. وقولهم: حمير ليس بجمع ولكنه اسم للجمع، بمنزلة العبيد والكتيب قال ابن عطية: والذي مربي، من أمر العرب، في غير ما ديوان، أن المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديما قبل الإسلام، على جهة التقرب به والتشرع. قال: ورأيت عن بعض أقوياء العرب، أنه كان يمكو على الصفا فيسمع من حراء وبينهما أربعة أميال. انتهى. وكذلك كان مخرمة بن قيس بن عبد مناف يصفر عند البيت فيسمع من حراء، وكان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون.

وقال القزويني: المكاء من طير البادية يتخذ أفحوصا عجيبا، وبينه وبين الحية عداوة، فإن الحية تأكل بيضه وفراخه. وحدث هشام بن سالم أن حية أكلت بيض مكاء، فجعل المكاء يشرشر أي يرفرف على رأسها ويدنو منها، حتى إذا فتحت فاها ألقى في فيها حسكة فأخذت بحلق الحية فماتت.

المكلفة:

طائر، قال الجاحظ: لما كانت العقاب سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات، فتخرج فراخها فتلقى واحدا منها، فيأخذه هذا الطائر الذي يتكلف به قيل له: المكلفة ويسمى كاسر العظام، فيربيه كما تقدم اهـ.

واختلفوا في سبب فعل العقاب ذلك، فقال بعضهم: لأنها لا تحضن إلا بيضتين، وقال بعضهم: بل تحضن الثلاثة، لكنها ترمي بفرخ من فراخها استثقالا للكسب على الثلاثة. وقال آخرون: ليس كذلك إلا لما يعتريها من الضعف عن الصيد كما يعتري النفساء من الوهن. وقيل:

لأنها سيئة الخلق كما تقدم. ولا يستعان على تربية الولد إلا بالصبر. وقيل: لأنها كثيرة الشره وإذا لم تكن أم الفراخ تؤثر أولادها على نفسها ضاعت أولادها. قال هؤلاء: والفرخ الذي ترمي به العقاب من الثلاثة، يحضنه طائر يقال له المكلفة ويسمونه كاسر العظام أيضا، فيربيه كما تقدم والله تعالى أعلم.

الملكة:

كالسمكة حية طولها شبر أو أكثر، على رأسها خطوط بيض تشبه التاج، فإذا انسابت على الأرض، أحرقت

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٤٤٤

كل شيء مرت عليه، وإن طار طائر فوقها سقط عليها، وإذا بدت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب. ومن أكل تلك الحية من السباع أو غيرها مات. وهي قليلة الظهور للناس.

ومن خواصها

الغريبة أن من قتلها فقد حاسة الشم في الحال، ولا يمكن بعد ذلك علاجه.

المنارة:

سمكة تخرج من البحر، على شكل المنارة، فترمي بنفسها على السفينة فتكسرها وتغرق أهلها، فإذا أحس الناس بها ضربوا بالطسوس والبوقات لتبعد عنهم، وهي محنة عظيمة في البحر. قاله أبو حامد الأندلسي.

المنخنقة:

هي البهيمة المأكولة تنخنق بحبل حتى تموت، وكانت العرب تفعله حرصا على الدم، لأن العرب كانوا يأكلون الدم، ويسمونه الفصيد، ويقولون: إن اللحم دم جامد. فحرم." (١)

"الرقاب، وأمر بتلك فنحرت، رواه الطبراني مرسلا.

وفي الصحيحين «١» ، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أهدي النبي صلى الله عليه وسلم مرة غنما، وفيه استحباب تقليد الغنم، وقال مالك وأبو حنيفة، لا يستحب، بل خصا التقليد بالإبل والبقر.

فرع

: اتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعا فللمهدي أن يأكل منه، وكذلك أضحية التطوع. لما روى «٢» جابر أنه صلى الله عليه وسلم أهدى في حجة الوداع مائة بدنة نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها بيده ثلاثا وستين، وأمر عليا فنحر ما بقي منها، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ من كل بدنة بضعة، فتجعل في قدر فأكلا من لحمها وحسيا من مرقها.

واختلفوا في الهدي الواجب بالشرع، مثل دم التمتع والقران والواجب بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد، فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئا وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما عداهما، وبه قال الإمام أحمد واسحاق. وقال مالك: يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه، إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر. وقال أصحاب الرأي: يأكل من دم التمتع والقران، ولا يأكل من كل واجب سواهما، والله تعالى

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٤٤٧

أعلم.

الهديل:

ذكر الحمام قد تقدم ما في الحمام في باب الحاء المهملة، قال جران العود «٣» :

كان الهديل الظالع الرجل وسطها ... من البغي شريب يغرد منزف

والهديل صوت الحمام، يقال: هدل القمري يهدل هديلا، والهديل فرخ كان على عهد نوح عليه الصلاة والسلام، فصاده جارح من الطير، فليس من حمامة إلا وتبكي عليه إلى يوم القيامة.

قال نصيب «٤» :

فقلت أتبكي ذات طوق تذكرت ... هديلا وقد أودى وما كان تبع

يقول لم يخلق تبع بعد.

الهرماس:

بكسر الهاء من اسماء الأسد، وقيل: هو الشديد من السباع، والهرماس بن زياد الباهلي من الصحابة سكن البصرة وطال عمره، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين أحدهما عن أبي داود والآخر رواه النسائي.

والهرميس بكسر الهاء أيضا الكركدن عند ابن سيده. قال: وهو أكبر من الفيل قال الشاعر:

والفيل لا يبقى على الهرميس

الهر:

السنور، والجمع هررة، كقرد وقردة، والأنثى هرة وتقدمت في خواص الأسد في." (١)

"حملة العرش، يا شديد البطش يا حابس الوحش، احبس عني من ظلمني. واغلب من غلبني، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز

«١» اهـ.

وقد فكرت في معنى قولها يا حابس الوحش، فظهر لي فيه أنها أرادت قوله «٢» صلى الله عليه وسلم، في قصة الحديبية، «حبسها الفيل» ، والقصة في ذلك مشهورة، وقد تقدمت.

وقال الشيخ قطب الدين أيضا: ومما حفظته من دعاء والدتي، وهو من الأدعية التي تنفع في الحجب من الأعداء: اللهم إني أسألك بسر الذات بذات السر، هو أنت أنت هو لا إله إلا أنت احتجبت بنور الله،

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٢/٥٢٠

وبنور عرش الله، وبكل اسم من أسماء الله، من عدوي وعدو الله، ومن شر كل خلق الله، بمائة ألف لا حول ولا قوة إلا بالله، ختمت على نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي، وجميع ما أعطاني ربي، بخاتم الله القدوس المنيع، الذي ختم به أقطار السموات والأرض، حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ومما جرب في الحجب عن الأعداء أيضا ويمنع من شر كل سلطان وشيطان، وسبع وهامة، أن يقول: سبع مرات عند طلوع الشمس: أشرق نور الله وظهر كلام الله وأثبت أمر الله ونفذ حكم الله استعنت بالله وتوكلت على الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، تحصنت بخفي لطف الله، وبلطيف صنع الله، وبجميل ستر الله، وبعظيم ذكر الله، وبقوة سلطان الله، دخلت في كنف الله، واستجرت برسول الله صلى الله عليه وسلم، برئت من حولي وقوتي، واستعنت بحول الله وقته، اللهم استرني في نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي، بسترك الذي سترت به ذاتك، فلا عين تراك، ولا يد تصل إليك، يا رب العالمين احجبني عن القوم الظالمين بقدرتك يا قوي يا متين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين، والحمد رب العالمين.

الودع:

واحدته ودعة وهو حيوان في جوف البحر، إذا قذف إلى البرمات، وله بريق ولون حسن، وتصلب كصلابة الحجر، فيثقب ويؤخذ منه القلائد، يتحلى بها النساء والصبيان. وفي داله الفتح والسكون قال الشاعر:

إن الرواة بلا فهم لما حفظوا ... مثل الجمال عليها يحمل الودع

لا الودع ينفعه حمل الجمال له ... ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

واسمها مشتق من ودعته أي تركته، لأن البحر ينضب عنها ويدعها، فهي ودع بالتحريك وإذا قلت الودع بالتسكين، فهو من باب ما سمي بالمصدر.

الوراء:

ولد البقرة وقد تقدم ما في البقرة في باب الباء الموحدة.

الورد:

الأسد قيل له ذلك تشبيها بلون الورد الذي يشم، ولذلك قيل للفرس ورد، وهو." (١)

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٥٣٧/٢

